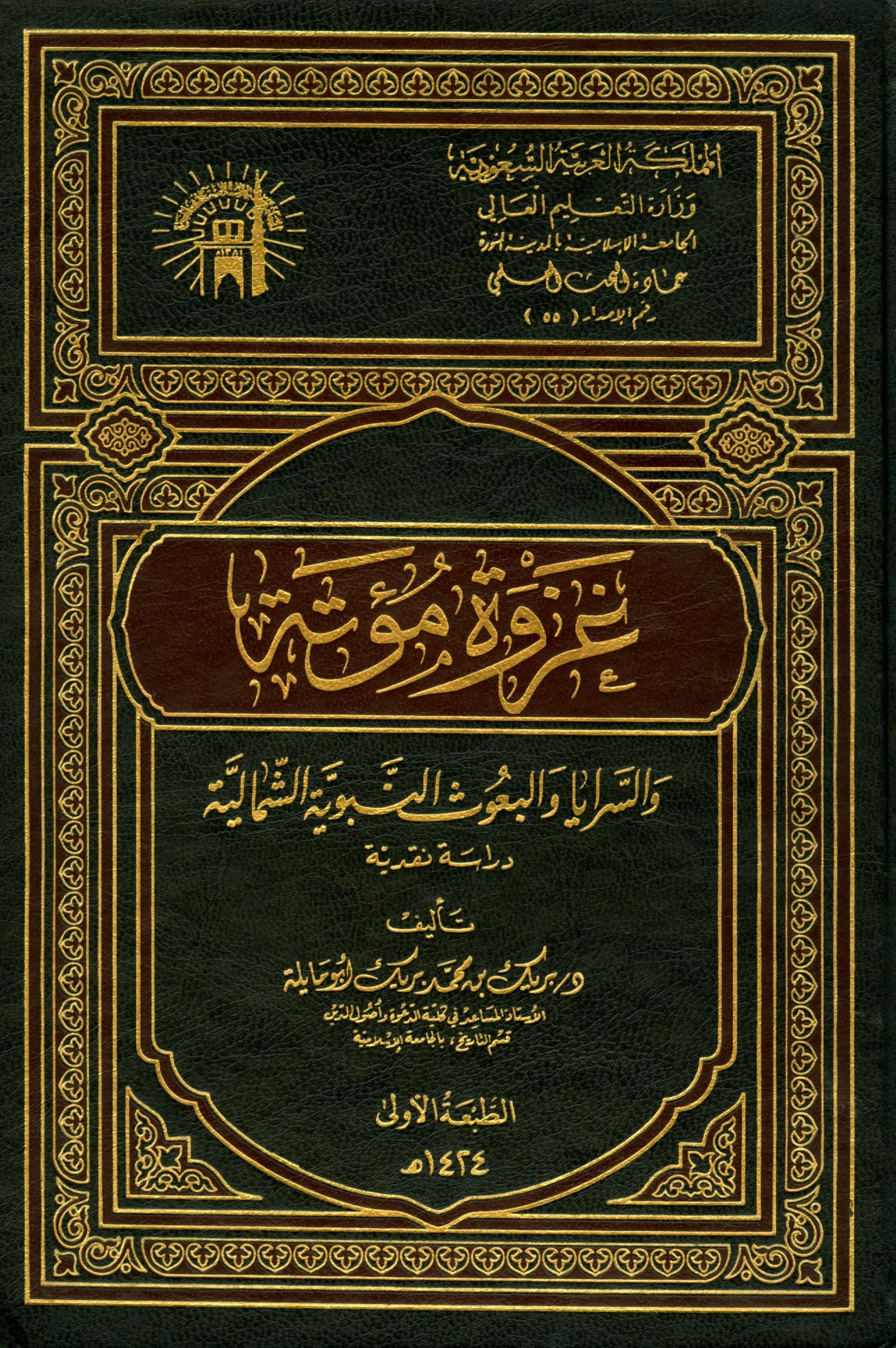


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٥٥)
غزوة مؤتة
والسرايا والبعوث النبوية الشمالية
دراسة نقدية
تأليف
د/ بريك بن محمد بريك أبو مايلة
الأستاذ المساعد في كلية الدعوة وأصول الدين
قسم التاريخ، بالجامعة الإسلامية
الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار: (٥٥)



غزوة مؤتة

والسرايا والبعوث النبوية الشمالية

دراسة نقدية

تأليف
د/ بريك بن محمد بريك أبو مايلة
الأستاذ المساعد في كلية الدعوة وأصول الدين
قسم التاريخ، بالجامعة الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٤هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

أبو مايلة، بريك بن محمّد

غزوة مؤتة والسّرايا والبعوث النّبوية الشّمالية،

بريك بن محمّد أبو مايلة

- المدينة المنوّرة، ١٤٢٤هـ

٥٨١ ص، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك: ٩٩٦٠ - ٠٢ - ٤٢٧ x

١-غزوة مؤتة. أ- العنوان

ديوي ٢٣٩,٤ ١٤٢٤/٢٥٠٢

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٥٠٢

ردمك: ٩٩٦٠ - ٠٢ - ٤٢٧ x

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلامية

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أشرف ما تتجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم، والبحث والنظر فيه، وتنقيح مسائله، وسلوك طريقه، لأن ذلك هو الذي يوصل إلى السعادة، كما قال الرسول ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة». وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ هو وحي الله إليه بالعلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وقال تعالى يخاطبه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ...﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وما قامت به الحياة السعيدة في الحياة الدنيا والآخرة إلا بالعلم النافع.

ولذا كان التعليم هو الهدف الأعظم لمؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ، ولأبنائه كذلك من بعده، ففي عهد خادم الحرمين الشريفين، أول وزير للمعارف بلغت مسيرة التعليم مستوى عالياً، وازدهر التعليم العالي وارتقت الجامعات، ومن هذه الجامعات العملاقة، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فهي صرح شامخ،

يشرف بأن يكون إحدى المؤسسات العلمية والثقافية، التي تعمل على هدي الشريعة الإسلامية،وتقوم بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

ومن هنا، فعمادة البحث العلمي بالجامعة تجعل نشر البحوث العلمية، ضمن واجباتها، التي تمثل جانباً هامّاً من جوانب رسالة الجامعة، ألا وهو النهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر.

ومن ذلك كتاب: «**غزوة مؤتة، والسّرايا والبعوث النّبويّة الشّمالية -دراسة نقدية-** »، تأليف: الدكتور بريك بن محمّد بريك أبو مايلة.

نفع الله بذلك، ونسأله سبحانه أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

معالي مدير الجامعة الإسلامية

د/ صالح بن عبد الله العبود

تمهيد

الحمد لله الذي لا إله إلاّ هو له العزّة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى وأحسن النعوت.

الحمد لله المنّان، الملك الديّان، عظيم السلطان، واسع الإحسان، المتنَزِّه عن السِّنة والنّوم والنِّسيان، والغفلة والنقصان، سبحانه وتعالى، إليه الملجأ، وعليه التّكلان، أعدَّ برحمته للمؤمنين نعيم الجنان، ووعد بسطوته الكافرين عذاب النيران.

أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه يليق بجلاله وجبروته وعظيم سلطانه.

وأُصلِّي وأُسلِّم على مَن أُنزل عليه الفرقان، وأُوتي سبعاً من المثاني العظيمة والقرآن، وَوُهِبَ جوامع الكلم والبيان، وأُيِّدَ بالرُّعْبِ مسيرة شهر نصراً على الأعداء، صلاةً تليق بعظيم شأنه وحُسن مقامه.

وعلى آل بيته البررة الكرام، وصحابته الأخيار العظام، الذين قادوا السرايا والبعوث، وتصدّروا الجيوش، فقوَّضوا عروش الكفرة، وزلزلوا أرض المشركين الفجرة، فرفعوا راية الإسلام عالية، وغلبوا جنود الشيطان، وكانوا من حزب الرحمن، ألا إنّ حزب الرحمن هُمُ الغالبون.

قال ــ تبارك وتعالى ــ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾. [سورة النساء، الآية: ٧٦].

فسبحانه وتعالى جلّ شأنه، جعل العِزَّة لأهل طاعته ورضوانه، إذ قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. [سورة المنافقون، الآية: ٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾. [سورة الفتح، الآية: ٢٩].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمّد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمّد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه يقاتلون عن دينه))(١).

وكما جعل تعالى العِزَّة لأهل طاعته ورضوانه، ضرب الذِّلَّة والصَّغَار على مَن خالف أمره، عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله تعالى عنهما ــ قال: قال رسول الله ﷺ: ((بُعِثتُ بالسَّيف بَيْن يدي السّاعة حتّى يُعْبَد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلّ رُمحي، وجُعِلَ الذِّلَّة والصَّغَار على مَن خالف أمري))(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند: مسند عبد الله بن مسعود ــ م ــ ٣٦٠٠)، وصحّح إسناده أحمد شاكر، طبعة دار المعارف بمصر.

(٢) أخرجه أحمد (المسند ٢/٥٠)، وجوّد إسناده ابن تيمية في الاقتضاء ٣٩، وحسّنه الحافظ في الفتح.

وهكذا لما أخرجه المشركون المعاندون والمخالفون لأمره من مكّة، قال أبو بكر ﷺ: ((أخرجوا نبيّهم، ليهْلَكُنَّ)). فنَزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. [سورة الحجّ، الآية: ٣٩].

فقال أبو بكر ﷺ: ((لقد علمت أنه سيكون قتال)).

قال ابن عباس ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ: ((وهي أوّل آية أُنزلت في القتال))[١].

وكان ذلك من باب المعاملة بالمثل، كما ذكر النبيّ ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم عنه، قال: ((إنّ الله أمرني أن أحَرِّق قريشاً، فقلت: ربّ إذن يثلغوا[٢] رأسي فيدعوه خبزاً، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك مَن عصاك))[٣].

وهكذا شرع الله الجهاد في الوقت الأليق به، لأنهم عندما كانوا بمكّة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أُمر المسلمون، وهم قليل، بقتال الباغين لشقّ عليهم، فلمّا بغى المشركون، وأخرجوه ـــ عليه السلام ـــ من بين أظهرهم، وهمّوا بقتله، واستقرّ عليه السلام بالمدينة، واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة دار إسلام، ومعقلاً يلجأون إليه،

---

(١) أخرجه الترمذي وحسّنه. (انظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي ٩/١٤-١٥)، وأخرجه الحاكم (المستدرك ٢/٧٦، ٣/٨-٩)، وصحّحه. ووافقه البيهقي.

(٢) ثلغ رأسه: شدخه.

(٣) أخرجه مسلم (الصحيح ١٠/٣١٤).

شرع الله جهاد الأعداء، فبعث ــ عليه السلام ــ البعوث والسرايا[١] التي انطلقت في كلّ اتجاه تدك حصون الباغين، وتشيع الرعب في قلوب المشركين، وكان هدفها جميعاً هو إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان واليقين، ومن عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد الواحد القهار، المتفرّد بصفات الكمال، حتى ضرب الإسلام بجرانه[٢] في أرض الجزيرة العربية، وأصبحت دار أمن وأمان ونور وسلام بعد القضاء على قوى الشرك والكفر فيها، التي كانت تمنع الناس من حرية العقيدة، وتقف حجر عثرة في سبيل نشر العقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد الصافية.

فلمّا تمّ للمسلمين ذلك الأمر، تطلعوا إلى أقرب المناطق للجزيرة، فإذا هي أرض الشام، أرض المحشر، المنفذ الشمالي الواسع للجزيرة العربية، فانتقل النبي ﷺ بالسرايا والبعوث إلى هذه المنطقة تمهيداً لنشر الإسلام، رسالة الله الخالدة إلى كافّة البشر.

وأرض الشام ليست أرضاً غريبةً على الإسلام، بل هي مهد الرسالات السماوية، وأرض المحشر، باعتبار أنّ الأنبياء جميعاً دعواهم واحدة هي الإسلام، قال الله ــ تبارك وتعالى ــ في سبيل تقرير هذه الحقيقة الواضحة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية ١/٣٨٧.

(٢) الجران: هو مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره. (القاموس: جرن).
والمقصود أنّ الإسلام قد امتدّ في أرض الجزيرة كما يمدّ البعير بجرانه.

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. [سورة الشورى، الآية: ١٣].

قال درُّوزة: «وفيها تقرير حاسم لوحدة الأسس فيما أوحي الله إلى الأنبياء، وبخاصّة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وما أوحي إلى محمّد ﷺ، وبالتالي تقريرٌ لوحدة الأسس بين القرآن والكتب السماوية»[١].

والشام هي ديار الأنبياء السابقين، كما وصفها المقدسي بقوله: «إقليم الشام جليل الشأن، ديار النبيّين، ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر، والمسرى، والأرض المقدّسة، والرباطات الفاضلة، والثغور الجليلة، والجبال الشريفة، ومُهَاجَر إبراهيم، وقبر وديار أيوب وبئره، ومحراب داود وبابه، وعجائب سليمان ومدنه، وتربة إسحاق وأمّه، ومولد المسيح ومهده، وقرية طالوت ونهره، ومقتل جالوت وحصنه، وجُب أرميا وحبسه، ومسجد أوديّا وبيته، وقبّة محمّد وبابه، وصخرة موسى، وربوة عيسى، ومحراب زكريا، ومعرك يحيى، ومشاهد الأنبياء، وقرى أيوب، ومنازل يعقوب، والمسجد الأقصى، وقبر موسى، ومضجع إبراهيم ومقبرته، وموضع لقمان، ووادي كنعان، ومدائن لوط، وموضع الجنان»[٢].

---

(١) محمّد عزّة درُّوزة: سيرة الرسول ﷺ ١/٣٣٤.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٥١.

وإذا عدنا إلى الوراء قليلاً، عندما كان الإسلام في بدايته الأولى بمكّة تطالعنا رحلة الإسراء إلى بيت المقدس في أرض الشام، التي ذكرها القرآن، منوّهاً عنها: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [سورة الإسراء، الآية: ١].

وترجع البدايات الأولى لعلاقة الإسلام بالنصرانية، وزعيمتها الدّولة البيزنطية، إلى الإرهاصات المتبقية في العهدين القديم والجديد، والحديث من رهبان النصارى، وأحبار اليهود، وكُهَّان الوثنية، والأحناف، بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمنه[١].

((وهكذا فإنّ القرآن الكريم منذ الوقت المكبر من العهد المكّي يؤكّد، ــ وظلّ على ذلك في مختلف أدوار التّنْزيل، ــ على وحدة المصدر الذي صدر عنه القرآن والكتب السماوية، ووحدة الأهداف والمبادئ التي تضمنها القرآن، وتلك الكتب، وتأييد القرآن والنبي ﷺ للأنبياء السابقين والكتب السابقة، والتنويه بهم، واستشهد ــ وظلّ يستشهد بأهل الكتاب ــ على صِحَّة رسالته النبوية والتّنْزيل القرآني))[٢].

---

(١) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٢٧١، باختصار.

(٢) درّوزة، سيرة ١/٣٣٥-٣٣٦.

والمسيح في مقام عالٍ، فولادته لم تكن عادية، كولادة بقيّة الناس، والقرآن يؤيّد أنّ عيسى كلمة الله، وروحٌ منه ألقاها إلى مريم، وأنه من البشر، وهو يذمّ ويُكَفِّر القائلين بألوهية المسيح.

وكان النبي ﷺ قد وقف منذ البدء موقف المسالِم المتحبِّب من الكتابيين المحتَرِم لأنبيائهم وكتبهم، ولم يقع بينه وبينهم أي احتكاك وعداء[1].

وبعد قليل احتضن النجاشيّ المهاجرين بسبب اضطهاد مكّة لهم، أولئك الذين قال لهم رسولهم ﷺ وهو يبحث لهم عن موطن يأوون إليه ريثما تنكسر حِدَّة العدوان الوثني: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ، وهي أرض صدق»[2].

وفي المقابل نجد المسلمين، وهُم قلّة مضطهدة في مكّة، يهزّهم نبأ الهزيمة الساحقة التي مُنِيَ بها الروم المسيحيون على أيدي الفرس الوثنيين، ويصيبهم بحزنٍ عميقٍ إزاء الفرح الغامر الذي غمر قلوب مشركي قريش، وتنْزل آيات القرآن الكريم تتحدّث عن الواقعة الحاسمة، وتتنبأ بالانتصار الحاسم الذي سيحققه المعسكر النصراني ضد أعدائه المجوس، حيث يفرح

(١) درّوزة: سيرة ١/٣٢٦. بتصرف.

(٢) خليل: دراسة ٢٨١، وانظر في هذه الرواية: سيرة ابن إسحاق: ١٩٤، وفتح الباري ١٨٨/٧، وقد حسّنها الدكتور أكرم العمري في صحيح السيرة النبوية الصحيحة ١٧٠/١.

المؤمنون: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾. [سورة الرّوم، الآية: ١-٤].

وقد تحقّقت النبوءة القرآنية التي لا تخطئ، وفي بضع سنين أَلْحَقَت القوات البيزنطية بقيادة هرقل هزيمة ساحقة بالقوات الفارسية، استردت في أثرها بلاد الشام، وفلسطين، وأجزاء واسعة من العراق، وذهب هرقل إلى بيت المقدس لكي يسجد شكراً لله، وغمرت الفرحة القلّة المضطهدة في ظلمات الوثنية.

لكن هذا كُلُّه لم يمنع الكثرة من النصارى العرب أن تلعب دورها في العصر المدني بمواجهة الإسلام، وتتّخذ المواقف العدائية ضدّه على شتّى المستويات، بدفع من الدولة والكنيسة البيزنطية في معظم الأحيان، وبمعزلٍ عنهما في بعض الأحيان[(١)].

وبمرور الوقت، واتساع نفوذ الإسلام شمالاً، ووصول أنباء انتصاراته على الوثنية واليهودية إلى قبائل الشمال، بدأ المعسكر البيزنطي يفتح عينيه على الخطر المحدق بوجوده من جهة الجنوب، وأغلب الظّن أن الإمبراطور البيزنطي وكبار قادته تصوّروا الأمر في بدايته مجرّد اندفاع قبلي كبير صوب الشمال، أو محاولة إمارة عربية ناشئة توسيع رقعتها الجغرافية كما كانت تفعل إمارة كِندة، أو تدمر، على سبيل المثال، ورأوا أنه بإمكان

(١) خليل: دراسة في السيرة ٢٨١-٢٨٢.

حلفائهم العرب أنفسهم أن يكفوا الدولة البيزنطية عناء وقف هذا الامتداد، وصدّ هذه الإمارة الطموحة عن الامتداد إلى الشمال.

أكثر من هذا أنّهم اعتقدوا أنه بإمكان قبيلة من أتباعهم أن تتحرّك صوب الجنوب، لتضرب القوّة الجديدة في قاعدها نفسها، وتقصم ظهرها، وأغلب الظنّ أيضاً أن هذا الاعتقاد هو الذي دفع القبائل القاطنة في دومة الجندل في أقصى الشمال، والتي يتزعهما أُكَيْدِر بن عبد الملك الكِنْدِي، الذي يدين بالنصرانية، ويخضع لهرقل، إلى أن تتجمع وتتهيأ في زحف سريعٍ لضرب المسلمين في المدينة في ربيع من السنة الخامسة للهجرة، إلاّ أنّ الرسول ﷺ أخذ زمام المبادرة، وتحرّك بسرعة صوب الشمال على رأس ألف من أتباعه، ومن أجل أن يباغت القوم في ديارهم أخذ يسير بأصحابه ليلاً ويكمن نهاراً، حتى اقترب من هدفه، فجعلت القبائل العربية القاطنة هناك تهرب من بين يديه، لا تلوي على شيء، وبعد أن بثّ سراياه في المنطقة، قفل الرسول ﷺ عائداً دون أن يلقى من العدوّ كيداً.

وهكذا يمكن اعتبار غزوة دومة الجندل هذه أوّل حلقة في سلسلة الصراع الحربي بين عالَمي الإسلام والنصرانية، يؤكّد هذا ما ذكر الواقدي من أنّه قيل للرسول ﷺ وهو بصدد مهاجمة دومة الجندل: إنها طرف في أفواه الشام، فلو دنوت لها لكان ذلك مما يفزع قيصر.

ولم يمض سوى عام أو بعض عام حتى قام الرسول ﷺ بإرسال عبد الرحمن بن عوف في شعبان من السنة السادسة لقتال قبيلة كلب النصرانية في نفس المنطقة، وطلب منه أن يتزوّج ابنة ملكهم إن استجابوا له، تعزيزاً

للعلاقات بين الطرفين، وكسباً لودّ هذه القبيلة الموالية للعدوّ البيزنطي، فتقدّم عبد الرحمن إلى دومة الجندل، ومكث هناك ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي أميرهم النصراني، وأسلم معه ناسٌ كثير من قومه، بينما وافق الآخرون على الاستمرار في دفع الجزية مع البقاء على دينهم، ونفّذ عبد الرحمن أمر الرسول ﷺ وتزوّج تماضر ابنة الأصبغ، وقدم بها إلى المدينة.

وقد كان من نتائج هذين الانتصارين أن أدركت القبائل الضاربة هناك أن حجم القوّة الإسلامية وقدرتها على التحرّك أكبر ممّا كانت تظن، وربّما بلغ ذلك القيادة البيزنطية نفسها، فكفّت عن تكرار المحاولة ردحاً طويلاً من الزمن أتاح للمسلمين تحقيق انتصارهم على الوثنية في صلح الحديبية، وتصفية المواقع اليهودية في الشمال، خيبر والقرى المحيطة بها، وقيام النبي ﷺ بمكاتبة ملوك وأمراء العالم، بما فيهم الإمبراطور البيزنطي وأتباعه الغساسنة، وحكّام مصر والحبشة.

والحقّ أن المعسكر البيزنطي هو الذي حظي بالقسط الأعظم من مكاتبة الملوك والأمراء، ربّما لأن الرسول ﷺ أدرك أن الوشائج التي تربط الإسلام بهذه الجهة، باعتبارها تنتمي إلى دينٍ سماويٍّ، تنصّ مصادره الدينية على نبوّة الرسول ﷺ ستقودهم إلى تفهّم دعوته التي انطلق بها سفراؤه إلى ملوك وحُكّام هذه المعسكر، فضلاً عن قربه الجغرافي من شبه الجزيرة، إلاّ أنّ ردود الفعل النصرانية لم تكن سواء، وتدرّجت بين الانتماء إلى الدعوة الجديدة، أو الموقف الوديّ منها، وبين الرفض الغاضب الوقح.

وفي أعقاب صلح الحديبية بعث الرسول ﷺ أربعة من رجاله إلى العالم النصراني: دِحْيَة بن خليفة الكلبي إلى الإمبراطور البيزنطي هرقل، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم مصر، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي حاكم الحبشة، وشجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق.

لقد أوضحت تلك الكتب والرسائل التي بعثها رسول الله ﷺ إلى ذلك العالم «أنّ هذا الدين ليس دين عربٍ أو جزيرة عربية، وإنّما هو دين الإنسان حيثما كان هذا الإنسان، ونداء إلى السلطات الحاكمة أن تستجيب للدعوة أو تسمح ــ على الأقل ــ لدعاها بممارسة نشاطها بحريّة، ولشعوبها في مقابلة هؤلاء الدعاة والاستماع إليهم لكي يختاروا عقيدهم على بيّنةٍ، بعيداً عن الضغط والقسر والإكراه، وإنذاراً لهذه السلطات بأنّها إن لم تُلَبِّ وتستجب، فإنّ جيوش الدعوة الجديدة ستنساح عمّا قريب في مشارق الأرض ومغاربها لكي تسقط التيجان، وتثلُّ العروش، وتنْزل السلطات من مناصبها العليا، وتخرج الناس بذلك وحده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده»[1].

ويبدو أنّ تلك السلطات بما لها من قوّة سياسية وعسكرية مؤثّرة في المنطقة، رأت في ذلك استفزازاً لها وتعدياً على كبريائها، وانتهاكاً لسيادتها

(١) خليل: دراسة ٢٨٣-٢٨٦، ٢٩٣.

على المنطقة، فاستغلت أقرب فرصة للتعبير عن رفضها القاطع للدعوة الجديدة، ومحاربتها بكل الوجوه، فكان ذلك التعدي، وتلك المواقف الغادرة من بعض أمراء وقبائل المنطقة ضدّ الدعاة ـــ الذين أرسلهم النبي ﷺ ـــ إلى ذات أطلاح، ثُمَّ مقتل الحارث بن عمير الأزدي مبعوث النبي ﷺ إلى ملك بصرى.

فكان على الرسول ﷺ أن يتخذ موقفاً حاسماً إزاء القبائل العربية النصرانية الموالية للبيزنطيين بعد المواقف التي اتّخذها بعض أمرائها من دعاة الإسلام ورسلهم إلى الشام(١).

فكانت غزوة مؤتة في السنة الثامنة، ثُمَّ توالت السرايا والبعوث النبوية بعد ذلك، فكانت ذات السلاسل، ثُمَّ أُبنى، وغيرها من البعوث والسرايا التي كانت جميعها بما فيها غزوة مؤتة وما قبلها من السرايا تصب في بوتقةِ نشر الدعوة وإعلاء كلمة الله، وتمهيد للفتوحات الإسلامية في تلك المنقطة الغالية والعزيزة على قلوب المسلمين بحسب ما ذكرناه من الاعتبارات السابقة. والله تعالى أعلم.

---

(١) خليل: دراسة ٢٩٤، باختصار.

مُقَدِّمَة

أهمية الدّراسة، وسبب اختيار الموضوع:

لقد هيأ الله ــ تبارك وتعالى ــ أن أكون أحد خُدّام سيرة المصطفى ﷺ خلال العشر سنوات التي مضت من عمري، منذ أن سجّلت في الدّراسات العليا، حيث كانت البداية في مرحلة الماجستير، التي وفّقني الله ﷻ فيها باختيار موضوع السرايا والبُعُوث النبويّة، كبحث لرسالة الماجستير، لأرتبط منذ البداية ذلك الارتباط المحبَّب إلى نفسي منذ نعومة أظفاري، مع سيرة أحبّ الخلق وأكرمهم على الله ــ تبارك وتعالى ــ، محمّد ﷺ، وسيرة أصحابه خير الخلق وأفضلهم بعد نبيّه ﷺ.

ولأنّ السرايا والبعوث النبوّية كانت كثيرة جداً، فقد تمّ الاقتصار في الدراسة على السرايا والبعوث النبوّية حول المدينة ومكّة.

ولقد كانت تلك الدراسة دراسة نقدية وتحليلية لروايات السرايا والبعوث، غير مسبوقة ــ حسب اعتقادي ــ من حيث النقد والتحليل والتنظيم.

وكانت تلك تجربة شيقة وممتعة بالنسبة لي، رغم ما اكتنفها من صعوبات.

ولما طُلِبَ مني اختيار موضوع لرسالة الدكتوراه، أصرّ الأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمري ــ حفظه الله تعالى ــ الذي تولّى الإشراف عليَّ في مرحلة الماجستير، وجزءاً غير قليل في مرحلة الدكتوراه ــ على أن

أكمل دراسة بقية السرايا والبُعُوث، فكان ذلك الإصرار دافعاً قويّاً لي لمتابعة العمل، رغم علمي المسبق نتيجة التجربة السابقة أنّه لن يكون عملاً هيِّناً.

فتقدّمت إلى القسم لتسجيل الموضوع، وذلك بعد وضع الخطة المناسبة التي وزَّعت عليها ما تبقى من السرايا والبعوث النّبويّة، وأضفت عليها غزوة باعتبار أنّها تدخل ضمن نطاق السرايا والبعوث النّبويّة، وذلك حسب اصطلاح أهل المغازي في تعريف الغزوة والسرية[1]. فكان العدد حوالي خمسٍ وأربعين سرية، نصفها مسند بروايات لدى كُتُب الحديث، والتفسير، وأسباب النّزول، والسيرة النّبويّة، والدلائل، وكتب التاريخ، وغيرها من المصادر، والنصف الآخر مرويّ بلا إسنادٍ في كتب السيرة والتاريخ.

وتشمل تلك السرايا والبعوث سرايا تأديبية، وبعوث دعوية، وأخرى قتالية، وسرايا تحطيم الأصنام، بالإضافة إلى سرية مؤتة التي أفردت لها فصلاً خاصّاً لكثرة وتعدّد الروايات الخاصّة بها.

كما تشتمل الخطّة على سرايا مبهمة، وأخرى لم ترد فيها روايات مفصَّلة، وهي تصل في عددها إلى أكثر من ثلاثين بعثاً وسرية.

وبعد أن عُرِضَ الموضوع على مجلس الكليّة الموقّر، رأى المجلس اختصار الموضوع بتقليص عدد السرايا والبعوث بالتنسيق مع فضيلة المشرف.

---

(١) انظر: بريك محمّد أبو مايلة: السرايا والبعوث النّبويّة حول مكّة والمدينة: ٤٣.

وبعد مناقشة الأمر مع فضيلته، اقترح عليَّ أن أقتصر على غزوة مؤتة مع السرايا والبعوث النّبويّة الشَمالية. وفعلاً تمَّ اختيار الموضوع بهذا العنوان: **[غزوة مؤتة، والسّرايا والبعوث النّبويّة الشّماليّة ــ دراسة نقدية]**.

إنّ الأهمية التي تمثلها هذه الدراسة، هو أنّ معظم الدراسات الحديثة للسرايا والبعوث النبوية هي في الغالب سرد المعلومات المختلفة التي وردت عنها في المصادر القديمة دون تمحيص، وبخاصّة ما ورد عنها في مغازي الواقدي، وتلميذه ابن سعد في طبقاته، باعتبارهما من المصادر القليلة القديمة المتوفرة التي أفردت أبواباً كثيرة للسرايا والبعوث، مع إيراد معلومات مفصَّلة عن الأحداث، وقد يُعْذَرُ الباحثون المعاصرون في اعتمادهم هذين المصدرين فقد اعْتُمِدَ عليهما من قِبل معظم كُتّاب المغازي المتأخرين، أمثال ابن سيد الناس، والمقريزي، والحلبي، والشامي، والقسطلاني، والذهبي، وابن حجر، وابن القيم، وغيرهم.

وإنّه من استقراء منهجَي الواقدي، وتلميذه ابن سعد، في رواياتهما عن السرايا والبعوث، فقد لاحظت أنّ الواقدي يحشد معلومات وفيرة، وتفصيلية عن الأحداث، وربما ينفرد بها عن غيره من أهل المغازي، وقد تابعه في ذلك تلميذه ابن سعد، وبخاصّة الروايات التي يسوقها عن شيوخه بلفظ: «قالوا»، وهي في الغالب منقولة عن شيخه الواقدي لتطابق المعلومات بينهما.

والواقدي متروك عند المحدِّثين، لذلك حاولت قدر المستطاع عدم الاعتماد على روايته إلاّ في الجوانب التي لا تختصّ بالأمور العقدية والشرعية ونحتاج إليها لإكمال الإطار التاريخي للحادثة.

وباعتبار أنّ هذين المصدرين متداولان، وسهلا التناول، فقد كان الاعتماد عليهما كثيراً بالنسبة لمن كتب عن السرايا والبعوث، بينما هنالك روايات وردت عن ثقات أهل المغازي، كعروة، والزهري، وموسى بن عقبة، ومحمّد بن عائذ، وغيرهم، ولكن لفقدها، وتناثر رواياتها في بعض الكتب والمصادر غير المتخصّصة، جعلها غير معروفة لدى الكثير ممّن كتب عن السرايا والبعوث من المعاصرين.

وكان من نتيجة هذا الأمر أن اختلطت المعلومات حول السرايا والبعوث، لأنّ من كتب عنها إنّما راعى عملية حشد المعلومات الواردة في المصادر المتوفرة، دون استقصاء وبحث عن الصحيح من الروايات، ودون تمحيص أو نقد، ممّا ولّد انطباعاً لدى البعض أنّ معظم الروايات التي تحدّثت عن تلك السرايا والبعوث إنّما هي في الغالب غير صحيحة، لأنّه رأى في بعضها نوعاً من المبالغة والتهويل ومخالفة المعقول، مثل ما ذكر عن عدد الروم وحلفائهم في مؤتة، وما ذكر ـــ أيضاً ـــ عن استمرار المعركة سبعة أيام.

أيضاً كان هنالك نوعٌ من الاختلاف والتناقض واللبس في بعض الروايات، مثل ما ذكر عن سرية زيد بن حارثة ﷺ، إلى بني فزارة، وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني مرّة (الحرقات).

إنّ هذه الدراسة باعتمادها تنويع المصادر المختلفة، وبخاصّة الموثوق منها مثل: كتب الحديث وغيرها من المصادر، كان من ثمارها تلك المعلومات التي قد يلاحظها القارئ لأوّل مرّة، مثل ما ذُكِرَ في رواية أبي قتادة ﷺ، عن محاولة النبي ﷺ إمداد أهل مؤتة حينما بلغه خبرهم.

لقد أتاح لي استقراء كتب الحديث، والتفسير، وكتب التراجم، وبعض المخطوطات، الخروج بذخيرةٍ لا بأس بها من الروايات غير المشهورة وإنّني بذلك لا أدّعي الجدّة في الموضوع بمعناها المطلق، فعلم المغازي ليس علماً تجريبياً، وإنّما هو من العلوم النقلية التي استُفْرِغَتْ فيه الجهود العظيمة، على مرّ العصور مِمّن هم أفضل مني وأعلم. كما أنّ من الأمانة العلمية الاعتراف بالاستفادة من كتابات المعاصرين، وكانت بعض تلك الكتابات قد صِيغَت بأسلوبٍ أدبي رائعٍ، ولكنها في الحقيقة كتبت اعتماداً على بعض روايات أهل المغازي دون تمحيص أو توثيق.

وحيث إنّني كنت بين أمرين: إمّا أن أكتب من جديد في الموضوع، وذلك طبعاً بعد عمليتي النقد والتوثيق، أو أستفيد من كتابات بعض من سبقني، وبخاصّة في الروايات التي تتَّفِق مع منهجي في العمل، مع إضافة أسلوبي أحياناً كثيرة.

فكان أن اخترت الأمر الثاني، لأنّني لن آتي بجديد غير ما كُتِب، فرحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، وحسبي أنني اجتهدت في تنويع المصادر مع اختيار الأصحّ قدر المستطاع، كما أجهدت نفسي في عمليتي النقد والتوثيق، وهما العمليتان اللتان لم أُسْبَق إليهما ــ حسب علمي ــ بمثل هذا التوسع والعمق، وإن كان هنالك بعض من سبقني بالنسبة لنقد الروايات، ولكنها كانت إمّا أعمالاً مختصرة، أو مقتصرة على روايات بعض أصحاب المغازي فقط.

خُطّة البحث:

تشتمل خطّة البحث على: مقدّمة، وثلاثة أبواب، يحتوي كلّ باب على عدّة فصولٍ، يندرج تحت كلّ فصلٍ عدّة مباحث، وبعض المباحث تحتوي على بعض المطالب، وخاتمة، ثم فهارس تفصيلية.

هذا وقد قسمت خطّة البحث وفق التسلسل التاريخي للأحداث، حيث كانت هنالك سرايا حدثت قبل غزوة مؤتة وسرايا بعدها، وحتى تكون الرسالة منسجمة مع التسلسل التاريخي للأحداث جعلت السرايا التي حدثت قبل مؤتة في الباب الأوّل، وسَمَّيْته: السرايا والبعوث النّبوّيّة الشّمالية قبل غزوة مؤتة، وجعلت الغزوة بفصولها ومباحثها في الباب الثاني، أما الباب الثالث فجعلته للسرايا التي حدثت بعد غزوة مؤتة، وسَمَّيْته: السرايا والبعوث النّبوّيّة الشّمالية بعد غزوة مؤتة.

وكانت الخطّة على النحو التالي:

تمهيد:

مقدّمة: وتشمتل على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والخطّة، والمنهج والصعوبات التي واجهتها، وشكرٍ وتقديرٍ.

الباب الأوّل: السرايا والبعوث النّبوّيّة الشّمالية قبل غزوة مؤتة، ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: سرايا زيد بن حارثة ﷺ، وهي السرايا التي ذكر أهل المغازي أنّ النبي ﷺ بعثها إلى المنطقة بقيادة حبّه زيد بن حارثة ﷺ، وذلك لتأديب الأعراب الذين كانوا يشكلون خطراً متنامياً على المسلمين الذين كانوا يتطلعون إلى المضي قدماً في دعوتهم إلى الإسلام في المنطقة، وكانت ثلاث سرايا: الأولى إلى وادي القرى،والثانية:إلى حسمى،والثالثة إلى مدين.

الفصل الثاني: السرايا والبعوث النّبويّة إلى فدك، وهي السرايا والبعوث التي أرسلت إلى مناطق القبائل المشركة، التي كانت تسكن حول فدك، وهم: بنو سعد، وبنو مرّة، وغيرهم، وذلك في سياق الجهود المبذولة من النبي ﷺ لتحطيم الحلف الخيبري القائم بينها وبين يهود خيبر، وكانت ثلاث سرايا أيضا: الأولى بقيادة عليّ بن أبي طالب ﷺ إلى بني سعد، والثانية بقيادة بشير بن سعد إلى بني مرّة، والثالثة بقيادة غالب بن عبد الله الليثي إلى الحرقات.

الفصل الثالث: بقية السرايا والبعوث النّبويّة قبل غزوة مؤتة، وهي ثلاث سرايا انطلقت إلى أماكن مختلفة لتحقيق أهداف معيّنة، وكانت السرية الأولى بقيادة عبد الرحمن بن عوف ﷺ إلى دومة الجندل؛ لدعوة ملكها وأهلها إلى الإسلام، والثانية

بقيادة بشير بن سعد ﷺ إلى الجناب، وذلك لضرب تجمعات الأعراب المعادية للمسلمين في عقر دارهم، والثالثة بقيادة كعب بن عمير ﷺ إلى ذات أطلاح، وكانت بعثة دعوية غدر بها الأعراب.

الباب الثاني: غزوة مؤتة، ويحتوي على سبعة فصول: تتحدث عن المعركة، وموقعها، وأسباب الغزوة، وتاريخها، وعن حشد القوات الإسلامية، وحشد قوات الحلفاء من الروم والعرب المنتصرة، ثم سير الأحداث وأخيراً نتائج المعركة، والأحكام المستنبطة والدروس المستفادة.

هذا، ولقد حاول الباحث في هذا الباب أن يكون الانسجام والتناسق منتظماً بين فصوله ومباحثه، وهكذا فإنّه لو رفعت عناوين فصوله ومباحثه لما اختل نظمه، وما انفرط عقده، ولألفيته متّسقاً في تناظم رائع وتناسق بديع.

الباب الثالث: السرايا والبعوث النّبوّيّة الشّمالية بعد غزوة مؤتة، وتحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: سرية عمرو بن العاص ﷺ إلى ذات السلاسل.

الفصل الثاني: سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى الأكيدر.

الفصل الثالث: سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أبنى.

وهذه السرايا كانت لإخضاع العرب المنتصرة لسلطان المسلمين بتحطيم حلفهم ـــ المعادي للمسلمين ـــ مع الروم وذلك لإتاحة المجال للدعوة والدعاة أن يتحركوا بسلاسة وأمان في المنطقة.

الخاتمة: وتحتوى على أهمّ النتائج والدراسات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية.
٢- فهرس أطراف الأحاديث النّبويّة الشّريفة.
٣- فهرس أطراف الروايات.
٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.
٥- فهرس الأماكن والبلدان.
٦- فهرس القبائل.
٧- فهرس المصادر والمراجع.
٨- فهرس الموضوعات.

هذا استعراض موجز لمفردات هذا البحث الذي منّ الله سبحانه وتعالى فيه من دراسة غزوة مؤتة والسرايا والبعوث الشّمالية والتي بذل فيها الباحث غاية جهده، وربّما يكون قد فاته بعض السرايا والبعوث، ولكن لا يلام المرء مع اجتهاده.

منهج البحث:

أوّلا: كانت البداية هي محاولة استقصاء الروايات من مختلف المصادر التي كتبت عن السرايا والبعوث، سواء المتخصّص منها ككتب المغازي والسير، والشمائل، والدلائل، وكتب التاريخ المختلفة، وركّزت كثيراً على كتب السُّنّة المختلفة من صحاح ومسانيد ومجاميع وزوائد، كذلك نظرت في كتب الطبقات وتراجم الرجال، بخاصّة كتب معرفة الصحابة، كما حاولت ــ قدر المستطاع ــ الإفادة من بعض المخطوطات.

ثانياً: نقد هذه المرويات وفق منهج المحدّثين، حيث قام الباحث بدراسة الأسانيد وفق هذا المنهج، حسب ما أدّاه اجتهاده، ووسعه علمه المتواضع، وكان عمله في ذلك كما يلي:

١- بالنسبة للأحاديث والروايات المخرَّجة في الصحيحين أو في أحدهما، فلا تحتاج إلى نقد، لذلك لم أنظر في تراجم رجالهما، وإنّما أثبتّها مشيراً إلى رقم الجزء والصحيفة فقط.

٢- نظر الباحث بعد ذلك في الأحاديث والروايات المخرَّجة في كتب السنن والمسانيد، مع قراءة متأنية في ترجمة رواتها، متتبعاً ألفاظ الأحاديث المختلفة، مع ذكر الشواهد والمتابعات التي ربّما ترد في كتب أخرى غير كتب الحديث.

٣- نقل الباحث حكم النُّقَّاد على الرواية والحديث، سواء القدامى منهم أمثال: ابن حجر، وابن كثير، والذهبي، والهيثمي، وغيرهم، أو المعاصرين كالألباني، وأحمد شاكر، والبنا، ثُمّ إن كان له تعقيب على أقوالهم وأحكامهم ذكره، وإلاّ اكتفى بما ذكروه.

٤- إذا لم يحكم على الرواية أو الحديث، حكم الباحث عليه بعد دراسة متأنية لسنده، وذلك من خلال كتب الرجال والجرح والتعديل، فإذا وجد ترجمة الراوي في كتاب التقريب لابن حجر، اكتفى به، لأنّ عبارته محرَّرة ومختصرة كثيرة الإتقان، وربّما استعان بكتاب التهذيب لمعرفة شيوخ الراوي وتلاميذه لتحديد المعاصرة والالتقاء من عدمها.

وإذا كان الراوي من غير رجال التقريب نظر في بقية كتب الرجال والجرح والتعديل لمعرفة حاله والحكم عليه.

ومما ينبغي ذكره أن الباحث تجنّب في ترجمة الرواة ذكر بعض الكُنى والألقاب لبعض الرواة لأنّهم كانوا يغضبون منها ويتحرّجون من ذكرها في حياتهم.

٥- نظر بعد ذلك في روايات الأخبار الأخرى التي ترد في كتب المغازي المشهورة، كسيرة ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، وطبقات ابن سعد، وذلك للاستفادة منها في إكمال الصورة التاريخية للحادثة، وما كان منها مسنداً درس سنده ثُمّ حكم عليه.

أما ما يرد عند الواقدي، أو كان الحديث غير مسند، فإن الباحث ينقله مع ذكر رقم الجزء والصحيفة، والإشارة إلى راويته في المتن.

ثالثاً: أما في التخريج، فقد وضع الباحث الخلاصة التي توصل إليها بعد دراسة الرواية، وتوابعها، وشواهدها، وحكم النُّقَّاد عليها، أو حكمه عليها. وحتى لا تضيع الروايات في أثناء التحليل، فقد اقترح عليَّ فضيلة المشرف الدكتور عوض بن أحمد سلطان الشهري ـــ حفظه الله ـــ أن أضع لها أرقاماً تسلسيةً تبرزها، فإذا وردت الرواية لأوّل مرّة قمت بتخريجها والحكم عليها، وإذا تكررت أشرت في الحاشية أنّه قد سبق تخريجها ذاكراً اسم الراوي، والمصدر، والرقم التسلسلي الأوّل الذي خُرّج عنده.

رابعاً: بالنسبة للأمور الخلافية، من تواريخ السرايا والبعوث، وأسباها، والخلاف في مسمياتها، وأماكنها، فقد درسها وَفْقَ المنهج التاريخي، وذلك بإجراء المقارنة، ومحاولة الجمع أو الترجيح، مستدلاً بأقوال النُّقَّاد الذين سبقوه في ذلك من أمثال: ابن حجر، والشامي، والسهيلي، والحلبي، وابن القيّم، والزرقاني، متبعاً ذلك بما يراه من ترجيح قول أو رأي.

ثم جعل ما توصل إليه من نتائج في مطالب، أو مباحث، أفرده بها، وتحدّث فيها جامعاً بين الأسلوب التاريخي، وأسلوب المباحث الفقهية، ذاكراً الآراء، وجامعاً بينها إن أمكن، ومقارناً فيما بينها، ومرجّحاً إذا تعذّر الجمع.

خامساً: الصياغة النهائية للبحث كانت صياغة تاريخية، معتمدة على الروايات المدروسة، ومطعمة بالتحليل المناسب المقتبس من بعض المراجع الحديثة، أو المصاغ بأسلوب الباحث الخاص، وقد حاول الباحث استيعاب معظم المرويات التي تمّ دراستها باعتبارها الهيكل والأساس الذي بنيت عليه هذه الرسالة، معتمداً الأصحّ منها تاركاً الروايات المتشابهة، والشواهد، والمتابعات، التي أشار إليها في الحواشي في أثناء التخريج.

ومكمِّلاً ببعض الروايات الأخرى التي قد تكون ضعيفة من الناحية الحديثية، ولكننا نحتاج إليها لتكملة إطار الحادثة التاريخية.

وربما كانت بعض السرايا تعتمد اعتماداً كليّاً على هذه الروايات الضعيفة، لعدم وجود غيرها يمكن الاعتماد عليه، مع ملاحظة أنّه لا يمكن الاعتماد على تلك الروايات إذا كان هنالك أمر يتعلّق بالعقيدة والشريعة.

وربما قطّع الباحث متن الرواية الواحدة في أماكن مختلفة حسب سير الأحداث، مؤلّفاً بينه وبين متن رواية أخرى، وذلك في محاولة لإعطاء أفضل صورة تاريخية للحدث.

لقد حاول الباحث في هذه الدراسة أن يجمع بين الروايات المتعددة لحوادث السرايا والبعوث المختلفة والمتناثرة بين طيات المصادر المختلفة من كتب حديث، ومغازي، ودلائل، ورجال، وغيرها، ألّف بينها ــ قدر المستطاع ــ وحسبما أدّاه اجتهاده المتواضع

لمعرفة أحداث السرايا بالترتيب والتفصيل، مستعيناً بالله ﷻ، ثم بكتابات مَن سبقه، عازياً كلّ قول لصاحبه. والله تعالى أعلم.

سادساً: وأخيراً، نقل الباحث في بعض السرايا والبعوث بعض الأحكام الفقهية مستعيناً بأقوال الفقهاء في ذلك، وبأقوال النُّقّاد الذين ساروا على هذا النهج كابن حجر، وابن القيّم، والسهيلي، والحلبي، والزرقاني، والعامري، وغيرهم.

كما أَفْرَدَ الباحث مبحثاً خاصّاً بالدروس والعبر والعظات المستفادة من أحداث السرايا والبعوث، اجتهد بذكرها بعد دراسة متأنية، وسبرٍ للأحداث، فكان ذلك بمثابة دراسة تحليلية للأحداث، وربّما يقع بعض التحليل ــ أيضاً ــ بين ثنايا المباحث والمطالب، وبخاصّة (سير الأحداث)، وربما يكون ذلك استطراداً، ولكن ما دفعه إلى ذلك هو واقعنا الأليم الذي نعيشه اليوم ونكابده، هذا الواقع المُرّ فرض عليه هذا الاستطراد، وأطلق لقلمه العنان، دون شعور منه، في محاولة للربط بين بعض أحداث هذه الغزوات بالواقع المعاصر، وهو ما قصده في مطالب الدروس والعبر المستفادة من الأحداث، لأنّ التاريخ ما هو إلاّ عبرة وعِظَةٌ لمن أراد أن يعتبر، ونبراس وهدى لمن أراد أن يستفيد من التجارب الماضية، وسنن الله الكونية، وسنن الله تبارك وتعالى في خلقه. والله تعالى أعلم.

وقد ضبط الباحث شرح الألفاظ التي تحتاج إلى ضبطٍ، من كتب المعاجم اللغوية، مثل: اللسان، والقاموس، والنهاية، وغيرها.

كما عمد على تعريف شامل للمواضع والأماكن والبلدان التي وردت في البحث من خلال معاجم البلدان، مثل: معجم ما استعجم للبكري، ومعجم البلدان لياقوت، وغيرهما، ثُمَّ أتبع ذلك بتعريف حديث لهذه الأماكن من الكتب الجغرافية التاريخية الحديثة، وبعض الدوريات، مثل: معجم السيرة، رحلات في بلاد العرب، للبلادي، مدائن صالح لمحمّد عبد الحميد مرداد، ومجلّة الدارة، ومجلّة المقتطف، وغيرها.

هذا،وقد جعل الباحث لذلك مطلباً خاصّاً يسبق كلّ سرية وبعث.

الصعوبات التي واجهتني في أثناء هذا البحث:

لقد واجه الباحث ـــ بحمد الله ـــ صعوبات كثيرة، في عملية النقد وسبر الروايات، وتمثّلت هذه الصعوبة بشكلٍ كبيرٍ في أسانيد بعض الروايات التي درسها وإليك بعض النماذج:

١- رواية ذكرها ابن سعد، وساق سندها هكذا: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، أخبرنا أبو شهاب، عن هشام، عن الحس... وبحث الباحث عن أبي شهاب ووجده في التهذيب، ولكن لم يذكر ابن حجر ترجمته وافية لمعرفة مَن روى عنه، فلم يستطع معرفةَ مَن هو هشام؟ ومَن هو الحسن؟ وهكذا أخذ يبحث في الطبقات لعلّ ابن سعد يكرّر السند بوضوحٍ أكثر، ولكن دون جدوى، وأخيراً فتح الله عليه بعد بحثٍ جادٍ ومتقنٍ لمدّة يومين، فعرف مَن هو هشام، ومَن هو الحسن،من كتاب التهذيب.فلله الحمد.

٢- رواية ذكرها الشامي في السُّبُل عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم، ومحمّد بن القراب في تاريخه، ولأوّل وهلة يظن القارئ أنّ الرواية جاءت عن طريق رجلين هما أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم، ومحمّد بن القرّاب، وهكذا بحث الباحث في كتب التراجم والرجال عن ترجمة إسحاق بن إبراهيم، فوجد أن هناك أكثر من واحد بهذا الاسم، ولكن مَن هو المعني بهذه الترجمة؟ بينما لم يجد ترجمة لمحمّد بن القرّاب، وظلّ يبحث فترة

طويلة حتى اهتدى بفضلٍ من الله إلى الأمر، وهو أنّ هاتين الترجمتين ما هما إلاّ لشخصٍ واحدٍ، وهو أبو يعقوب إسحاق ابن إبراهيم ابن محمّد القرّاب، وقد تصحّفت (ابن) إلى (و) عند الشامي في السُّبُل. فلله الحمد والمنّة.

٣- ترجمة محمّد بن عمرو بن خالد (أبو علاثة)، حيث لم يترجم له أحد، حيث بحث الباحث في جميع كتب التراجم، فلم يجد له ترجمة، غير أنّ الذهبي ذكره في ترجمة أبيه في السير، واصفاً إيّاه بالإمام.

٤- ترجمة (أبو سعيد بن أبي عمرو) هكذا أورده البيهقي، ممّا أرهق الباحث كثيراً في البحث عنه، حتى وجد ترجمته أخيراً في السير والعبر، للذهبي. واسمه: محمّد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي.

٥- ذكر محمّد بن إسحاق في روايته عن سرية ذات السلاسل أنّه رواها عن محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي، وبعد البحث والتمحيص لم يجد الباحث من ترجم له، وبعد بحث مُضْنٍ وجده في كتاب تعجيل المنفعة لابن حجر مترجماً له بقوله: محمّد بن عبد الرحمن بن الحصين، وذكر أنّ ابن إسحاق يروي عنه.

شكرٌ وتقديرٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا،من يهده الله فلا مُضلَّ له،ومن يُضْلِل فلا هاديَ له.

وأشهد ألاّ إله إلاّ الله ـــ وحده لا شريك له ـــ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً. أما بعد...

فيقول الله ـــ تبارك وتعالى ـــ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.[سورة إبراهيم، الآية: ٧] فمن هذا المنطلق فإنه لا يسعني ـــ بعد أن منّ الله عليَّ وتفضّل تبارك وتعالى من إتمام هذا العمل الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم ـــ سبحانه وتعالى ـــ، وأن يكون في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ـــ إلاّ أن أشكر الباري ﷻ شكراً جزيلاً وافياً، وأحمده حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه على نعمه وآلائه التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وعلى إعانته تبارك وتعالى وتوفيقه وتسديده لي في هذا العمل الذي أرجو أن يكون مقبولاً عنده ﷻ.

كما أتوجه بالشكر الجزيل الوافر إلى والديَّ العظيمين اللذين مهما قلت فلن أوفيهما حقّهما من الشكر والامتنان، ولا أملك إلاّ أن أدعو لهما كما أمر الله ﷻ:﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[سورة الإسراء، الآية: ٢٤].

وإنّ من فضل الله تبارك وتعالى عليَّ في هذا البحث أن تَلْمَذْتُ فيه على يد شيخين جليلين فاضلين، جليلين بعلمهما، فاضلين بأخلاقهما، المتميزة، لقد كان للأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمري ـــ حفظه الله تعالى

ـــ الفضل ـــ بعد الله تبارك وتعالى ـــ في توجيهي إلى هذا العمل، ومرافقتي فيه فترة ليست بالقصيرة، كان فيها نِعْم المُوَجِّه ونِعْمَ المُرشِد.

ولقد كان لدماثة أخلاقه التي اشتهر بها الأثر البالغ في نفسي، كما كان لتشجيعه المتواصل الدافع لاستمراري في العمل.

ثُمَّ شَرفت بمرافقة الدكتور عوض بن أحمد سلطان الشهري ـــ حفظه الله تبارك وتعالى ـــ الذي كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى ـــ في ظهور هذه الرسالة بهذا التنظيم والترتيب المتقن، فقد استفدت من توجيهاته السديدة، وملاحظاته القيّمة التي أتحفني بها رغم مشاغله الكثيرة.

وإنني لا أجد من الكلام ما يفي شكرهما وتقدير جهودهما وعطائهما العلمي، غير أنني أدعو الله لهما بدوام التوفيق والصحّة ودوام العافية، وأن يجزيهما الله خير الجزاء، وأن يبارك في عملهما وعمرهما وينفع بهما، وأن يكون ذلك في ميزان حسناتهما يوم القيامة.

كما أشكر القائمين على الجامعة الإسلاميّة، وعلى رأسهم مدير الجامعة فضيلة الدكتور صالح بن عبد الله العبود ـــ حفظه الله تعالى ـــ بما يسرُّوه وأتاحُوه من سُبُل لطلبة العلم الوافدين عليها من أقطار الأرض للنهل من ينابيع العلم الصافية المستقاة من الكتاب والسنة.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يزيد هذا الصرح العلمي العظيم سؤدداً وشموخاً ورفعة في ظلّ حكومتنا الرشيدة التي كانت منذ إنشائها على يد المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـــ طيَّب الله ثراه، وجزاه عن أُمَّة الإسلام خير الجزاء ـــ وحتى هذا العهد الزاهر، عهد خادم

الحرمين الشّريفين الملك فهد بن عبد العزيز ــ حفظه الله تعالى وأسبغ عليه نعمة الصحّة والعافية ــ وهي لا تألو جهداً في خدمة ودعم الإسلام والمسلمين في أصقاع الأرض، وفي كل المجالات، وما هذه الجامعة العظيمة التي نفع الله بها أبناء العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية حتى وهم في أماكنهم ــ وذلك من خلال الدورات التعليمية الصيفية التي تقيمها الجامعة سنوياً في بلدانهم ــ إلاّ ثمرة من ثمار هذا الدعم المتواصل والمتعدِّد، فجزاهم الله كل خيرٍ، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وزادهم الله عزّاً وتوفيقاً وسدَّد خطاهم لِمَا يحبّه ويرضاه.

وفي الختام لا يفوتني أن أشكر كُلَّ مَن ساهم معي في إخراج هذا العمل إلى حيّز الوجود، وأعانني عليه من الإخوة والزملاء وغيرهم، وأخصّ منهم الشيخ طلال بن سعود الدعجاني، الذي أعارني بعض المصادر المخطوطة، وأفادني ببعض المعلومات عنها.

شكر الله للجميع عونهم، وجزاهم كلَّ خير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباب الأوَّل: السرايا والبعوث النبوية الشمالية قبل غزوة مؤتة

ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سرايا زيــد بن حارثــة رضي الله عنه.

الفصل الثاني: السرايا والبعوث النبويــة إلى فــدك.

الفصل الثالث: بقية السرايا والبعوث النبوية الشمالية قبل غزوة مؤتة

الفصل الأوَّل: سرايا زيــد بن حارثــة رضي الله عنه

وفيه ثلاثــة مباحث:

المبحث الأول: سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى وادي القرى.

المبحث الثاني: سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى حسمى (جذام).

المبحث الثالث: سريــة زيــد بن حارثــة رضي الله عنه إلى مديــن.

المبحث الأول: سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى وادي القرى[1]:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعريف بوادي القرى.

المطلب الثاني: تاريخ السرية.

المطلب الثالث: الخلاف في سبب السرية.

المطلب الرابع: الخلاف في قائد السرية.

المطلب الخامس: سير الأحداث.

المطلب السادس: الأحكام المستنبطة والدروس المستفادة.

---

(١) وقع خلاف كبير بين أهل المغازي حول هذه السرية، ومَنْ كان قائدها، وقد رجَّحت أنَّها كانت بقيادة أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ، ولكن بسبب الارتباط الكبير بين هذه السرية، والسرية التي كانت بقيادة زيد بن حارثة ـ رضي الله تعالى عنه ـ، والتي كانت سبباً لهذه السرية، وما ذكره أهل المغازي من أنَّ هذه السرية كانت بقيادة زيد، لأجل ذلك كله جعلتها هنا ضمن سرايا زيد بن حارثة ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

المطلب الأول: التعريف بوادي القرى:

واديِ القُرَى- بضم أوَّله، وفتح ثانيه، والقصر- جمع قريـــة، وهو وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سُمّي وادي القُرى، والنسبة إليه (واديّ)، قال أبو المنذر: سُمّي وادي القُرى، لأنَّ الوادي من أوَّله إلى آخره قُرىً منظومة.

وقال أبو عبيد الله السكوني: «وادي القُرى والحِجْر والجناب، منازل قضاعة، ثُمَّ جهينة، وعذرة، وبليّ، وهي بين الشام والمدينة، يمرُّ بها حاج الشام، وكانت قديماً منازل ثمود وعاد[1]، وبها أهلكهم الله، وآثارها إلى الآن باقيـــة، ونزلها بعدهم اليهود واستخرجوا كظائمها[2]، وأساحوا عيونها، وغرسوا نخلها، فلمَّا نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفاً، وكان لهم فيها على اليهود طُعمة وأكل في كل عام ومنعوها لهم، ودفعوا عنها قبائلهم»[3].

(١) المعروف أنَّها منازل ثمود، قوم نبي الله صالح ــ عليه السلام ــ، الذين كانوا يسكنون الحجر الذي سُمِّيَ فيما بعد (مدائن صالح)، وذكر عاد هنا وَهَمٌ، فالمعروف أنَّهم كانوا يسكنون الأحقاف في حضرموت، وهي بعيدة جداً عن هذه المنطقة، والله تعالى أعلم.

(٢) الكظام: محابس المياه في الأودية والشعاب. (لسان العرب: مادة: كظم).

(٣) كان من القبائل التي نزلت بهم غطفان (فزارة، وبني مرة، وأشجع، وغيرها).

وكان النعمان بن الحارث الغساني ملك الشام أراد غزو وادي القرى، فحذَّره نابغة بن ذبيان، وذلك بقوله:

تجنَّب بني حُنَّ فإنَّ لقَاءَهُم كريـــةٌ وإنْ تلق إلاَّ بصابـــرِ

في أبيات. و(حُنَّ) – هو بضم الحاء المهملة والنون المشدَّدة – ابن ربيعة بن حرام بن ضنَّة بن عبد بن كبير بن عُذرة(١).

ولَّما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر في سنة سبع، امتدَّ إلى وادي القرى، وفتحها عنوة، ثُمَّ صُولِحُوا على الجزيـــة.

وكان يسكن الوادي ناس من ولد جعفر بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ، وقد غلبوا عليه، ويُعْرَفون بالواديّين.

وقال الشاعر(٢):

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادِي القُرَى إنِّي إذاً لَسَعِيدُ

وقد نُسِب إلى وادي القُرى جماعـــة، منهم يحيى بن أبي عبيدة الوادي أصله من وادي القُرى، وكان مولى لقريش، ثقةً في الحديث، ذكره علي بن الحسين الحرَّاني الحافظ في تاريخ الجزري، ومنهم ـــ أيضاً ـــ: عمر ابن داود بن زاذان مولى عثمان بن عفَّان ـــ رضي الله عنه ـــ، المعروف بعمر الوادي المغني، وكان مهندساً في أيَّام الوليد بن يزيد بن عبد الملك(٣).

---

(١) وذلك يعني أنَّ سكان تلك المنطقة كانوا من بني عُذرة من قضاعة.

(٢) هو: جميل بن معمر، المعروف بجميل بثينة.

(٣) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٣٣٨-٣٣٩، ٥/٣٤٥، والحميري: الروض المعطار ٦٠٢.

ويُعْرَف وادي القُرى اليوم بـــ (العُلا) بضم العين ثُمَّ لام وألف من غير همزة، والنسبة إليه (عُلَوِيٌّ)، وهي مدينة عامرة شمال المدينة النبويـــة على قرابـــة (٣٥٠) ميلاً، كثيرة المياه والزرع والأهل، ويصُبُّ واديها في وادي الجزل، ثُمَّ يَصُبُّ الجزل في وادي الحمض (أضم)، وهي ملاصقة للحجر ديار ثمود، متَّصِلة بها اتِّصالاً تامّاً، لا يفصِلُ بينها وبين المدائن حدود ولا جبال.

وسبب تسميتها بـــ (العُلا) أنَّها قامت على أنقاض قصبة وادي القُرى المُسَمَّى (قُرح)، وهو موضع كان بالوادي من صدره، فغلب عليه اسم العُلا، لأنـــَّه أعلى الوادي، وكانت (قُرح) سوقاً مشهورة من أسواق العرب في الجاهلية، وفيها مسجد قُرح الذي بناه رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك، وهو مسجد العُلا اليوم فيما يتوارث أهلها، وتنقسم العُلا إلى حارتين: الشِّقيق - بالشين المشددة المكسورة -، والحِلف - بكسر — الحاء وجوّها جميل، وسكانها خليط من عرب الشمال والحجاز، وبعض أهل القصيم وحائل، وبها محطَّة لسكة حديد الحجاز المعطَّلة.

وتُعدّ العُلا مِن أكبر محافظات المدينة الزراعية المتطورة، حيث يُزرع بها النخيل، والأترجّ، والليمون بأنواعه، والفواكه والخضروات، وأكثر صادراتها التمور، وهو أنواع، أجودها البرني، والسكري، وتربطها بالمدينة النبويـــة طريق معبدة، ويسكن بعض أهلها المدينة[1].

---

(١) انظر: محمد عبد الحميد مراد: مدائن صالح ٦١-٦٢، ١٥٣، والبلادي: معجم ٢٥، وانظر: مجلة الدارة، العدد الأول، السنة التاسعة ٣٩.

المطلب الثاني: الخلاف في سبب السرية:

بالنظر إلى أقوال أهل المغازي في سبب السرية، نجد هنالك قولين:

- **القول الأوَّل**: لابن إسحاق، الذي ذكر أنَّ سببها كان سريـــة بعثها رسول الله ﷺ قبل هذه السرية مباشرةً، وبقيادة زيـــد بن حارثـــة ــــ رضي الله تعالى عنه ــــ نفسه إلى وادي القرى:

[١] (فلقي بـــه بني فزارة(١) وأصيب بها ناسٌ من أصحابه، وانفلت زيـــد من بين القتلى. فلمَّا قدم زيد بن حارثـــة، نذر أنْ لا يمس رأسه غسل من جنابـــة حتى يغزو فزارة)(٢).

---

(١) بفتح الزاي المعجمة: قبيلة كبيرة مشهورة من غطفان، يُنسبون إلى فزارة بن ذبيان ابن بغيض، وكانت مساكنهم بنجد، ووادي القرى.

انظر: ابن قتيبة، المعارف ٨٣، القلقشندي، قلائد الجمان ١١٣.

(٢) ذكره ابن سيد الناس (عيون الأثر ١٤٢/٢) عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، من الخامسة (تقريب ٢٩٧)، كما ذكره ابن هشام (سيرة ٦١٧/٤) عن ابن إسحاق الذي ساقه بلا سند عنده نحوه. وقد ورد موصولاً من طريق آخر. فقد أخرجه أبو نعيم (دلائل٥٣٤/٢) والمحاملي (الأمالي ١٨٣ رقم: ١٥٧)، كلاهما من حديث إبراهيم بن يحيى بن محمّد بن عباد بن هانئ الشجري عن أبيه عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ــــ رضي الله تعالى عنها ــــ، إلاَّ أنَّ فيه: (**بلغ رسول الله ﷺ أنَّ امرأةً من بني فزارة يُقال لها أُم قِرفة قد جهَّزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد، ولدها. قالت: اقدموا المدينة فاقتلوا محمَّداً، فقال النَّبيُّ ﷺ: اللهم اثكلها بولدها، وبَعَث إليهم زيد بن حارثة، فالتقوا بالوادي.**.) ثُمَّ ذكره نحوه.

=

- **القول الثاني:** وقال بـــه الواقدي، وابن سعد، حيث ذكرا أنَّ زيد بن حارثة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ خرج:

[٢] (في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلمَّا كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة، من بني بدر[1]، فضربوه وضربوا أصحابه، وأخذوا ما كان معهم، ثُمَّ استبلَّ زيـــد[2]، وقدم على رسول الله ﷺ، فأخبره، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم)[3].

=

قلت: سنده فيه إبراهيم بن يحيى الشجري، لين الحديث (تقريب ٩٥)، وأبوه يحيى بن محمَّدضعيف كان يتلقَّن(تقريب٥٩٦)،وفيه عنعنةابن إسحاق فسند الحديث ضعيف. وذكر الحلبي (سيرة٢/١٨١)،والزرقاني(شرح ٢/١٦٤) عن بعضهم أنَّه خبر منكر.

(١) هم بنو بدر بن عدي بن فزارة، وفيهم كانت رياسة بني فزارة في الجاهلية، وكانوا ـــ أيضاً ـــ يرأسون جميع غطفان وتدين لهم قيس، وإخوالهم ثعلبة بن عدي، ومنهم حذيفة بن بدر صاحب الفَرَس المعروفة بالغبراء التي هاجت - بسببها وسبب الفَرَس داحس - الحرب الشهيرة المعروفة باسميهما، ومن بني بدر بنو أُم قرفـــة التي ضُرِبَ بها المثل في العزَّة. (المعارف ٨٣ ، قلائـــد الجمان ١١٤).

(٢) استبلَّ: أي برأ. (الصحاح ١٦٤).

(٣) من روايـــة الواقدي (مغازي ٢/٥٦٤)، وابن سعد (طبقات ٢/٩٠)، وهذا لفظه عن شيوخه.

قلت: ولكن ابن سعد (طبقات ٢/٨٩) ذكر سريـــة لزيد بن حارثة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ إلى وادي القرى، في رجب سنة ست، قبل الحديث عن هذه السريـــة، ولم يذكر أحداثها، وإنَّما ذكرها باختصار، ولم يُشِر إليها بعد ذلك، وكأنَّه يرى أنَّهما سريتان مختلفتان لزيـــد. والله تعالى أعلم.

هذا وقد جمع ابن سيد الناس بين روايتي ابن إسحاق، وابن سعد وقال: «كذا ثبت عن ابن سعد، لزيد سريتان بوادي القُرى، إحداهما في رجب، والثانية في رمضان»[١].

وقال الزرقاني معلّقاً: «وقد التبس سبب السرية الذي هو السير للتجارة بالسرية نفسها على مَن زعم أنَّ قول اليعمري[٢]، لشيخه الدمياطي[٣]، كذا ثبت عند ابن سعد لزيد سريتان بوادي القرى، إحداهما في رجب، والأخرى في رمضان، مشكل لاقتضائه أنَّه أُرسل غازياً في المرَّتين لبني فزارة مع أنَّه إنَّما كان في الأولى تاجراً اجتاز بهم، كما دلَّ عليه كلام ابن سعد، ففيه اطلاق السرية على الطائفة الخارجة للتجارة، ولا يختص ذلك بالخارجة للقتال أو تحسس الأخبار، وهو وهم فكلام ابن سعد كما علمت إنما هو في سبب غزوة زيد لهم في رمضان، مع أنَّ الثلاثة مع كونهم حُفَّاظاً متقنين لم ينفردوا بأنَّهما سريتان لزيد، بل سبقهم إلى ذلك الواقدي، وابن عائذ، وابن إسحاق، وإن خالفهم في سببها، ولم يذكر تاريخاً»[٤].

---

(١) ابن سيّد النَّاس، عيون ٢/١٤٥.

(٢) هو: محمَّد بن محمَّد بن سيد الناس اليعمري، صاحب كتاب عيون الأثر في السيرة النبوية، توفي عام ٧٣٤ هـ.

(٣) هو: عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، له كتاب في السيرة النبوية، وتوفي عام ٧٠٥ هـ.

(٤) الزرقاني: شرح المواهب ٢/١٦٤.

وقال في مكانٍ آخر محاولاً الجمع بين القولين: ((ويجمع بتعدُّد السبب بأن يكون لما صحَّ[1] ذهب للتجارة فنهبوه، فرجع وأخبره ﷺ))[2].

قلت: ذلك يقتضي أنَّ زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ خرج ثلاث مرَّات خلال شهرين، وهو أمر متعذّر لصعوبة المواصلات في ذلك الوقت، ومشقة السفر خاصّةً وأنَّه قد ذكر أنَّ زيد قد جرح جراحاً بليغة في المرَّة الأولى حتى اعتقد بنو فزارة بأنَّه قد مات، وشفاؤه من تلك الجراح يتطلب وقتاً ليس بالقصير، كما أنَّه من المستبعد أن يخرج للتجارة مارّاً بديار أولئك القوم الذين بدت عداوتهم للمسلمين وخاصّةً أنَّ زيداً ـ رضي الله عنه ـ قد غزاهم في المرّة الأولى، فخروجه لمجرَّد التجارة يُعَدُّ مجازفة عظيمة، ما كان للنبي ﷺ أن يوافقه عليها أبداً.

لذلك أرى أنَّه لا يمكن الجمع بين القولين، بل لابُدَّ من ترجيح أحدهما على الآخر، وهو في نظري قول ابن إسحاق، فهو بالإضافة إلى كونه أقوى إسناداً مدعوماً بالواقع، فالمسلمون في تلك الفترة لم يفرضوا سلطانهم على تلك المنطقة بَعْدُ، حتَّى تصبح طريقاً سالكةً لتجارهم إلى الشام، بل كانوا في موقف المواجهة مع القبائل القاطنة في تلك المنطقة خاصّةً وأنَّها حليفة قوية ليهود

(١) يعني: زيد بن حارثة رضي الله عنه.

(٢) شرح المواهب ٢/١٦٤.

خيبر الذين كان المسلمون يعُدُّون العُدَّة السريعة لمواجهتهم بعد الحديبية، وتوقيع الهُدنــة مع قريش، نظراً لنشاطات زعمائهم المعاديــة للمسلمين ودورهم الكبير في تأليب الأحزاب في الخندق والذي شاركت فيه بعض تلك القبائل(١) القاطنة في تلك المنطقة بفعالية كبيرة.

(١) ذكرت الروايات التاريخية أنّ من القبائل التي شاركت بقوة في غزوة الأحزاب: قبائل غطفان، وهي فزارة، وبنو مرة، وأشجع، وغيرها.

انظر: ابن الجوزي: الوفا بأخبار المصطفى ٦٩٢.

وهذه القبائل جميعها تسكن تلك المنطقة وتشارك بحلف قديم مع اليهود في خيبر وما حولها.

المطلب الثالث: الخلاف في قائـــد السريـــة:

قلت: اختلف في هذه السرية، وقائدها على قولين:

- ذكر أهل المغازي المتقدمين، كابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، وابن عائذ هذه السريـــة، وأنّ قائدها زيـــد بن حارثـــة ـــ رضي الله عنه ـــ، وأنّ سلمة بن الأكوع ـــ رضي الله عنه ـــ كان معهم في السريـــة، وأنـــّه أصاب جاريـــة جميلة من بني فزارة، ذكر أهل المغازي أنّها بنت أُمّ قرفـــة، وأنّ رسول الله ﷺ استوهبها من سلمة، فوهبها له، فأهداها رسولُ الله ﷺ لخاله حزن بن أبي وهب[1].
- وأخرج أهل الحديث (مسلم، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن أبي شيبة) عن سلمة بن الأكوع ـــ رضي الله عنه ـــ، قال:

[٣] (غزونا فزارة وعلينا أبو بكر، أمَّره رسول الله ﷺ علينا... فذكر الحديث)[2].

---

(١) انظر: ابن هشام: سيرة ٦١٧/٤، الواقدي: مغازي ٥٦٤/٢-٥٦٥، ابن سعد: طبقات ٩٠/٢-٩١، وابن سيد الناس: عيون ١٤٢/٢.
وقال ابن سيّد الناس: ذكر محمَّد بن إسحاق، ومحمَّد بن سعد: أنّ أمير هذه السريـــة زيد بن حارثـــة، وقد رُوّينـــا في صحيح مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعَثَ أبا بكر إلى بني فزارة. (عيون الأثر ١٤٢/٢).

(٢) أخرجه مسلم(الصحيح٤/٢٥-٢٦)،وأحمد(المسند، حديث رقم:ئ ١٦٥١٧)، وأبو داود(انظر:عون المعبود،حديث رقم: ٢٦٨٠)،والنسائي(السنن الكبرى: ٢٧١/٥)، =

وذكر فيه قصة أسره لامرأةٍ من بني فزارة، ومعها ابنة لها من أحسن العرب، وأنَّ أبا بكر نفله إيَّاها، وأنــّه قدم بها المدينة، وأنَّ رسول الله ﷺ سأله إيَّاها فوهبها له، فبعَثَ بها رسولُ الله ﷺ إلى أهل مكــّة ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسرى بمكــّة [1] .

وحاول المتأخرون من أهل المغازي الجمع، أو ترجيح إحدى الروايتين على الأُخرى، فقد نقل الحلبي، والزرقاني عن الشامي الجمع بين الروايتين حيث قال: ((يُحتمل أنَّهما سريتان، اتَّفق لسلمة بن الأكوع فيهما ذلك، أي إحداهما لأبي بكر، والأخرى لزيد بن حارثــة، ويؤيــد ذلك أنَّ في سرية أبي بكر أنَّ رسول الله ﷺ بعَثَ ببنت أُمّ قرفــة إلى مكــّة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين، وفي سرية زيــد وهبها لخاله حزن بمكــّة. قال: و لم أرَ من تعرَّض لتحرير ذلك))[2].

=

وابن ماجه (السنن، حديث رقم: ٢٨٤٦)، جميعهم من حديث عكرمة ابن عمار، عن إياس بن سلمة، عن أبيه بن الأكوع. إلاّ أن البعــض اختصر الحديث. والله تعالى أعلم.

(١) مِمَّا يجدر ذكره أنَّ أهل المغازي لم يذكروا سريَّة أبا بكر رضي الله عنه لبني فزارة، ما عدا ابن سعد (الطبقات ١١٨/٢) الذي عَنْوَن لها بــــ (سرية أبي بكر الصِّدِّيق ـــ رضي الله عنه ـــ إلى بني كلاب بنجد)، ثُمَّ يسوق بسنده عن سلمة بن الأكوع ـــ رضي الله عنه ـــ حديثه عن سريــة أبي بكر ـــ رضي الله عنه ـــ إلى بني فزارة.

(٢) انظر: الحلبي: سيرة ١٨١/٣، الزرقاني: شرح ١٦٤/٢.

وتعقّبه الحلبي، والزرقاني، بأنّ في هذا الجمع نظراً ؛ لأنّه يقتضي أنّ أُمَ قرفة تعدَّدت، وأنّ كُلّ واحدة كانت لها بنت جميلة، وأنّ سلمة بن الأكوع أسرهما، وأنّه ﷺ أخذهما منه. وفي ذلك بعد، إلاّ أن يُقال: لا تعدُّد لأُمّ قرفة وتسمية المرأة في سرية أبي بكر أُمّ قرفة وَهَمٌ من بعض الرواة، ويدل عليه أنّ بعضهم أوردها ولم يسم المرأة أُمّ قرفة، بل قال: فيهم امرأة من بني فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب[١].

وفيه توهيم رواية الصحيح بلا حُجَّة، فإنّ تسميتها فيه من زيادة الثقة، فما في الصحيح أصحَّ كما قال السهيلي[٢].

قلت: رجَّح السُهيلي ما ورد في روايات أهل الحديث حول الجارية التي استوهبها رسول الله ﷺ من سلمة ففدى بها أسيرين من المسلمين كانوا بمكّة على روايات أهل المغازي، ومنهم ابن إسحاق، الذين ذكروا أنّه ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ وهبها لخاله حزن بمكّة[٣]، ووافقه الزرقاني على ذلك مُعَمّماً هذا الحكم على باقي الرواة وبخاصّةً كون القائد أبا بكر الصّدّيق ــ رضي الله عنه ــ، وليس زيد ابن حارثة ــ رضي الله عنه ــ، كما ذكرت روايات أهل المغازي[٤].

---

(١) الحلبي: سيرة ٣/١٨٢.

(٢) الزرقاني: شرح ٢/١٦٤.

(٣) السهيلي: الروض ٧/٥٢٨.

(٤) الزرقاني: شرح ٢/١٦٤.

وقد جمع ابن حجر بين ما ذكره أهل المغازي حول قيادة زيد ابن حارثة ــ رضي الله عنه ــ للسرية، وما ذكره مسلم من رواية سلمة ــ رضي الله عنه ــ، وكأنّه - أي ابن حجر - معتبرٌ إيّاها قصّةً واحدة[1].

ولو أمعنا النَّظر في الروايتين: رواية أهل المغازي، ورواية أهل الحديث، لأمكن استنباط قرائن قوية تدل على اتّحاد القصة، وأنّ أحداثها تدور حول سرية واحدة، فمن ذلك مثلاً:

- أنّ كلتا الروايتين تشير إلى أنّ السرية كانت موجهة لبني فزارة.
- أشارت روايات أهل الحديث أنّ قائد السرية صبَّح القوم ثُمَّ أمر بشن الغارة عليهم دون سابق إنذار[2]، ووقع مثل ذلك في روايات أهل المغازي[3].

---

(١) قال ابن حجر (فتح ٤٩٨/٧-٤٩٩، باب غزوة زيد بن حارثة) بعد أن ذكر حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: وغزوت مع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمره علينا - وقد تتبعت ما ذكره أهل المغازي من سرايا زيد بن حارثة فبلغت سبعاً. كما قاله سلمة، وإن كان بعضهم ذكر ما لم يذكره آخرون... ثُمَّ ساق أسماء تلك السرايا إلى أن قال: والسابعة إلى ناس من بني فزارة...ثُمَّ قال:ولعلَّ هذه الأخيرة مراد المُصَنِّف، وقد ذكر مسلم طرفا منها من حديث سلمة بن الأكوع.

(٢) وقد جعل البيهقي هذا الحديث تحت باب جواز ترك دعاء مَن بلغته الدعوة. (السنن ١٠٧/٩).

(٣) وقع ذلك في رواية الواقدي، وابن سعد، والسبب أنهما ذكرا تفاصيل لم تذكرها الروايات الأخرى.

ممَّا يدل على أنَّ هدف السريتين كان هو المباغتة لتأديب أولئك الأعراب، والمباغتة لا تكون إلاَّ لقومٍ قد بلغتهم الدعوة فأصرُّوا واستكبروا، وبدت منهم العداوة للمسلمين، وتبليغ الدعوة يكون إمَّا بكتاب يبعثه رسول الله ﷺ، أو بعثة دعوية، أو سرية سابقة كما حدث بالنسبة إلى بني فزارة، حيث أُرسل إليهم زيد ابن حارثة — رضي الله عنه — في سرية، فقاتلوه وأصابوا أصحابه، فكانت المباغتة في السرية الثانية لأجل تأديبهم لما كان منهم في السرية الأولى، والله تعالى أعلم.

- ذِكْر المرأة الفزارية وابنتها الجميلة اللتان أصابهما سلمة بن الأكوع — رضي الله عنه —، ولو سمَّتهما المصادر الحديثية كما فعلت المصادر التاريخية، لَحُسِمَ النّزاع مبكراً.وإن كان بعض أهل المغازي المتأخرين قد ذكر ورود التسمية في بعض روايات الصحيح[1]. ولكن رواية مسلم التي بين أيدينا لم تُسَمّ المرأة، وكذلك روايات أهل الحديث الأُخرى. كُلُّ هذه القرائن تقوي الاعتقاد أنَّها سرية واحدة أُرْسِلَت إلى بني فزارة، ولكن هذه المرّة بقيادة أبي بكر الصديق — رضي الله عنه —، كماذكرت روايات أهل الحديث، ويمكن توهيم روايات أهل المغازي التي ذكرت أنَّ القائد كان زيد ابن حارثة — رضي الله عنه —، فتوهيم روايات

(١) انظر ما ذكره الحلبي (سيرة ١٨٢/٣)، والزرقاني (شرح ١٦٤/٢).

أهل المغازي أخف وطأة وأقل تبعية من توهيم روايات أهل الحديث بما فيها روايــة الصحيح، لأنّ روايات أهل المغازي على تخصصها فإنّها جميعاً قد وردت من طرقٍ لا تخلو من مقال، وليس فيها روايــة واحدة يمكن أن ترتقي إلى رواية الصحيح أو غيرها من الروايات الحديثية.

وربما وقع الوهم عند أهل المغازي بسبب ما ورد عندهم من خروج زيد ابن حارثة ــ رضي الله عنه ــ في السريتين، وبما أنــّه كان قائداً للسرية الأولى، ثُمَّ نذره بعد ذلك بسبب ما وقع له ولأصحابــه من بني فزارة بغزوهم مرّةً ثانية، فجعلوه قائداً للسرية الثانية، ربما يكون قد خرج معهم ولم يكن قائداً، بل أُنيطت القيادة هذه المرَّة بالصّدّيق أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ، لكون زيــد ــ رضي الله عنه ــ قد أُصِيبَ في المرّة الأولى، فأراد النبيُّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ إراحــتــه وإسناد القيادة لأبي بكر ــ رضي الله عنه ــ، وسمح لزيد بالخروج وفاءً لنذره، فشارك بفعالية بأحداث السريــة، فوهم أهل المغازي، وذكروا أنــّه قائد للسرية، ولكن ما في الصحيح أصح، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: تاريـــخ السريـــة:

تفرَّد الواقدي، وابن سعد من المتقدّمين من أهل المغازي بتحديد تاريخ هـــذه السريـــة، حيث أرَّخ لها الواقدي برمضان سنة ست من الهجرة[1].

وكذلك فعل ابن سعد[2]، ولكنَّه أرَّخ للسريـــة الأولى برجب سنة ست[3].

وقد مرَّ بنا قول ابن سيّد النَّاس: كذا ثبت عن ابن سعد، لزيد سريتان بوادي القُرى، إحداهما في رجب، والثانية في رمضان[4].

وقد تابعهما في ذلك البلاذري في الأنساب[5].

ولم يؤرّخ لها ابن إسحاق، وإنَّما ذكرها في سياق السرايا والبعوث حيث عدَّد سرايا زيـــد بن حارثـــة ـــ رضي الله عنه ـــ، وذكر هذه السرية بعد سريته إلى الطرف من ناحية نخل من طريق العراق[6].

---

(١) الواقدي: مغازي ٥٦٤/٢.

(٢) ابن سعد: طبقات ٩٠/٢.

(٣) المصدر السابق ٨٩/٢.

(٤) ابن سيد الناس: عيون ١٤٥/٢.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٧٨/١.

(٦) ابن هشام: سيرة ٦١٧/٤.

ونقل بعض المتأخرين من أهل المغازي أمثال: ابن سيّد الناس، والقسطلاني، والمقريزي، والشامي، تاريخ السرية عن ابن سعد، وشيخه الواقدي(١).

ولم يذكر البيهقي(٢)، وتبعه في ذلك ابن كثير(٣) سرية زيد بن حارثة ــ رضي الله عنه ــ إلى بني فزارة، وإنَّما ذكرا سريـــة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ إليهم، حيث قال البيهقي: جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر، وقبل عمرة القضية، وإن كان تاريخ بعضها ليس بواضح عند أهل المغازي، ثُمَّ بدأ الحديث عن سريـــة أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ(٤).

وكذلك فعل ابن القيم، حيث قال: «وأقام رسول الله ﷺ في المدينة بعد مقدمـــه من خيبر إلى شوال، وبعث في خلال ذلك السرايا، فمنها سريـــة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ إلى نجد قبل بني فزارة»(٥).

هذا بالنسبة لأهل السير والمغازي، أمَّا ما يفهم من روايات أهل الحديث فيفهم من قول سلمة ــ رضي الله عنه ــ عندما سأله النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) ابن سيد الناس: عيون ٢/١٤٤، القسطلاني: المواهب اللدنية ١/٤٨١، المقريزي: إمتاع الأسماع ١/٢٦٩، الشامي: سبل الهدى ٦/١٤٨ – ١٥٧.

(٢) البيهقي: دلائـــل ٤/٢٩٠.

(٣) ابن كثير: البدايـــة والنهايـــة ٤/٢٢١.

(٤) البيهقي: دلائـــل ٤/٢٩٠.

(٥) ابن القيم: زاد المعاد ٣/٣٥٩.

الجاريـــة - (**يا رسول الله لقد أعجبتني - وما كشفت لها ثوباً**) وسكوت رسول الله ﷺ، وتركــه الإنكار عليه، دليلٌ على أنَّهم يستبيحون إذ ذاك وطء الوثنيات، وذلك قبل نزول تحريمــه بعد الحديبية[1]، ففي ذلك دليل على أنَّ السريـــة كانت قبل الحديبية.

وكذلك إرسال النَّبِيّ ﷺ الجاريـــة إلى أهل مكـــَّة ليفتدي بها أسيرين من المسلمين كانوا عندهم، دليلٌ آخر على أنَّ السريـــة كانت قبل الحديبية، لأنَّ اتفاقية الحديبية كانت اتفاقية سلام ومعاهدة صلح بين المسلمين ومشركي مكـــَّة سوَّت الوضع القائم بينهما، وأعتقد أنـــَّه كان لا يمكن استثناء الأسرى من الاتفاقية لو وُجِدُوا، فذلك دليلٌ على أنَّ الأسرى قد سُوِّيَ وضعهم قبل الحديبية حيث لم يرد في بنود المعاهدة[2] أيّ ذكرٍ عنهم، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: الخطابي: معالم السنن ١٤٦/٣ وهذه المسألة خلافية بين الفقهاء.

(٢) انظر: مرويات الحديبية ١٦٦.

المطلب الخامس: ســير الأحــداث:

في شهر رجب من السنة السادسة من الهجرة النبويــة المباركــة، ـــ كما يذكر ابن سعد[(١)] ـــ، وصلت إلى النَّبِيِّ ﷺ معلومات هامَّــة عن تحركات مُعَاديــة تقوم بها امرأة من بني فزارة، ذات شأن فيهم، ومنْزلة ورئاسة يُقال لها أُمّ قرفة[(٢)]، يذكر الزهري عن عروة أنَّها:

[٤] (قد جهَّزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها، قالت: اقدموا المدينة فاقتلوا محمَّداً ! فقال النَّبِيُّ ﷺ: اللهم اثكلها بولدها. وبعث إليهم زيد بن حارثــة)[(٣)]-رضي الله عنه-على رأس سرية، لم تذكر الروايات قوها، ولكنها كانت على ما يبدو قليلة العدد.

[٥] (فالتقوا بالوادي[(٤)]،وقُتِلَ أصحاب زيد)[(٥)]-رضي الله عنهم- منهم:

---

(١) الطبقات ٢/٨٩.

(٢) بكسر القاف، وسكون الراء وبالفاء، فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزاريــة، التي جرى فيها المثل: (أمنع من أُمّ قِرْفــة) لأنــه كان يُعَلَّق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارساً كلهم لها ذو محرم، كُنِّيت بابنها قِرْفــة، قتله النَّبِيُّ ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ فيما ذكر الواقدي، وذكر أنَّ سائر بنيها وهم تسعة قُتِلُوا مع طليحة يوم بزاخــة.

الروض الأنف ٥٢٨/٧، شرح المواهب ١٦٣/٢، مجمع الأمثال ٣٩٢/٢.

(٣) سبق تخريجــه برقم [١].

(٤) يعني وادي القرى.

(٥) من رواية عروة عند أبي نعيم. وقد سبق تخريجها برقم [١].

[٦] **(ورد بن مرداس[١]، وارتُثَّ[٢] زيد بن حارثة من بين وسط القتلى)[٣].**

[٧] **(فلمَّا قدم زيد بن حارثة، نذر ألاَّ يمس رأسه غُسل من جنابة حتى يغزو فزارة، فلمَّا استبلَّ من جراحه بعثه رسول الله ﷺ في جيشٍ إلى بني فزارة)[٤]** فيهم سلمة بن الأكوع — رضي الله عنه —، ويقودهم أبو بكر الصّدّيق -رضي الله عنه-، فكمنوا النهار وساروا الليل، ومعهم دليل لهم كما يذكر الواقدي[٥].

قال سلمة — رضي الله عنه —:

[٨] **(فلمَّا دنونا من الماء[٦]أمرنا أبو بكر، فعرَّسنا[٧]، قال: فلمَّا صلَّينا الصُّبْح، أمرنا أبو بكر فشننا الغارة[٨]، فقتلنا على الماء مَن**

---

(١) ورد بن مرداس: أحد بني سعد بن هذيم، كتب له النبي صلى الله عليه وسلم في عسيب فعدا على العسيب فكسره، ثُمَّ إنَّه أسلم بعد ذلك، وغزا مع زيد بن حارثة -رضي الله عنه-وادي القرى فاستشهد.طبقات ابن سعد١/٢٨٤، الإصابة٢/٨١.

(٢) ارتُثَّ: بالبناء للمجهول، أي حمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق.

(٣) ذكره ابن سيد الناس (عيون ٢/١٤٢) من حديث ابن عائذ بسنده عن عروة، وهو مرسل.

(٤) سبق تخريجه برقم [١].

(٥) مغازي: ٢/٥٦٤.

(٦) الحاضر الذي كانت تقيم عليه بنو بدر من فزارة، ربما كان في وادي القرى.

(٧) التعريس: النزول آخر الليل للراحة.

(٨) شن الغارة: أي فرَّقها عليهم من كُلِّ جانب.

قتلنا)[١].

[٩] (فكان شعارنا: أمت. أمت. قال: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين)[٢].

[١٠] (وأنظر إلى عنق من الناس فيهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلمَّا رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من أدم[٣] **معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتَّى أتيت بهم أبا بكر)**[٤].

ويجزم أهل المغازي أنَّ تلك المرأة هي أُم قرفة[٥]، وأنَّها قُتلَت، وقُتِلَ بعض ولدها[٦]، وذكرت بعض الروايات أنَّها قُتلَت قتلاً

(١) من روايــة سلمة عند أحمد. وقد سبق تخريجها برقم [٣].

(٢) أخرجه أبو داود. (انظر: عون المعبود، حديث رقم: ٢٦٢١)، وابن سعد، (الطبقات ١١٨/٢)، واللفظ له، والنسائي (السنن الكبرى ٢٧١/٥)، وابن ماجه (السنن، حديث رقم: ٢٨٤)، وأحمد (المسند، حديث رقم: ١٦٥١٦)، كلّهم من حديث عكرمة بن عمار، نحوه.

(٣) القشع: بقاف ثُمَّ شين معجمة ساكنة: النطع، وهو الفَرْو الخَلِق.

(٤) من روايــة سلمة عند مسلم، وقد سبق تخريجها برقم [٣].

(٥) انظر: ابن هشام:سيرة ٦١٧/٤،الواقدي:مغازي٥٦٥/٢،ابن سعد:طبقات ٩١/٢، أبو نعيم: دلائل ٥٣٥/٢، الحلبي: سيرة ١٨٠/٣، الزرقاني: شرح١٦٤/٢.

(٦) انظر: رواية الزهري عن عروة عند أبي نعيم: دلائل ٥٣٥/٢، والسهيلي: الروض ٥٢٨/٧.

عنيفاً(١).

[١١] (وأنــه بُعِثَ برأسها إلى رسول الله ﷺ، فأمر بــه فديرَ به في المدينة ليُعلم قتلها)(٢).

وهذه الروايات إسنادهاضعيف،وتعارضها الأحاديث الصحيحة التي تأمر بإحسان القتل، وتنهى عن المُثْلَة، كما أنــّه لم يثبت أنــّه حُمِلَ رأس أحد من الرجال أو من النساء إلى رسول الله ﷺ.

قال سلمة بن الأكوع ـــ رضي الله عنه ـــ:

[١٢] (فنفلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً(٣)، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: يا سلمة هب لي المرأة. فقلت: يا رسول الله! والله لقد أعجبتني، وما كشفت لها ثوباً. ثُمَّ لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق فقال لي: يا سلمة هب لي المرأة، لله أبوك(٤)، فقلت: هي لك يا رسول الله، فوالله ما

---

(١) المصادر السابقة، وذكر السهيلي، وابن سيد الناس نقلاً عن الدولابي أنّها قتلت كذلك لسبِّها رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

(٢) ذكر ذلك المقريزي (إمتاع ١/٢٧٠)، وهي زيادة منكرة تفرَّد بها، ولا أدري مِن أين جاء بها.

(٣) كنايــة عن الجمــاع.

(٤) كلمة مدح وثناء، مثل قولهم: لله درك، فإنَّ الإضافة إلى العظيم تشريف، فإذا وُجِدَ من الولد ما يحمد فعله قيل له: لله أبوك، أي أبوك لله خالصاً حيث أتى بمثلك. وقد تكون الكلمة في حكم القسم أيضاً.

كشفت لها ثوباً، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكـــّة ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسرى بمكـــّة)[1].

ويذكر عروة أنَّ زيـــد بن حارثة رضي الله عنه لَمَّا قدم المدينة مع أهل السرية أقبل إلى رسول الله ﷺ

[١٣] (قالت عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ، ورسول الله ﷺ تلك الليلة في بيتي، فقرع الباب، فخرج إليه يجر ثوبـــه حتى اعتنقه، وقبَّله رسول الله ﷺ)[2].

---

(١) من روايـــة سلمة عند مسلم، وقد سبق تخريجها برقم [٣].

(٢) من رواية عروة عند أبي نعيم، وقد سبق تخريجها برقم [١].

المطلب السادس: الأحكام المستنبطة، والدروس والعبر المستفادة:

اشتملت هذه السرية على بعض الأحكام الفقهية، وبعض الدروس والعظات المفيدة التي يمكن استنباطها والإفادة منها.

أولاً: الأحكام الفقهية المستنبطة:

- حكم التنفيل من أصل الغنيمة:

قال النووي: قوله: «فنفلني أبو بكر رضي الله عنه ابنتها» فيه جواز التنفيل، وقد يحتج به مَن يقول التنفيل من أصل الغنيمة، وقد يجيب عنه الآخرون بأنّه حسب قيمتها، ليعوض أهل الخُمس عن حصّتهم[١].

وقد فصّل ابن قدامة الحديث في النّفل وأقسامه، وجعل هذا من القسم الثاني من أقسام النّفل حيث قال: «القسم الثاني: أن ينفل الإمام بعض الجيش لغنائه وبأسه وبلائه، أو لمكروه تحمّله دون سائرالجيش، قال أحمد: في الرَّجُل يأمره الأميرُ يكونُ طليعةً، أو عندَه، يدفَعُ إليه رأساً من السَّبْي أو دابّةً، قال: إذا كان رجلٌ له غَناءٌ، ويقاتل في سبيل الله، فلا بأس بذلك، ذلك أنفعُ لهم، يُحَرَّضُ هو وغيرُه، يُقاتلون ويَغْنَمون. وقال: إذا نفَّذ الإمامُ صَبيحةَ المَغَارِ الخيْلَ، فيُصيبُ بعضُهم، وبعْضُهم لا يأتي بشيءٍ، فللوالي أنْ يَخُصَّ بعضَ هؤلاء الذين جاءوا بشيءٍ دونَ هؤلاء. وظاهرُ هذا أنَّ له إعطاءَ مَن هذه حالُه من غيْرِ شرطٍ. وحُجَّةُ هذا حديث

(١) النووي على مسلم: ٦٨/١٢.

سلمة بن الأكوَع، أنّـــه قال: أغارَ عبدُ الرحمن بنُ عُيَيْنَة على إبلِ رسول الله ﷺ، فتَبِعْتهُم - فذكرَ الحديثَ - فأعطاني رسولُ الله ﷺ سهمَ الفارِسِ والرَّاجلِ. رواه مسلم، وأبو داود. وعنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمَّرَ أبا بكرٍ، قال: فبيَّتنا عَدُوَّنا، فقَتَلْتُ لَيْلَتئذٍ تسعةَ أهل أبياتٍ، وأخذتُ منهم امرأةً، فنفَّلَنيها أبو بكرٍ، فلمَّا قَدِمْتُ المدينةَ، استوهبها منّي رسولُ اللهِ ﷺ، فوهبتها لـــه. رواه مسلم بمعناه(١).

- حكم التفريق بين الوالدة وولدها البالغ:

قال الخطابي: فيه دليلُ على جواز التفريق بين الأُمّ وولدها الكبير(٢).

وقال النووي: ولا خلاف في جوازه عندنا(٣).

وقال ابن قدامـــة: أجمَعَ أهلُ العلمِ على أنَّ التفريق بين الأُمّ وولدِها الطّفل غيرُ جائزٍ، هذا قول مالك في أهل المدينة، والأوزاعي في أهل الشام، والليث في أهل مصر، والشافعي، وأبي ثور، وأصحاب الرأي فيه. والأصل فيه ما رَوَى أبو أيوب قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **(مَنْ فرَّق بَيْنَ والِدَةٍ ووَلَدِها، فرَّق الله بَيْنَه وبَيْنَ أحِبَّته يومَ القيامـــةِ)**. أخرجه

---

(١) المغني: ٥٦/١٣.

(٢) معالم السنن، حاشية سنن أبي داود: ١٤٦/٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ٦٩/١٢.

الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ[١]. وقال النَّبيُّ ﷺ: (لا تُوَلَّهُ والِدَةٌ عن وَلَدِها)[٢]. قال أحمد: لا يُفَرَّقُ بيْن الأُمّ وولدِهَا وإنْ رَضِيَت. وذلك - والله أعلم - لِمَا فيه من الإضرار بالولَدِ، ولأنَّ المرأة قد تَرْضَى بما فيه ضَرَرُها، ثُمَّ يَتَغَيَّرُ قلبُها بعد ذلك فتندم[٣].

- **وقال النووي:** وفيه جواز استيهاب الإمام أهل جيشه بعض ما غنموه ليفادي به مسلماً أو يصرفه في مصالح المسلمين، أو يتألَّف بـه مَن في تألُّفه مصلحة، كما فعل ﷺ هُنا، وفي غنائم حنين[٤].
- **وقال أيضاً:** وفيه جـواز قول الإنسان للآخر: للهِ أبوك، ولله درُّك[٥].

(١) أخرجه الترمذي، (انظر: تحفة الأحوذي ٤/١٨٤)، والحاكم (المستدرك ٢/٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/١٢٦)، وأحمد (المسند ٥/٤٠٢)، كلّهم من طريق حُيّ بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي، وفيه حُيّ بن عبد الله قال فيه أحمد: أحاديثه مناكير. وقال البخاري: فيه نظر. ولكن تابعه عبد الله بن خباءة عند الدارمي (٢/٢٢٧). فلعلّ الترمذي حسّنه من أجل المتابعة.

(٢) أخرجه البيهقي في باب الأم تتزوج فيسقط حقها من حضانة الولد... من كتاب النفقات. السنن الكبرى ٨/٥.

ومعنى (لا تولّه) أي: لا يفرّق بينهما في البيع. وكلّ أنثى فارقت ولدها فهي واله. (النهاية في غريب الحديث ١٥/٢٢٧).

(٣) المغني: ١٣/١٠٨-١٠٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٦٩.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٦٩.

ثانياً: الدروس والعبر المستقاة:

- أدب النَّبِيُّ ﷺ مع أصحابــه، وعدم إرغامهم على فعل شيء أو بذل شيء دون طيبة نفس.
- طاعة الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ لنبيهم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ، وإيثاره على أنفسهم، وتجردهم من مغانم الدنيا ولذّاتها في سبيل ذلك.
- حرص النَّبِيّ ﷺ البالغ على المسلمين جميعاً، ورأفته بهم، ومحاولة التخفيف من معاناتهم، وفك أسرهم بأسرع وقت ممكن وبالسبل الممكنة والكفيلة.

المبحث الثاني: سريـــة زيـــد بن حارثـــة ــ رضي الله تعالى عنه ــ إلى حسمى (جذام)

وفيـــه مطـــالب:

المطـــلب الأول: التعريـــف بحســـمى.

المطـــلب الثانـــي: سبب السريـــة.

المطلب الثالث: تاريـــخ السريـــة.

المطلب الرابـــع: ســـير الأحـــداث.

المطلب الخامس: الدروس المستفادة.

المطلب الأول: التعريـــف بحسمى:

حِسْمَى - بكسر الحاء المهملة، وسكون السين المهملة، وفتح الميم - مقصور على بناء فِعْلي، يجوز أن يكون أصله من الحسم، وهو المنع. قال ابن سيده: حِسْمَى موضع باليمن، وقيل: قبيلة جذام. وقال البكري: قال عنترة:

سيأتيـــكم عني وإن كنت نائيــــــاً
دخان العلندي دون[1] بيتي مذود
قصائـــــد مـــن قيل امرئ يحتديكم[2]
وأنتم بحُسمى فارتدوا وتقلّـــــدوا

يخاطب بني فزارة، فدلَّ على أنَّ حسمى من ديارهم، وفي رسم ومران: إنَّ حسمى من الجزيرة في شعر ابن أحمر:

فلله من يسرى ونجــران دونـــه
إلى دير حسمى أو إلى دير ضمضم

قال: ودير (حسمى)، ودير ضمضم بالجزيرة، فدل هذا التفسير، ودلَّ قول عنترة أنَّ حسمى موضع آخر في غير ديار جذام. وقال ابن السكيت: حسمى لجذام جبال وأرض بين أيلة، وجانب تيه بني إسرائيل

(١) العلندي: جبل لـــم يُر قـــط إلاّ والدخان خارج من رأسه. معجم ما استعجم: ٤٤٧/٢

(٢) يحتديكم: يريد يطلبنكم. المصدر السابق.

الذي يلي أيلة وبين أرض بني عذرة من ظهر حرة نِهْيا، فذلك كله حسمى، قال كثير:

سيأتي أمير المؤمنين، ودونه جماهير حسمى قورها وحزونها[1]

وقال ابن الأعرابي: إذا لم يذكر كثير غيقة فحسمى، وإذا ذكر غيقة فحسنا؟[2].

وذكر ابن دريد وغيره: أنَّ آخر ماء نضب من ماء الطوفان حِسْمى، ويُقال: إنَّ الماء بقي بحسمى بعد نضوب ماء الطوفان ثمانين سنة، وبقيت منه بقية إلى اليوم فهو أخبث ماء، فهو من مياه جذام، وهو الصحيح، وفيه أغار الهُنَيْد الصَّلعيُّ، وصليع بطن من جذام، على دحية الكلبي، وقد نزل وادياً من أوديته، يُقال له: شِيَار، وهو منصرف من عند قيصر، حين بعثه النَّبيُّ ﷺ، فكان ذلك سبب بعثه رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلى حِسْمى، فأصاب من جذام، وقتل الهنيد بالفضافض[3] من ديارهم.

(١) يعني: جبلها وسهلها.

(٢) قال ابن حبيب: حسنا جبل يقع قرب ينبع. معجم البلدان ٢/٢٥٩.

(٣) الفضافض - بفتح أوله وثانيه، بعدهما مثلهما، على لفظ الجمع: أرض لجذام. معجم ما استعجم: ٣/١٠٢٥.

وفي حديث أبي هريرة: (**لتخرجنكم الروم منها كفراً كفراً إلى سُنْبُك**[١] **من الأرض، قيل: وما ذاك السُّنْبُك ؟ قال: حِسْمى جذام**).

وفي الحديث: (**بشِّر ركيب السُعاة بقطعٍ من جهنَّم مثل قور حِسْمى**) قال القتبي: وحسمى: بلد جذام.

وقال في الصحاح: «حِسْمى أرض بالبادية غليظة لا خير فيها، تنْزلها جذام، وفيها جبال شواهق ملس الجوانب،لا يكاد القتام[٢] يُفارقها».

وفي أخبار المتنبي وحكاية سيره من مصر إلى العراق قال: حسمى أرض طيبة تؤدى لين النخلة من لينها، وتنبت جميع النبات، مملوءة جبالاً في كبد السماء متناوحة[٣]ملس الجوانب، إذا أراد الناظر النظر إلى قُلَّة أحدها قلَّ عنقه حتَّى يراها بشدة، ومنها ما لا يقدر أحد أن يراه ولا يصعده، ولا يكاد القتام يفارقها، ولهذا قال النابغة:

فأصبح عاقلاً بجبال حسمى دقاق التُّرب محتزم القتـــــــــام

قال ياقوت: واختلف الناس في تفسيره و لم يعلموه، ويكون مسيرة ثلاثة أيام في يومين، يعرفها مَنْ رآها مِن حيث يراها، لأنَّها لا مثل لها في الدنيا، ومن جبال حِسمى يُعرف بـــ (إرم) عظيم العلو، تزعم أهل

---

(١) السُّنْبُك: الأرض الغليظة القليلة الخير، شبه الأرض في غلظها بسُنْبُك الدَّابة وهو طرف حافرها. القاموس المحيط، مادة (سنبك)، والنهاية: ٢/١٩٤.

(٢) القتام: الغبار. القاموس، واللسان، مادة (قتم).

قلت: والمقصود به هنا السحاب، أو الضباب، لأنـــّه يكثر في الجبال المرتفعة.

(٣) التناوح: التقابل، ومتناوحة أي متقابـــلة. القاموس: تنح.

البادية أنَّ فيه كروماً وصنوبراً، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم وشرقيهم، وأرض حسمى بينها وبين وادي القرى ليلتان.

قال ابن سعد: هي وراء وادي القرى.

وقال محمَّد مرداد: هي موضع وراء وادي القرى، متصل بالحجر تماماً من طريق الإبل، ولا يزال موجوداً للآن ومعروفاً، ومن تسلق أعلا نخلة في تبوك يرى جبل حسمى، وكذلك المتسلق لأعلى شجرة في العُلا أو المتسنم لأعلى ذروة في جبال وادي القرى يرى حسمى، وقد مررنا به في رحلتنا ولكننا لم نستطع تسلقه مع أننا أقمنا بـ (حقل)، وأيلة أياماً عديدة، والسبب في ذلك راجع إلى كثرة العجاج وشدَّة الريح، إذ كلَّما عزمنا على تسنمه تشتد بنا الريح فنهبط قسراً، وقد ذكر حسمى أكثر من أربعين مؤرخاً ورحَّالة، ويزعم البدو الرُّحَّل وأهل الماشية هناك أنَّ بقمَّته وحشرجه مياه متعفّنة لا يقرب منها أحد[١].

---

(١) انظر: الصحاح، ولسان العرب، والقاموس، مادة (حسم).

والبكري: معجم ٢/٤٤٦-٤٤٨، والحموي: معجم ٢/٢٥٨-٢٥٩، ومحمَّد عبد الحميد مرداد: مدائن صالح: ٤٨ – ٤٩.

المطلب الثاني: سبب السرية:

أجمع أهل المغازي على أنَّ السبب الذي هاج هذه السرية إلى جذام هو ذلك الاعتداء السافر الذي تعرَّض له سفير النَّبِيّ ﷺ إلى هرقل وحامل كتابه إليه دحية بن خليفة الكلبي ـــ رضي الله عنه ـــ، بينما كان مقبلاً من عند هرقل الذي أجازه بمالٍ وكساه

[١] (حتَّى إذا كان بوادي من أوديتهم، يُقال له: شِنَار[١]، أغار على دحية بن خليفة، الهنيد بن عوص، وابنه عوص بن الهنيد الضُّلعيَّان[٢]، فأصابا كل شيء كان

(١) اختلف في اسم هذا الوادي، ففي رواية الطبراني (المعجم:٢٠/٣٤٠) يُقال له: شنان. وفي رواية ابن هشام (سيرة: ٤/٦١٢) شنار. ولم يذكره الواقدي ولا ابن سعد، أمَّا البكري (معجم: ٢/٤٤٧) فقال: شِيَار. وقال الحموي (معجم: ٣/٣٦٦): شِنان بالكسر وآخره نون جمع شَن، وهي الأسقية والقِرَب الْخَلقَان. وهو في كتاب نصر: شَنَار - بفتح الشين وآخره راء. وقال: وهو وادٍ بالشام أغير فيه على دحية بن خليفة الكلبي لمَّا رجع من عند قيصر... الخ.

قلت: أيضاً ربما تصحَّف الاسم مبكراً فوقع فيه الخلاف، والله تعالى أعلم.

(٢) اختلف أيضاً في اسم أبي الهنيد، ونسبته. ففي رواية ابن حجر (إصابة: ٣/٤٤١) الهنيد بن العريض. وفي الطبراني (معجم: ٢٠/٣٤٠) ابن عويص الضّبعي. وفي رواية ابن إسحاق عند ابن هشام (سيرة: ٤/٦١٢) الهُنَيْد بن عوص الضُّليعي. وفي رواية ابن سعد (طبقات: ٢/٨٨) الهُنيد بن عارض، ولم ينسبه، وكذلك عند الواقدي (مغازي: ٢/٥٥٦)، وعند البكري (معجم: ٢/٤٤٧) الهنيد الصُّلعيُّ، وصليع بطن من جذام، وكذلك ذكره الشامي (سبل: ٦/١٤٤)، وقال ابن سيد الناس (عيون ٢/ =

معه)[1]. فلمَّا قدم دحية بن خليفة ــ رضي الله تعالى عنه ــ على رسول الله ﷺ أخبره الخبر

=

١٤١/٢): عوض قيده بعض الناس عوص، وقال النمري: ليس عوض إلاَّ في حمير، أو عوض بن أرم بن سام بن نوح، وفي غيرهما عُوص.

قلت: ربما قد تصحَّف الاسم والنسبة مبكراً، فكان الاختلاف، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه الأموي في مغازيــه، عن ابن إسحاق من حديث عمير بن معبد بن فلان الجذامي، عن أبيه، (انظر: الإصابة لابن حجر: ٤٤١/٣-٤٤٢). وعمير لم أجد ترجمته. وأبوه معبد ذكره الطبراني وغيره في الصحابة، (انظر: المعجم: ٣٤٠/٢٠، وأسد الغابة ٢١٦/٥، والإصابة: ٤٤١/٣).

وأخرجه الطبراني (المعجم: ٣٤٠/٢٠-٣٤١) مطوَّلاً بسنده عن الأموي، عن ابن إسحاق من حديث بعجة بن زيد الجذامي، ومختصراً عن ابن إسحاق موقوفاً عليه.

قال الهيثمي (المجمع: ٣١٠/٥): رواه الطبراني متّصلاً هكذا، ومنقطعاً مختصراً عن ابن إسحاق لم يجاوزه، وفي المتصل جماعة لم أعرفهم، وإسنادهما إلى ابن إسحاق جيد.

وهو كما قال، كما روى الحديث ابن شاهين. انظر: (الإصابة:٥٢١/١-٥٢٢) من طريق الأموي عن ابن إسحاق، عن حميد بن رومان بن بعجة، عن أبيه، وسنده فيه رومان بن بعجة لم أعثر على ترجمته، وبقية رجاله ثقات، ما عدا ابن إسحاق (صدوق) وقد عنعنه. وعزاه ابن حجر (الإصابة: ٤٤٢/٣) للمحاملي في أماليه، ولم أجده في المطبوع منها.

كما ذكره ابن هشام (سيرة: ٦١٢/٤-٦١٦) عن ابن إسحاق الذي رواه بأطول مِمَّا رواه الطبراني عنه، عن مبهمين من رجال جذام.

وذكر البيهقي (دلائل: ٤٦٣/٥-٤٦٤) خبر السرية مقتضباً بأسانيده عن عروة، والزهري، وموسى بن عقبة، في أثناء سياقه لسرايا النبي صلى الله عليه وسلم.

[٢] (فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوة زيد جذام)[١].

(١) من روايـــة ابن إسحاق عند ابن هشام. وقد سبق تخريجها برقم [١].

المطلب الثالث: تاريـــخ السريـــة:

أرَّخ لها الواقدي، وابن سعد بأنَّها كانت في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة[١].

وقطع به اليعمري[٢]، وقال به المقريزي[٣]، والشامي[٤].

وذكرها ابن خياط في سراياه ﷺ أنها كانت سنة سبع[٥].

وقال الحلبي: «وسببها أنَّ دحية الكلبي ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ أقبل من عند قيصر ملك الروم، أي وكان ﷺ وجَّهه إليه بغير كتاب، وإلاَّ فإرساله إليه بالكتاب كان بعد هذه السرية، لأنـــَّه كان بعد الحديبية»[٦].

ولعلَّ الحلبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ قال ذلك اعتماداً على روايـــتي الواقدي وابن سعد في تاريخ السرية، وقد ثبت من روايات أهل المغازي جميعاً، بما فيهم الواقدي، وابن سعد، أنَّ ذلك كان فعلاً هو سبب السرية، كذلك لم يذكر أحد من أهل المغازي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أرسل دحية ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ إلى هرقل ملك الروم مرَّتين، مرَّة بكتاب، وأُخرى بغير كتاب، بل الثابت كما هو في صحيح مسلم، وغيره:

---

(١) المغازي: ٥٥٦/٢، والطبقات: ٨٨/٢.

(٢) عيون الأثر: ١٤٠/٢.

(٣) إمتاع: ٢٦٦/١.

(٤) سبل الهدى: ١٤٠/٦.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ: ٨٥.

(٦) الحلبية: ١٧٩/٣.

[٣] (**نبيّ الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كُلِّ جبار، يدعوهم إلى الله تعالى**)[١]. وبعث تلك الكتب مع نفر من أصحابه ــ رضي الله تعالى عنهم ــ، وكان منهم دحية بن خليفة الكلبي ــ رضي الله تعالى عنه ــ، الذي بعثه إلى قيصر ملك الروم، وقد يكون ما ذكره الواقدي، وابن سعد في تاريخ هذه السرية، وَهَماً منهما - رحمهما الله تعالى - حيث جزم ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ بأنَّها بعد الحديبية بلا شك[٢].

قال الزرقاني: فتكون هذه السرية سنة سبع[٣].

وقال العامري: وذكر البخاري بعد غزوة خيبر غزوة زيد بن حارثة، وهي التي أغار فيها على جذام[٤].

وقد مرَّ بنا في سرية زيد بن حارثة ــ رضي الله تعالى عنه ــ إلى وادي القرى ما ذكره ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ في اعتقاده أنَّها هي مراد البخاري.

---

(١) الصحيح: ٤/٤٣-٤٧ باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، وباب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفّار يدعوهم إلى الله عزَّ وجل.

وانظر: أسماء سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسله إلى الملوك والزعماء (ابن هشام: سيرة: ٤/٣٣٧-٣٣٩).

(٢) زاد المعاد: ٣/٢٨٤.

(٣) شرح المواهب: ٢/١٥٨.

(٤) بهجة المحافل: ١/٣٦٢.

ولعلَّ ما جزم به ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ في كون هذه السرية بعد الحديبية، وما رجَّحناه سابقاً في سرية زيد بن حارثة ــ رضي الله تعالى عنه ــ إلى وادي القرى بأنَّها قبل الحديبية، وكذلك ترتيب البخاري لذكر سرية زيد ــ رضي الله تعالى عنه ــ بعد خيبر، وأيضاً قصة وفادة رفاعة إلى النَّبيّ ﷺ، وإهداؤه غلاماً له يُسمَّى مُدعم، والذي وقع في الصحيح أنــَّه قُتِلَ في أثناء غزوة النَّبيّ ﷺ إلى وادي القرى[1].

كُلٌّ ذلك يؤيــد رأي خليفة، والزرقاني، والعامري في كون هذه السرية بعد خيبر، أي: سنة سبع، والله تعالى أعلم.

---

(١) فتح الباري: ٤٨٧/٧ – ٤٨٨، ٥٩٣/١١.

المطلب الرابـــع: ســـير الأحــداث:

[٤] (قدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجذامي ثُمَّ الضبيبي)(١) في وفد من قومه بني الضبيب ومعه أخاه بعجة(٢)

[٥] (وأنـــيـــف(٣)، وحبـــان(٤)، ابـــنـــا مـــلـــة فـــي اثنى عشر

(١) أخرجه الطبري (تاريخ: ١٤٠/٣) عن محمَّد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب مصرحاً بالتحديث عنه، لكنه مرسل، فيزيد من الخامسة.

كذلك ذكره ابن هشام (سيرة ٥٩٦/٤) عن ابن إسحاق الذي رواه بلا سند، فهو معضل، ورفاعـــة بن زيد الجذامي، ذكر ابن إسحاق أنّـــه وفد على النبي ﷺ في هدنة الحديبية، قبل خيبر، فأسلم وحسن إسلامه، وأهدى إلى رسول الله ﷺ غلاماً يقال له مدعم. وذكره ابن منده في الصحابة.

(انظر: ابن هشام: سيرة ٥٩٦/٤، وابن حجر: إصابـــة: ٥١٨/١).

(٢) بعجة بن زيـــد الجذامي. ذكره ابن إسحاق فيمن وفد على النبي ﷺ، وذكره ابن حجر في القسم الأوّل حرف الباء من كتاب الصحابـــة، وروى عن ابن منده حديث خروجه مع رفاعة في اثني عشر رجلاً إلى النبي ﷺ. انظر: ابن هشام: سيرة: ٦١٣، وابن حجر: إصابـــة: ١٦٢/١،١٤٥،٧٨.

(٣) أنيف بن ملة الجذامي، من بني الضبيب، له صحبة، سكن الرملة ومات ببيت جبرين من كورة فلسطين، ذكره ابن حبان في الصحابة، وقال ابن السكن:ذكره ابن إسحاق فيمن وفد على النبي ﷺ من جذام، وهو أخو حبان.(الإصابة: ٧٨/١).

(٤) حبان بن ملّة الجذامي، ثُمَّ الضبيبي. ذكره ابن حجر في ترجمة أخيه أنيف. قال: وهو أخو حبان الآتي ذكره في الحاء. وذكر أنّـــه وفد مع أخيه إلى النبي صلى الله عليه =

رجلاً)[١].

[٦] (فأهدى رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يُقال له مدعم[٢])[٣]. وأسلم وحَسُنَ إسلامه، وأسلم مَن كان معه، وعقد له رسول الله ﷺ على قومه وكتب له كتاباً فيه:

[٧] (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمَّد رسول الله، لرفاعة بن زيـــد. إني بعثته إلى قومـــه عامَّـــة، ومَن دخل فيهم، يدعوهم

=

وسلم، ولم أجده في حرف الحاء، فربما سقط اسمه سهواً من بعض النساخ، والله تعالى أعلم. انظر: الإصابـــة: ٧٨/١.

(١) ذكره ابن حجر (إصابـــة: ٧٨/١) عن ابن منده من طريق معروف بن طريف، حدَّثني عمي ظبية بنت عمرو بن حزابـــة عن هُيشة مولاة لهم، فذكرت الحديث. ولم أعثر على تراجم هذا الإسناد.

(٢) مدعم الأسود، مولى رسول الله ﷺ، كان مولَّداً من حسمى أهداه رفاعة بن زيد الجذامي لرسول الله ﷺ. ثبت ذكره في الموطأ والصحيحين من طريق سالم بن مطيع عن أبي هريرة في فتح خيبر، فذكر الحديث وفيه إنَّ مدعماً أصابه سهم عائر فقتله. (إصابـــة: ٣٩٤/٣).

قلت: الثابت من روايات الصحيح أنـــَّه قتل أثناء محاصرة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لوادي القرى وليس خيبر.

انظر: فتح الباري: ٤٨٧/٧ — ٤٨٨.

(٣) أخرجه البخاري (انظر: فتح الباري ٧:٤٨٧-٤٨٨، ٥٩٣/١١)، كتاب المغازي غزوة خيبر، وكتاب الأيمان والنذور، باب هل يدخل الإيمان الأرض والغنم.

إلى الله وإلى رسوله، فمَن آمن ففي حزب الله، وفي حزب رسوله ﷺ، ومَن أدبر فله أمان شهرين)[١].

فلمَّا قدم رفاعة على قومـــه أجابوا وأسلموا[٢]، وسألوا الوفد عن بعض ما أمرهم بـــه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فقال أنيف ابن ملّة:

[٨] **(أمرنا أن نضجع الشاة على شقها الأيسر ثُمَّ نذبحها ونتوجه للقبلة ونُسمي الله)**[٣]. ثُمَّ ساروا إلى الحرَّة حرَّة الرجلاء[٤] فنَزلوها[٥].

---

(١) من رواية ابن إسحاق عند الطبراني (معجم:٢/٣٤٠) وقد سبق تخرجها برقم [١].

(٢) من رواية ابن إسحاق عند الطبري، وابن هشام، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٣) من روايـــة نهيشة عند ابن منده، وقد سبق تخريجها برقم [٥].

(٤) قال ابن الأعرابي: الحرة الرجلاء الصلبة الشديدة. وقال غيره: هي التي أعلاها أسود وأسفلها أبيض، والرجلاء الصلبة الخشنة لا تعمل فيها خيل ولا إبل ولا يسلكها إلاَّ راجل، وهو علم لحرَّة في ديار بني القين بن جسر، بين المدينة والشام. قال الأخنس:

وكلبٌ لها خبت فرملة عـــالج إلى الحرَّة الرجلاء حيث تحارب

قال البلادي: والنص الذي في السيرة، ورواية ياقوت يجعلانها قريباً من حرة ليلى، ولعلَّها كانت جزءاً منها، لأنَّك إذا سرت في حرَّة ليلى من جهة المدينة باتجاه بلاد بلقين فإنَّك تسير في هذه الحرَّة، ولها عِدَّة نعوف وشماريخ، فإذا انقطعت من جهة الجناب انقطعت كل الحرار، فالحرَّة الرجلاء لا شك من تلك النعوف.

(الحموي: معجم: ٢/٢٤٦، ٣/٢٨ ، والبلادي: معجم: ٩٧).

(٥) من رواية ابن إسحاق عند الطبري، وابن هشام، وقد سبق تخريجها برقم [١].

ثُمَّ إنَّ حبَّان بن ملة:

[٩] **(صحب دحية الكلبي لما مضى بكتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر)**[١]. فتعلَّم منه أُم الكتاب[٢].

[١٠] **(ثُمَّ لم يلبث أن أقبل دحية الكلبي من عند قيصر حين بعثه رسول الله ﷺ حتى إذا كان بوادٍ من أوديتهم، يُقال له شنان**[٣] **ومعه تجارة له)**[٤] - وكان هرقل قد أجازه بمالٍ وكساه كسىً، كما يذكر الواقدي، وابن سعد -[٥] أغار عليه الهنيد بن عارض الضُليعي، وابنه عارض في ناس من جذام، فقطعوا عليه الطريق، وأصابوا كل شيء معه:

[١١] **(فبلغ ذلك قوماً من الضبيب رهط رفاعة بن زيد مِمَّن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهنيد وابنه فيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جعال)**[٦].

---

(١) من روايـــة ابن إسحاق عند الأموي، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٢) من روايـــة ابن إسحاق عند الطبراني، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٣) أو شنار.وقد سبق الحديث عن الخلاف في اسم هذا الوادي ص٧٠حاشية رقم (١).

(٤) من روايـــة ابن إسحاق عند الطبراني، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٥) الواقدي: مغازي: ٥٦/٢، وابن سعد: طبقات: ٨٨/٢.

(٦) من رواية ابن إسحاق،عند ابن هشام(سيرة: ٦١٣/٤) وقد سبق تخريجها برقم [١].

[١٢] (**في عشرة نفر، وكان نعمان رجل الوادي ذا الجلد والرماية**)[(١)]
حتى لقوا الهنيد ومن معه فاقتتلوا، وكان قتالاً خاطفاً بالسهام والحجارة حيث:

[١٣] (**رمى قرة بن أشقر الضليعي النعمان بن أبي جعال بحجر فأصاب كعبه وأدماه، وقال: أنا ابن أثالة، ثُمَّ رماه النعمان بن أبي جعال فأصاب ركبته**)[(٢)] إصابة بالغة أثبتته.

[١٤] (**فاستنقذوا ما في أيديهم فردوه إلى دحية، وساعده حبَّان بن ملَّة**)[(٣)].

[١٥] (**ثُمَّ إنَّ دحية قدم على النبي ﷺ فأخبره خبرهم**)[(٤)].

[١٦] (**فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وبعث معه جيشاً**)[(٥)].

يذكر الواقدي، وابن سعد أنَّهم كانوا حوالي خمسمائة

=

والنعمان بن أبي جعال الضبيبي من رهط رفاعة بن زيد، ذكره ابن إسحاق فيمن أسلم منهم ووفد على النَّبِيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد أن غزاهم زيد بن حارثة حين غزا بني جذام من أرض حسمى. (إصابة: ٣/٥٦٠).

(١) أخرجه الواقدي (مغازي: ٢/٥٥٦).
(٢) من رواية ابن إسحاق عند الطبراني، وقد سبق تخريجها برقم [١].
(٣) من رواية ابن إسحاق عند الطبراني، وقد سبق تخريجها برقم [١].
(٤) من رواية ابن إسحاق عند الطبراني.
(٥) من رواية ابن إسحاق عند الطبراني.

رجل[١]، وردَّ معه دحية:

[١٧] (فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بني عُذْرة[٢]، فأقبل بهم الدليل من ناحية الأولاج[٣]، حتى هجم بهم مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم، فقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم[٤]ونسائهم، فأخذوا من النعم ألف بعير، ومن الشاء خمسة آلاف شاة، ومن السبي مائة من النساء والصبيان)[٥].

[١٨] (فلمّا سمعت بذلك بنو الضُّبيب، والجيش بفيفاء مدان[٦]، ركب نفر منهم، وكان فيمن ركب معهم: حبّان بن ملّة على فرسٍ لسويد بن زيد، يُقال لها العجاجة، وأنيف بن ملّة على فرسٍ لملّة يُقال لها رغال، وأبو زيد بن عمرو على فرس يُقال لها شَمِر،

(١) الواقدي: مغازي: ٥٥٦/٢، وابن سعد: طبقات: ٨٨/٢.

(٢) بنو عذرة - بضم العين المهملة، وسكون الذال المعجمة - قبيلة كبيرة من قضاعة، ينسبون إلى عذرة بن سعد، وكانوا معروفين بشدَّة العشق، وغلبة الهوى.
(القلقشندي: قلائد الجمان: ٤٩، ابن حجر: فتح: ٧٤/٨).

(٣) الأولاج: جمع ولجة، وهي معطف الوادي. (القاموس: ولج).

(٤) النعم: الإبل.

(٥) أخرجه ابن سعد (طبقات: ٨٨/٢) عن شيوخه.

(٦) فيفاء مدان: الفيف: المفازة التي لا ماء فيها من الاستواء والسعة، فإذا أُنِّث فهي الفيفاء. والمدان: وادٍ في بلاد قضاعة بناحية حرة الرجلاء يسيل مشرقاً من الحرَّة.
(الحموي: معجم البلدان: ٢٨٥/٤، ٧٤/٥).

انطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد، وحبان، لأنيف ابن ملّة: كُفَّ عنا وانصرِف فإنّا نخشى لسانك، فوقف عنهما، فلم يَبْعُدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب، فقال: لأنا أضنّ بالرجلين منك بالفرسين، فأرخى لها حتى أدركهما، فقالا له: أما إذا فعلت ما فعلت فكُفَّ عنّا لسانك، ولا تشأمنا اليوم، فتواصوا ألاّ يتكلّم منهم إلاّ حبَّان بن ملّة، وكانت بينهم كلمة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: بُورِي أو ثُورِي ؛ فلمَّا برزوا على الجيش، أقبل القوم يبتدرونهم، فقال لهم حبان: إنّا قومٌ مُسلمون، وكان أوَّل مَن لقيهم رجل على فرسٍ أدهم، فأقبل يسوقهم، فقال أُنيف: بُوري، فقال حبَّان: مَهْلاً، فلمَّا وقفوا على زيد بن حارثة قال حبان: إنّا قومٌ مسلمون، فقال له زيد: فاقرءوا أُمّ الكتاب، فقرأها حبَّان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجَيْش أنَّ الله قد حرَّم علينا ثُغْرَة[1] القوم التي جاءوا منها إلاّ مَن خَتَر[2]. وإذا أخت حبان بن ملَّة، وهي امرأة أبي وَبْر بن عدي ابن أُميَّة ابن الضبيب في الأُسارى، فقال له زيد: خُذْها، وأخَذَت بحقويه[3]، فقالت أُم الفِزر الضُّلعية: أتنطلقون ببناتكم وتَذَرون

---

(١) ثغرة القوم: ناحيتهم التي يحمونها.

(٢) خَتَرَ: نقضَ العهد.

(٣) بحقويه: بخصريه.

أُمَّهاتكم ؟ فقال أحد بني الخصيب: إنَّها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائرَ اليوم، فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأُخت حبَّان ففُكَّت يداها من حقْوَيه، وقال لها: اجلسي مع بنات عمك حتَّى يحكم الله فيكُنَّ حُكْمَه، فرجعوا، ونَهَى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه، فأمسوا في أهليهم، واستعتموا ذوداً[١] لسويد بن زيد، فلمَّا شربوا عتمتهم[٢]، ركبوا إلى رفاعة بن زيد، وكان مِمَّن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة: أبو زيد بن عمرو، وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد، وبعجة بن زيد، وبرذع بن زيد، وثعلبة ابن زيد، ومُخْرَبة بن عدي، وأُنَيْف بن ملَّة، وحبان بن ملة، حتَّى صبَّحوا رفاعة بن زيد بكراع رَبـّـة[٣]، بظهر الحرَّة، على بئر هنالك من حرَّة ليلى[٤]؛ فقال له حبَّان بن ملَّة: إنَّك لجالس

(١) الذود:ما بين الثلاث إلى العشرمن الإبل.واستعتموذوداً:انتظروه إلىعتمـــة من الليل.

(٢) عتمتهم: لبنهم الذي انتظروه إلى ذلك الوقت.

(٣) كراع ربـّـة – بالراء وتشديد الباء – بلفظ ربَّة البيت أو ربَّة المال، أي صاحبته، في ديار جذام. والكراع هو: الجانب المستطيل من الحرَّة.

(انظر: الحموي: معجم: ٤/٤٤٣، وابن الأثير: نهايـــة: ٤/١٥).

(٤) حرَّة ليلى: لبني مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة. وعن بعضهم: أنَّ حرَّة ليلى من وراء وادي القرى من جهة المدينة فيها نخل وعيون.

=

تحلب المعزى ونساء جذام أُسارى قد غَرَّها كتابك الذي جئت به، فدعا رفاعة بن زيد بجملٍ له، فجعل يَشُدّ عليه رحله وهو يقول:

هل أنت حي أو تنادي حيّا

ثُمَّ غدا وهم معه، مبكرين من ظهر الحرَّة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلمَّا دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجلٌ من الناس، فقال: لا تنيخوا إبلكم، فتُقَطَّع أيديهنَّ، فترلوا عنهنَّ وهُنَّ قيام؛ فلمَّا دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم ألاح(١) إليهم بيده: أن تعالوا من وراء الناس ؛ فلمَّا استفتح رفاعة بن زيد المَنْطِق، قام رجلٌ من الناس فقال: يا رسول الله، إنَّ هؤلاء قوم سحرة، فردَّدَها مرَّتين، فقال رفاعة بن زيد: رحم الله مَن لم يحذُنا(٢) في يومه هذا إلاَّ خيراً، ثُمَّ دفع رفاعة بن زيد

=

قلت: قد تكون هي نفسها التي لبني مرّة، لأنَّ ديارهم تقع في نفس المنطقة. قال البلادي: تُعْرَف اليوم بحرَّة خيبر، وحرَّة هتيم، ومنها حرَّة أو اثنان في نهايتها الشمالية الشرقية، وهي تسايرك إذا تجاوزت خيبر على يمينك حتى تصير في الجناب (الجهراء اليوم).

(ياقوت: معجم البلدان: ٢/٢٤٧-٢٤٨، والسمهودي: وفاء الوفاء:٢/٢٨٨، والبلادي: معجم: ٩٧).

(١) ألاح: أشار.

(٢) لم يحذنا: لم يُعطِنا. وتُرْوَى: (لم يجدنا): لم ينفعنا.

كتابَـــه إلى رسول الله ﷺ الذي كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: اقرأه يا غلام، وأعْلِنْ؛ فلمَّا قرأ كتابه استخبره، فأخبروهم الخبر، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: كيف أصنع بالقتلى؟ – ثلاث مرَّات –. فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرِّم عليك حلالاً، ولا نُحَلّل لك حراماً، فقال أبو زيد بن عمرو: أطلِق لنا يا رسول الله مَنْ كان حيّاً، ومَا قُتِلَ فهو تحت قَدَمي هذه. فقال له رسول الله ﷺ: صدق أبو زيد، اركب معهم يا عليّ. فقال له عليٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ: إنَّ زيداً لن يُطيعني يا رسول الله، قال: فخُذ سيفي هذا، فأعطاه سيفه. فقال عليٌّ: ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو، يُقال له مِكْحَال، فخرجوا، فإذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وبر، يُقال لها الشمر، فأنزلوه عنها، فقال: يا عليّ ! ما شأني ؟ فقال: ما لهم عرفوه فأخذوه، ثُمَّ ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين))[١].

فقال علي بن أبي طالب ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ لزيد بن حارثة:

[١٩] (إنَّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تردَّ على هؤلاء القوم ما كان بيدك من أسير أو سبي أو مال. فقال زيد: علامة من رسول الله ! قال علي: هذا! فعرف زيد السيف، فنَزل فصاح بالنَّاس، فاجتمعوا

(١) من رواية ابن إسحاق عند ابن هشام، وقد سبق تخريجها برقم [١].

فقال: مَن كان بيده شيء من سبي أو مال فليرده، فهذا رسول رسول الله، فردَّ إلى النَّاس كُلَّ ما أُخِذَ منهم، حتَّى إن كانوا ليأخذون المرأة من تحت فخذ الرجل)(١).

(١) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم [١٢].

المبحث الثالث: سريـــة زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى مدين

وتحته مطالب:

المطــلب الأول: التعريف بمديـــــــــن

المطلــب الثاني: راوي الخبر وسياقـــه

المطلب الثالث: تاريــخ السريــــــــة

المطلب الرابــع: ســـير الأحـــداث

المطلب الأول: التعريف بمديـــــن:

مَدْيَنُ: بفتح أوَّله، وسكون ثانيه، وفتح الياء المثناة من تحت، وآخره نون، بلد بالشام معلوم، تِلقاء غزَّة، وهو المذكور في كتاب الله تعالى(١).

وقال الحازمي: بين وادي القرى والشام.

وقيل: مَدْيَـــن تجاه تبوك بَيْنَ المدينة والشام على ست مراحل، وبها استقى موسى -عليه السلام- لبنات شعيب، وبها بئر قد بُنِيَ عليها بيت.

قال أبو زيد: مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى ــ عليه السلام ــ لسائمة شعيب قال: ورأيت هذه البئر مغطاة قد بُنِيَ عليها بيت، وماء أهلها من عين تجري.

وقال محمَّد بن سهل الأحول: ومَدْيَن من أعراض المدينة أيضاً مثل فدك والفُرع ورهاط.

وقيل: مَدْيَن هي كفر مَنْده من أعمال طبريـــة، وعندها أيضاً البئر والصخرة.

ومَدْيَن: منازل جذام، وشعيب النَّبِيّ ــ عليه السلام ــ، المبعوث إلى أهل مَدْيَـــن أحد بني وائل بن جذام، وقال النَّبِيُّ ﷺ لوفـــد جذام: (مرحباً بقوم شعيب وأصهار موسى)(٢).

---

(١) ورد ذكر مَدْيَن في عشرة مواضع من القرآن الكريم: (الأعراف ٨٥، التوبة ٧٠، هود ٨٤، ٩٥، طــه ٤٠، الحج ٤٤، القصص ٢٢، ٢٣، ٤٥، العنكبوت ٣٦).

(٢) البكري: معجم ١٢٠١/٤.

فهي مدينة قوم شعيب، سُمِّيَت بِمَدْيَـــن بن إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ.

وقيل: مَدْيَن اسم القبيلة. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾. [سورة هود، الآية: ٨٤].

قال البلادي: أمَّا موقع مَدْيَن فهو بلا خلاف غرب تبوك، بينها وبين خليج العقبة، فإذا كان المقصود مدينة شعيب فهي تُعْرَف اليوم باسم البدع، وتقع على (٢٢٠) كيلاً من تبوك، يصل بينهما طريق معبَّد، أمَّا إذا كان المقصود ديار القبيلة فإنَّ الموقع والحدود تتأثر بسعة انتشار تلك القبيلة وتقلُّصها، فإذا ثبت أنَّهم من جذام كانت تمتد من ساحل البحر إلى قُرب تبوك، ثُمَّ تدخل في الشراة شمالاً، وتقرب من ضبة جنوباً.

وإذا طبَّقنا نظرية الحدود الجغرافية التي تشمل مسمىً واحداً في الغالب، نستطيع القول بأنَّ أرض مدين تُحَدُّ من الشرق بسراة حسمى، ومن الغرب بالبحر، ومن الشمال حقل أو العقبة، أمَّا من الجنوب فلا تتجاوز ضِبة أو دونها والبِدع، قرية تتوسط أرض خالية من العمران، فأقرب قرية تبعد عنها قرابة ستين كيلاً، وهي ـــ أيضاً ـــ تتوسط وادي عفال الخالي من الزراعة والحياة إلاَّ من هذه القرية، وهي ذات زراعة لا بأس بها على آبار ضخ، وفيها سكان وحوانيت ومقاهٍ، وسكانها الحويطات، وجُلُّهم من المساعيد.

وهذا البلد يسميه الباحثون المحدِّثون «مَدْيَـــن» بينما عرَّفه الرحَّالون الحُجَّاج كالجزيري، وابن عبد السلام الدرعي باسم «مغائر شعيب».

ومغائر شعيب: جمع مغارة، وهي الغار العميق في الجبل، وهي مغائر في صفراء شعيب التي تظلل البدع من الغرب، وفي هذه الصفراء من الميل الشمالي مكان يُقال إنـــه مُصَلّى شعيب عليه السلام، والإجماع من زمن متقدِّم على أنَّ هذه مغائر شعيب، وأنَّ البلد هو بلد شعيب سواء كان اسمه مدين أو الأيكـــة، فقد مرَّ الرَحَّالون من حُجَّاج مصر من هنا منذ بدايـــة القرن التاسع أو قبلها، فذكروا أنَّ الاسم هو مغائر شعيب وأنَّها مَدْيَـــن.

ويقول المساعيد - أهل هذه الديار -: إن اسم البدع ناتج عن أنَّ هذه الأرض قد دُثِرَت، ثُمَّ بُدعت فيها آبار ومزارع، فسُمِّيَت بذلك(١).

قلت: هذا تعريف شامل بمَدْيَن الذي سُمِّيَت به هذه السرية، ولكن هناك إشارات وردت في روايات الخبر تشير إلى أنَّ المكان الذي توجَّهت إليه السرية هو مكان آخر، ربما يكون قريباً من مَدْيَن.

ففي رواية محمَّد بن إسحاق عند سعيد بن منصور في سننه قال:

[١] ((**بَعَثَ رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى مدينة مقنا. قال سعيد: مقنا هي مَدْيَن**))(٢).

---

(١) انظر: البكري: معجم ١٢٠١/٤، الحموي: معجم ٧٧/٥ - ٧٨، البلادي: رحلات في بلاد العرب، في شمال الحجاز والأردن ١٣٨، ١٣١، ١٣١، ١٢٣.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (سنن ٢٤٨/٢) من حديث ابن إسحاق. وبه أخرجه ابن سعد نحوه (طبقات، الجزء المتمم لتابعي المدينة ٤٥٢). وقال عنه ابن حجر (الإصابة ٢١٤/٢): سنده منقطع.

=

وفي رواية ابن هشام بسنده عن فاطمة بنت الحسين بن علي قالت:

[٢] **«إنَّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مَدْيَن، ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب[١] رضي الله عنه، وأخ له. قالت: فأصاب سبياً من أهل ميناء، وهي الساحل،وفيها جُمَّاع[٢]من النَّاس»**[٣].

هذا ولم أجد في المعاجم الجغرافية مدينة باسم ميناء، وأظنّها والله تعالى أعلم تصحيف مقنا، لعِدَّة قرائن:

١) لا توجد مدينة أو قرية في المنطقة باسم ميناء.

٢) مشابهة لفظ (ميناء) للفظ (مقنا) خاصّةً وأنّــه ورد في بعض الروايات (مينا) بغير همز[٤].

=

قلت: كذلك فيه عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلّس. ولعلّ سبب الانقطاع هو أن فاطمة بنت الحسين لم تدرك النّبيّ ﷺ.

(١) ضميرة بن أبي ضميرة، مولى رسول الله ﷺ، له ولأبيه صحبة، وهو جدّ حسين بن عبد الله بن ضميرة، يُعَد في أهل المدينة. وقيل: إنّه ابن سعيد الحميري. وقال ابن حبان: ضميرة بن أبي ضميرة الضمري الليثي، وزعم عبد الغني المقدسي في العمدة أنّ ضميرة هذا هو اليتيم الذي صلّى مع أنس لّما صلّى النَّبيُّ ﷺ في بيتهم، قال: فقمت أنا واليتيم وراءه والعجوز خلفنا.

ابن حبان: الثقات ١٩٩/٣، ابن عبد البر: الاستيعاب، هامش الإصابة ٢١٤/٢، ابن حجر: الإصابة ٢١٤/٢.

(٢) الجماع: من الأضداد، ويكون تارة المجتمعين، وتارة المفترقين.

وأراد به هنا جماعات من الناس مختلطين.

(٣) رواه ابن هشام (سيرة ٦٣٥/٤) مُعَلَّقاً عن عبد الله بن حسن بن حسن.

(٤) انظر: الديار بكري: تاريخ ١٥/٢.

٣) ورد في الرواية أنّها مكان ساحلي، وبلدة مقنا تقع على الساحل.

٤) ورد في الرواية أنّها كان فيها جُمَّاع من الناس، أي جماعات من الناس مختلطين، ومن عادة المناطق الساحلية أن يكون سكانها من جماعاتٍ شتَّى، وقد ورد في بعض الروايات أنّ سكان مقنا كانوا خليطاً من العرب بني حبيبة[1]، ومن اليهود. والله تعالى أعلم.

وقال ياقوت: مقنا قُرْب أيلة، صالحهم النَّبِيُّ ﷺ على ربع عروكهم، والعروك خشب يُصطاد عليه[2].

وقال الواقدي:صالحهم على عروكهم وربع ثمارهم، وكانوا يهوداً.

وقال البلادي: وكانت مقنا بلدة عامرة عندما غزا رسول الله ﷺ تبوك، وكان أهلها بني حبيبة، فصالحهم وأدخلهم في ذِمَّة المسلمين، وسكانها اليوم بنو عقبة والفوائدة، وهي وادٍ من نواحي البدع، يسيل من الصفر الواقعة غرب البدع، فيصب في خليج العقبة من الشرق، وعند مصبه قرية مقنا المشهورة بنخلها وزراعتها، وتقع غرب البدع عند الدرجة (٢٥/ ٢٨) شمالاً، (٤٥/٤٤) شرقاً تقريباً، وتبعد عن البدع بما يقرب من (٣٧) كيلاً، وتوجد حولها آثار وبقايا مبانٍ قديمة[3].

---

(١) انظر: البلاذري: فتوح ٨٠، الحموي: معجم ١٧٨/٥، الحميري: الروض ٥٢٦.

(٢) العروك: خشبة تُلْقَى في البحر يركبون عليها فيُلْقُون شباكهم يصيدون السمك.
انظر: (ابن سعد: طبقات ٢٧٧/١).

(٣) انظر:الواقدي:مغازي١٠٣٢/٣،الحموي:معجم١٧٨/٥،البلادي:رحلات١٤٠.

المطلب الثاني: راوي الخبر وسياقــه:

روى ابن هشام خبر السرية على أنّــه من زياداته على سيرة ابن إسحاق فقال: وممَّا لم يذكره ابن إسحاق من بعوث رسول الله ﷺ وسراياه، سرية زيد بن حارثة إلى مدين. ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن[1]، عن أُمِّه فاطمة[2] بنت الحسين بن علي ــ عليهم رضوان الله ــ:

[٣] «**أنَّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مَدْيَن... الحديث**»[3]

قلت: ولعلَّ ابن هشام ــ رحمه الله تعالى ــ، وهم في عدم نسبة الحديث إلى ابن إسحاق، أو لعلَّ الحديث سقط من رواية البكائي، وهي الرواية التي هذَّبها ابن هشام من سيرة ابن إسحاق، ولم يطَّلِع ابن هشام على روايات الحديث الأُخرى، فالحديث أخرجه سعيد بن منصور من طريق «أبي شهاب»[4] عن محمَّد بن إسحاق، عن عبد الله بن الحسن، عن أُمِّه فاطمة بنت حسين، قالت:

---

(١) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المدني، أبو محمَّد (ثقةٌ جليل القدر) من الخامسة، مات أوائل سنة خمسٍ وأربعين. (تقريب ٣٠٠).

(٢) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية المدنية، زوج الحسن بن الحسن بن علي (ثقــةٌ) من الرابعة، ماتت بعد المائــة وقد أسنَّت. (تقريب ٧٥١).

(٣) من رواية ابن هشام، وقد سبق تخريجها برقم [٢].

(٤) عبد ربــه بن نافع الكناني، الحنَّاط - بمهملة ونون - نزيل المدائن، أبو شهاب الأصغر (صدوق يهم)من الثامنة،مات سنة إحدى أو اثنتين وسبعين.(تقريب ٣٣٥).

[٤] «**بعَثَ رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى مدينة مقنا..**»[(١)]. الحديث.

وأخرجه ابن سعد كذلك من طريق «أبي شهاب» بـــه نحوه[(٢)].

وعزاه لابن إسحاق كُلٌّ من: ابن سيد النَّاس[(٣)]، والشامي[(٤)]، وتابعهما في ذلك الحلبي[(٥)].

أمَّا سياق الخبر ففيه اختلاف جوهري بين رواية سعيد، وابن سعد، ورواية ابن هشام، ففي رواية ابن هشام، ذكر أنَّ ضميرة وأخاه كانا من جنود السرية، بينما وقع في روايتي سعيد، وابن سعد أنَّ زيدَ بن حارثة ــ رضي الله عنه ــ، أصاب ضميرة فيمن أصاب من السَّبْي، ووقع مثل ذلك في روايات أُخَر، منها ما هو متابع، ومنها ما هو شاهد لروايتي سعيد، وابن سعد، وهي بالتأكيد أقوى سنداً من رواية ابن هشام.

فقد أخرج عبد الرَّزَّاق في المصنَّف، من طريق الثوري[(٦)]، عن عبدالله بن حسن عن أُمِّه فاطمة بنت حسين:

---

(١) من رواية ابن سعد، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٢) من رواية ابن إسحاق عند سعيد بن منصور، وعند ابن سعد، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٣) عيون الأثر ١٤٣/٢.

(٤) سبل الهدى ١٥٣/٦.

(٥) السـيرة ١٨٥/٣.

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي (ثقةٌ، حافظٌ، فقيهٌ، عابدٌ إمامٌ، حُجَّة) من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلَّس. مات سنة إحدى وستين. (تقريب ٢٤٤).

[٥] «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث زيد بن حارثة في سرية فأصاب سبياً فجاء بهم...» ثُمَّ ذكر الحديث. إلاَّ أنَّه قال فيه: «فاحتاج إلى ظهر[١] فباع غلاماً منهم، فجاءت أُمّـــه فرآها النَّبِيُّ ﷺ تبكي، فسأله. فقال: احتجت إلى بعض ظهر فبعت ابنها. فقال له النَّبِيُّ ﷺ: ارجع فردَّه أو اشتره. فقال: فوهبه بعد ذلك لعلي. قال: فكان خازناً له. قال: وولد له»[٢].

أمَّا الشاهد، كما ذكر ابن حجر[٣]، فقد أخرجه البخاري في تاريخه من طريق ابن أبي ذئب[٤]، عن حسين بن عبد الله بن ضميرة[٥]، عن أبيه[٦]، عن جده ضميرة:

(١) الظهر: المراد بــه الراحلة، يُكَنَّى به عنها لأنــَّه هو المقصود بالاستعمال منها.

(٢) أخرجه عبد الرَّزَّاق(المصنف٨/٣٠٧)وسنده منقطع.لأن فاطمة لم تسمع من النّبيّ ﷺ.

(٣) إصابــة ٢/٢١٤.

(٤) محمَّد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث المدني (ثقــةٌ، فقيهٌ، فاضلٌ) من السابعة، مات سنة ثمانٍ وخمسين، وقيل: سنة تسع. (تقريب ٤٩٣).

(٥) الحسين بن عبد الله بن أبي ضميرة، سعيد الحميري المدني، روى عن أبيه، وعنه زيد ابن الحباب وغيره (متروك الحديث) كذَّبه مالك وغيره، وقال عنه البخاري: (منكر الحديث ضعيف).

انظر: (البخاري: الضعفاء الصغير ٦٩، التاريخ الكبير ٢/٣٨٨، الذهبي: ميزان ١/ ٥٣٨، ابن حجر: لسان ٢/٢٨٩).

(٦) لم أعثر على ترجمته.

[٦] «أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بأُمِّ ضميرة وهي تبكي. فقال: ما يُبْكيكِ؟ قالت: يا رسول الله! فُرِّق بيني وبين ابني، فأرسل إلى الذي عنده ضميرة فابتاعه منه ببكر»(١)(٢).

---

(١) البكَر: بالفتح، ولد الناقة، والفتى منها. (القاموس: بكر).

(٢) أخرجه البخاري (التاريخ ٢/٣٨٨-٣٨٩)،وعزاه إليه ابن حجر (إصابة ٢/٢١٤) وقال: «رويناه بعلو في الأول من حديث المخلّص، قال ابن صاعد: غريب تفرَّد به ابن وهب عن ابن أبي ذئب. قلت: ذكر ابن منده أنَّ زيد بن الحباب تابع ابن أبي ذئب فرواه عن حسين أيضاً، وأخرجه ابن منده من طريق ورَّاد».

قلت: والحديث مداره على الحسين بن عبد الله بن ضميرة، وهو متروك الحديث، كما مرَّ، ولكنَّ الحديث جاء من طُرُق، فقد أخرج أبو داود (كتاب الجهاد، باب في التفريق بين السبي، حديث رقم ٢٦٧٩) من حديث ميمون بن أبي شبيب، عن علي رضي الله عنه (أنَّـه فرَّق بين جارية وولدها، فنهاه النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن ذلك، وردَّ البيع).

وأخرجه الحاكم (مستدرك ٢/١٣٦) بسنده عن ميمون به مثله، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص.

قلت: ولكنَّ أبا داود قد أعلَّ الحديث بالانقطاع، بأنَّ ميمون لم يدرك عليّاً (انظر: عون المعبود ٧/٣٦٣).

كما أخرج الحاكم من حديث شعبة عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي ـــ رضي الله عنه ـــ قال: (أمرني رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ أن أبيع أخوين من السبي فبعتهما، ثُمَّ أتيت رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ فأخبرته ببيعهما، فقال: فرَّقت بينهما ؟ قلت: نعم. قال: فارتجعهما، ثُمَّ بِعْهُما ولا تفرِّق
=

وأخرجه ابن عبد البر من طريق ابن وهب[(١)] بــه نحوه[(٢)].

فكُلُّ هذه الروايات الأقوى سنداً من رواية ابن هشام، ذكرت أنّ ضميرة كان من سبي تلك السرية، ولم يكن من جنودها. فلعلّ ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ وهم في ذلك أيضاً. والله تعالى أعلم.

=

بينهما). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي (المستدرك ١٣٦/٢).

وهذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه الترمذي (أبواب البيوع، باب ما جاء في كراهية أن يفرق بين الأخوين، أو بين الوالدة وولدها في البيع، حديث رقم ١٣٠٢) من حديث ميمون، عن علي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وذكر الشوكاني (نيل الأوطار ١٦٢/٥) الحديثين عن علي رضي الله تعالى عنه ثُمَّ قال: وحديث علي الأول رجال إسناده ثقات كما قال الحافظ، وقد صحَّحه ابن خزيمة، وابن الجارود، وابن حبان، والحاكم، والطبراني، وابن القطّان. وحديثه الثاني هو من رواية ميمون بن أبي شبيب عنه، وقد أعلّه أبو داود بالانقطاع بينهما. وأخرجه الحاكم وصحّح إسناده، ورجّحه البيهقي لشواهده.

(١) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم، أبو محمَّد المصري، الفقيه (ثقةٌ، حافظٌ عابدٌ) من التاسعة، مات سنة سبعٍ وتسعين وله اثنتان وسبعون. (التقريب ٣٢٨).

(٢) الاستيعاب، هامش الإصابة٢١٤/٢،وقال فيه:(ما يُبْكيكِ، أجائعةٌ أنتِ أم عارية؟).

المطلب الثالث: تاريـــخ السريـــة:

لم تُحَدِّد الروايات التي ساقت خبر السرية تاريخاً محدَّداً لها بما فيها رواية ابن هشام في السيرة، حيث ذكرها ابن هشام في آخر كتاب المغازي مشيراً إلى أنَّها من زياداتـــه على سيرة ابن إسحاق، وذكرها بعد سريـــة عمرو بن أُميَّـــة الضمري إلى أبي سفيان[1].

وخبر السرية كما لاحظنا قد تفرَّد به ابن إسحاق من بين أهل المغازي ولكن لم يذكر لها تاريخاً.

ولكنه يمكن أن نستنبط لها تاريخاً تقريبياً من خلال سير أحداث السرية النبويـــة المباركة، حيث يمكننا الجزم بأنَّ هذه السرية كانت قبل غزوة مؤتـــة بلا شك، وذلك في فترة هدنة الحديبية، وهي الفترة التي زاد فيها نشاط السرايا والبعوث النبويـــة في المنطقة الشمالية من الجزيرة.

إذ أنَّ قائد السرية زيد بن حارثة ـــ رضي الله عنه ـــ، كان من قادة مؤتـــة الذين استشهدوا بها، لأجل ذلك قدَّمتها هنا في باب السرايا والبعوث النبوية الشمالية قبل مؤتـــــــة. والله تعالى أعلم.

---

(١) السيرة ٦٣٥/٤.

المطلب الرابع: ســير الأحــداث:

قبل معركة مؤتـــة الشهيرة، بعث رسول الله ﷺ حِبَّه ومولاه زيد ابن حارثة ــ رضي الله تعالى عنه ــ إلى منطقة مَدْيَن، وبالتحديد إلى بلدة مقنا على ساحل البحر الأحمر، في سرية لم تذكر الروايات قوَّتَها.

واستطاع زيد ــ رضي الله تعالى عنه ــ التوغُّل في تلك المنطقة البعيدة عن قاعدة المسلمين، ومناطق نفوذهم، ونجح ــ رضي الله تعالى عنه ــ في الإغارة عليهم:

[٧] ((**فأصاب منهم سبايا، منهم ضميرة**))(١) وأخوه، وأُمُّه، وأبوه، فجاء بهم زيد ــ رضي الله تعالى عنه ــ إلى رسول الله ﷺ .

[٨] ((**فأمر رسول الله ﷺ ببيعهم، فخرج إليهم وهم يبكون، فقال لهم: مِمَّ تبكون ؟ قالوا: فرّقنا بينهم وهم إخوة. فقال رسول الله ﷺ: لا تفرِّقوا بينهم، بيعوهم جميعاً**))(٢). كمـــا

[٩] ((**أنَّ النَّبِيَّ ﷺ مرَّ بأُمّ ضميرة وهي تبكي، فقال: ما يبكيكِ ؟ قالت: يُفَرَّق بيني وبين ابني. فقال: لا يُفَرَّق بين الوالدة وولدها، ثُمَّ أرسل إلى الذي ضُمَيرة عنده فدعاه فابتاعه منه ببكر**))(٣).

[١٠] ((**فوهبه بعد ذلك لعلي، قال: فكان خازناً له، قال: وولد له**))(٤).

---

(١) من رواية ابن إسحاق عند سعيد بن منصور، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٢) من رواية ابن إسحاق عند سعيد بن منصور، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٣) من رواية البخاري في التاريخ، وقد سبق تخريجها برقم [٦].

(٤) من رواية عبد الرَّزَّاق في المصنَّف، وقد سبق تخريجها برقم [٥].

هذا وقد أخرج ابن سعد، وابن منده، والبغوي حديث حسين بن عبد الله بن ضميرة حول:

[١١] «**الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ إلى ضميرة، وفيه: أنَّهم كانوا أهل بيت من العرب، وكان مِمَّن أفاء الله على رسوله (فأعتقهم)[١]، ثُمَّ خيَّر أبا ضميرة إن أحب أن يلحق بقومه فقد أمَّنه رسول الله ﷺ، وإنَّ أحبَّ أن يمكث مع رسول الله ﷺ فيكون مع أهل بيته، فاختار أبو ضميرة الله ورسوله، ودخل في الإسلام، فلا يعرض لهم أحد إلاَّ بخير، ومَن لقيهم من المسلمين، فليستوصِ بهم خيراً، وكتب[٢] أُبَيُّ بن كعب**»[٣].

(١) في الإصابة: فاعتذر، وهو تصحيف، وما أثبته مناسب للسياق.

(٢) في الإصابة: وكتب (إلى) أُبي بن كعب، وهي زائدة.

(٣) عزاه ابن حجر (إصابة ٢/٢١٤) إلى ابن سعد، وابن منده، والبغوي، وقال: «أخرجه ابن منده من طريق ورَّاد، قال ابن أبي ذئب: أقرأني حسين كتاباً فيه: من مُحَمَّد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أعتقهم. قلت: وللحديث شاهد عند ابن إسحاق بسندٍ منقطعٍ، وقد تابع ابن أبي ذئب أيضاً إسماعيل بن أبي أويس، أخرجه محمَّد بن سعد، وأورده البغوي عنه عن إسماعيل بن أبي أويس، أخبرني حسين بن عبد الله بن ضميرة بن أبي ضميرة، أنَّ الكتاب الذي كتب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى ضميرة فذكره كما تقدَّم».

قلت: الحديث مداره على الحسين بن عبد الله بن ضميرة، وهو ضعيف، متروك الحديث، كما تقدَّم. والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني: السرايا والبعوث النبوية إلى فدك

وتحتـــه ثلاثـــة مباحـــث:

المبحـــــث الأول: سريـــة علي بن أبي طالب ﵁ إلى بني سعد بفدك.

المبحـــث الثاني: سرية بشير بن سعد ﵁ إلى بني مرة بفدك.

المبحث الثالث: سرية غالب بن عبد الله الليثي ﵁ إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك (الحُرقات).

المبحث الأول: سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى بني سعد بفدك[1].

وفيـــه مطالب:

المطلب الأول: تعريف بفدك.

المطلب الثاني: تاريخ السرية، وسببها.

المطلب الثالث: سير الأحداث.

المطلب الرابع: الدروس والعبر المستقاة من أحداث السرية.

---

(١) خبر السرية رواه ابن إسحاق (ابن هشام: سيرة ٣٤٤/٤) مختصراً مُعَلَّقاً بلا سند، ورواه ابن سعد (طبقات ٨٩/٢ - ٩٠) مطولاً عن شيوخه. كما رواه الواقدي (مغازي ٥٦٢/٢ - ٥٦٣) مطولاً، مفصَّلاً بأسانيده. فالخبر بذلك يكون ضعيفاً حديثياً، ولكن برواية أهل المغازي المعتمدين له يمكن الاستئناس بـــه تاريخياً. والله تعالى أعلم.

المطلب الأول: التعريف بفدك:

فدك - بفتح أوَّله، وثانيه، وقيل: بالفتح. وقيل: بالتحريك، وآخره كاف، قال ابن دريد: فدَّكت القطن تفديكاً إذا نفشته، وفدك: قرية بالحجاز. قال عياض: هي على يومين، وقيل: ثلاثة من المدينة، وأقرب الطُّرُق من المدينة إليها من النَّقرة مسيرة يوم على جبل، يُقَال له الحِبَالَة والقذال، ثُمَّ جبل يُقَال له: جُبار، ثُمَّ يَرْبغ، وهي قرية لولد الرِّضا، وهي كثيرة الفاكهة والعيون، ثُمَّ تركب الحرَّة عشرة أميال، فتهبط إلى فدك، قال الأصمعي: حرَّة النَّار فدك. وطريق أُخرى، وهي طري مُصَدِّق بني ذبيان وبني محارب من المدينة إلى القصة، وهناك تُصدّق بنو عوال من بني ثعلبة بن سعد، ثُمَّ ينْزل نخلاً، فتصدّق الخضر خضر محارب، ثُمَّ ينْزل المغيثة فتصدّق سائر بني محارب، ثُمَّ الثَّامليَّة لأشجع، ثُمَّ الرقمتين لبني الصَّادر، ثُمَّ مرتفقاً لبني قتَّال بن يربوع، ثُمَّ فدك، ثُمَّ الخُراضة، ثُمَّ خيبر، وفي فدك عين فوَّارة ونخيل كثيرة، وحصن فدك يُقال له: الشمروخ، وقيل: سُمِّيت بفدك بن حام لأنـــّه أوَّل من نزلها. وذكر البكري أنَّ أكثر أهلها أشجع.

وقال ياقوت: كان أهلها يهود[1]، فلمَّا فتحت خيبر طلبوا من النَّبيِّ ﷺ الأمان على أن يتركوا له البلد، فكانت له خاصّةً، لأنَّها مِمَّا لم يُوجف

---

(١) ربَّما كان يسكنها اليهود، وقبيلة أشجع، معاً، أو أنَّ اليهود كانوا هم سُكَّان المدينة، وقبيلة أشجع كانوا يسكنون حول المدينة ويشتركون مع يهودها بحلف مثل بقية القبائل الغطفانية الأخرى.

عليه بخيل ولا ركاب، فكان يصرف ما يأتيه منها في أبناء السبيل، وفي رواية: أنَّهم صالحوه على النصف، ولـم يزل أهلها بـها حتى أجلى عمر ــ رضي الله عنه ــ اليهود فوجَّه إليهم من قوّم النصف، وعوَّضهم عنه، وأجلاهم إلى الشام.

ولمَّا قُبِضَ رسول الله ﷺ قالت فاطمة ــ رضي الله تعالى عنها ــ: إنَّ رسول الله ﷺ نحلنيها[1]، فقال أبو بكر الصِّدِّيق ــ رضي الله عنه ــ: أريد لذلك شهوداً، ولها قِصّة، ثُمَّ أدَّى اجتهاد عمر بن الخطَّاب ــ رضي الله تعالى عنه ــ بعده لمَّا فُتِحَت الفُتُوح واتَّسعت على المسلمين أن يرُدَّها إلى ورثة رسول الله ﷺ، فكان عليٌّ بن أبي طالب ــ رضي الله تعالى عنه ــ، والعبَّاسُ بن عبد المطلب ــ رضي الله تعالى عنه ــ يتنازعان فيها، ويتخاصمان إلى عمر ــ رضي الله تعالى عنه ــ، فيأبى أن يحكُم بينهما، ويقول: أنتُما أعرف بشأنكما، ولمَّا ولي معاوية ــ رضي الله تعالى عنه ــ أقطعها مروان بن الحكم، ووهبها مروان لابنيه عبد الملك، وعبد العزيز، ثُمَّ صارت للوليد بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ولمَّا ولي الوليد استوهبا منه عمر بن عبد العزيز، فكانت له خالِصَةً تغُل له عشرة آلاف دينار، وكانت مِن أحبّ ماله إليه، ولكنَّه حينما ولي الخلافة، كَتَبَ إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة ــ رضي الله تعالى عنها ــ، فلمَّا ولي يزيد بن عبد الملك قبضها، فلم تزل في أيدي بني أُمَيَّة حتى ولي السَّفَّاح

(١) النَّحْلُ: هو العَطَاءُ بِلا عِوَض.

الخلافة فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فكان هو القيِّم عليها يُفَرِّقُها في بني علي بن أبي طالب، فلمَّا ولي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم، فلمَّا ولي المهدي أعادها عليهم، ثُمَّ موسى الهادي ومَن بعده إلى أيام المأمون، فجاءه رسول بني علي بن أبي طالب فطالب بها، فأمر أن يُسجل لهم بها، فكُتِبَ السجل وقُرِئَ على المأمون، فقام دعبل الشاعر وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشم فدكـــــا

ولَمَّا استخلف جعفر المتوكل ردَّها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر الصديق ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ.

وفدك: قرية مشهورة، وقد استغرب مجد الدين الفيروزآبادي الذي عاش في القرن الثامن، والسمهودي في القرن التاسع، عدم معرفة أهل المدينة لها في ذلك الوقت على شهرتها، فربَّما كان ذلك بسبب خرابها، فقد ذكر الحلبي الذي عاش في القرن العاشر أنَّها كانت خراباً في عهده، أو ربَّما لتغيُّر اسمها ففدك اليوم تُعْرَف بالحائط، وتقع ضمن نطاق منطقة حائل الإدارية بين محافظة الحليفة ومحافظة خيبر، وجُلّ أهلها اليوم هم من قبيلة الرشايدة[1].

---

(١) انظر: البكري: معجم ١٠١٥/٣ - ١٠١٦ ـــ ياقوت الحموي: معجم ٢٣٨/٤ - ٢٤٠، الحميري: الروض ٤٣٨، السمهودي: وفاء ١٢٨٠/٤ - ١٢٨١، الحلبي: سيرة ١٨٥/٣، البلادي: معجم ٢٣٥.

هذا ومن الملاحظ أنّ منطقة عمليات السرايا لم تكن قرية فدك ذاتها، وإنَّما المنطقة المحيطة بها، والتي كانت تسكنها قبيلة بني مرّة، وقبيلة بني سعد بن بكر، ولكن باعتبار قربها من فدك تجوَّز أهل المغازي بنسبتها إليها.

قال الحلبي، والزرقاني، تعليقاً على أنّ بشير بن سعد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ قائد السرية، تحامل على نفسه - حينما أُصيب هو ومَن معه - حتَّى أتى فدك فأقام بها أيّاماً حتَّى ارتفع من الجراح، قالا: وهذا يدل على أنّ بني مرّة الذين توجَّه إليهم بشير لم يكونوا بفدك، بل بالقرب منها، فتسمَّحوا في قولهم إلى بني مرّة بفدك لمجاورتها وكونها من أعمالها[1]. وكذلك الأمـــر بالنسبة لسرية عـــلي بن أبي طالب ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ إلى بني سعد.

(١) الحلبي: سيرة ١٩٢/٣، الزرقاني: شرح ٣٥٠/٢.

المطلب الثاني: تاريخ السرية، وسببها(١):

أولاً: تاريخ السريـــة:

ذكر ابن إسحاق خبر السرية مقتضباً في جملة السرايا، لذلك لم يذكر لها تاريخاً محدَّداً، وإنَّما ذكرها بعد سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح(٢).

وانفرد الواقدي، وابن سعد، بالإسهاب في الحديث عن خبر السرية كعادتهما، نقلاً عن شيوخهما، فكان من الطبعي أن يذكرا لها تاريخاً محدَّداً حيث ذكرا أنها كانت في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ(٣).

وذكرها خليفة بن خياط كذلك ضمن السرايا التي كانت سنة ست من الهجرة، دون أن يحدِّد الشهر الذي أُرسلَت فيه(٤).

ونقـــل الطبري(٥)، وابن القيم(٦)، وابن كثير(٧)، حديث الواقـــدي

(١) نظراً لما أشارت إليه الروايات من العلاقة الوثيقة بين تاريخ السرية، وسببها، لأجل ذلك أدمجت الاثنين في مطلبٍ واحدٍ حتَّى لا يتكرَّر الكلام، وحتَّى يكون التعليق عليهما منسجماً ومتوافقاً.

(٢) ابن هشام: سيرة ٤/٣٤٤.

(٣) المغازي ٢/٥٦٢ - ٥٦٣، الطبقات ٢/٨٩ — ٩٠.

(٤) تاريخ ٧٩.

(٥) تاريخ ٢/٦٤٢.

(٦) زاد المعاد ٢/٢٨٤.

(٧) البدايـــة والنهايـــة ٤/١٨١.

عنها في أحداث السنة السادسة، دون تعليق منهم على ذلك.

وكذلك ابن سيد النَّاس نقلاً عن ابن سعد[١].

واقتصر الشامي على رواية الواقدي، لكنَّه لم يذكر شيئاً في شرحه عن تاريخ السرية[٢].

أمَّا القسطلاني[٣]، والمقريزي[٤]، فإنَّهما تابعا الواقدي، وابن سعد في روايتيهما.

ثانياً: سبب السريـــة:

ذكر خليفة بن خياط أنَّ السرية كانت إلى فدك، وأنَّ علي بن أبي طالب ــــ رضي الله عنه ــــ أخذها[٥].

بينما ذكر الواقدي، وابن سعد، وهما مَن حَدَّدا تاريخ السرية بدقة أنَّها كانت بسبب المعلومات التي بلغت رسول الله ﷺ عن بني سعد بن بكر بأنَّ لهم تحرُّكات وحشوداً استعدادية لإمداد يهود خيبر[٦].

---

(١) عيون ٢/١٤٤.

(٢) سبل ٦/١٥٤ — ١٥٦.

(٣) المواهب ١/٤٨٠.

(٤) امتاع ١/٢٦٨.

(٥) تاريخ ٧٩.

(٦) المغازي ٢/٥٦٢، الطبقات ٢/٨٩

=

فيمكن أن تكون هذه السرية قبيل خيبر، وذلك ضمن الجهود المبذولة من النَّبِيِّ ﷺ لتحطيم الحلف الخيبري الذي كان قائماً بين يهودها والقبائل المحيطة بخيبر، والذين كان لهم دورٌ بارزٌ في غزوة الأحزاب، وذلك

=

قال الحلبي (سيرة ١٨٦/٣) معلقاً على ذلك: قوله يريدون أن يمدوا يهود خيبر يقتضي بظاهره أنَّ ذلك كان عند محاصرة خيبر أو عند إرادة ذلك، وفيه ما لا يخفى لما تقدَّم، والله تعالى أعلم.

قلت: الذي لا يخفى ولم يذكره الحلبي هو أنَّ خيبر كانت في شهر جمادى الأولى سنة سبع كما يذكر ابن سعد (طبقات ١٠٦/٢)، وفي شهر صفر أو بداية شهر ربيع الأول كما يذكر الواقدي (مغازي ٦٣٣/٢)، وما ذكراه من تاريخ هذه السرية وأنـّه شعبان سنة ست يتنافى مع سياق الأحداث، حيث أنَّ بين الغزوة والسرية ثمانية أشهر أو تسعة أشهر بحسب ما ذكراه، وذلك وقت طويل جداً حدثت فيه أحداث مهمة من غزوات وسرايا وبعوث، وغير ذلك، فهل يمكن بعد ذلك القول بأنَّ سبب هذه السرية هو منع أولئك الأعراب من بني سعد بن بكر من التحشد لنصرة أو إمداد يهود خيبر ضد المسلمين في ذلك الوقت المبكر ؟! والذي ربما لم يعقد فيه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم العزم بعد لغزو خيبر، لأنَّ الاستراتيجية العسكرية في ذلك الوقت كانت موجهة وبتركيز أكبر نحو قريش وحلفائها، ولم تتغير تلك الاستراتيجية وتتحول نحو اليهود وحلفائهم في خيبر وما حولها إلاَّ بعد الحديبية وعقد الهدنـة مع قريش وحلفائها.

وإذا فرضنا جدلاً وسلَّمنا بصحة هذا التوجه، وأنَّ ذلك فعلاً هو سبب هذه السرية، فلا يمكن حينها التسليم بصحة التاريخ المذكور للسرية لعدم التوافق والانسجام بينهما كما ذكرنا سلفاً. فلابـُدَّ أن يكون تاريخها متأخرٌ عمَّا ذكره الواقدي وابن سعد.

ضمن الاستراتيجية العسكرية التي وضحها بعد هزيمة الأحزاب بقوله: (**الآن نغزوهم ولا يغزونا**).

وما قيل في سبب السرية يؤكّد أنّها قبل خيبر بقليل، أو في أثناء توجُّه النَّبيِّ ﷺ إليها، وهو الأرجح، ويؤيده قول الرجل لوبر بن عليم قائد بني سعد حينما رآه منهزماً مع قومه من أمام المسلمين:

[١] «**إني أرى أمر محمَّدٍ أمراً قد أمن وغلظ، أوقع بقريشٍ فصنع بهم ما صنع، ثُمَّ أوقع بأهل الحصون بيثرب، قينقاع وبني النضير وقريظة، وهو سائرٌ إلى هؤلاء بخيبر**»(١).

فذلك دليل قوي على أنّ السرية كانت في أثناء مسير النَّبِيِّ ﷺ إلى خيبر، حيث وردت إليه معلومات استخبارتية أنّ أولئك الأعراب من بني سعد في تحشُّدٍ سريعٍ لإمداد يهود خيبر، فسارع ببعث السرية إليهم قبل أن تستكمل استعداداتهم لذلك.

والغريب أنّ الواقدي ساق هذه الرواية ولم يُعَلِّق عليها على الرغم من أنّها تخالف ما ذكره من تاريخ السرية وأنّه في شعبان سنة ست، فلعلَّه رحمه الله تعالى وَهِمَ في ذكر هذا التاريخ.

والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الواقدي (مغازي٢/٥٦٣) بسنده عن عيسى بن عليلة، عن أبيه، عن جده.

المطلب الثالث: سير الأحداث[١]:

بينما كان النَّبِيُّ ﷺ في طريقه إلى خيبر - كما يُفهم من رواية الواقدي[٢] - وصلت إليه معلومات مفادها أنَّ هناك تحرُّكات تحشديَّة معادية للمسلمين، يقوم بها رجل من بني سعد بن بكر يُدْعَى: وبَر بن عُليم، في جمعٍ من قومـــه بني سعد، بالقرب من فدك، وذلك لمناصرة يهود خيبر ضد المسلمين، وأنَّهم بصدد الاتفاق معهم على إمدادهم بقوَّةٍ منهم مقابل جزء من تمر خيبر يُجْعَل لهم.

وكعادته ﷺ في استرتيجيته المتبعة دائماً مع أعدائـــه وبخاصّةً الأعراب، في مباغتتهم وضربهم قبل استكمال تحشُّدهم، وتطوُّر استعداداتهم، سارع ﷺ في تجهيز سرية، عبارة عن دورية قتال تعرُّضية[٣] قوَّتها مائـــة رجل بقيادة علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ.

---

(١) بما أنَّ الواقدي، وابن سعد، هما مَن أسهبا في الحديث عن أحداث هذه السرية، بينما ذكرها ابن إسحاق بشكلٍ مقتضبٍ وموجزٍ، لذلك فسوف يكون الاعتماد بعد الله عزَّ وجلَّ إن شاء الله تعالى، على روايتيهما في سرد الأحداث على ما فيهما من الضعف، لحاجتنا إليهما، لأنَّهما تكملان الإطار التاريخي للواقعة. والله تعالى أعلم.

(٢) انظر ص ١٠٥.

(٣) التعرُّض: هو التوجه بصورة عامَّـــة إلى طلب الخصم بقصد ملاقاته ومقاتلته في ساحات القتال. (العقيد محمَّد صفاء: الحرب ٢١).

[٢] «فسار الليل، وكمن النَّهار، حتَّى انتهى إلى الهمج»[١]، فأصاب عيناً، فقال: ما أنتَ ؟ هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد؟ قال: لا علم لي بــه، فشدُّوا عليه فأقرَّ أنــّه عين لهم بعثوه إلى خيبر، يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم، ويقدمون عليهم، فقالوا له: فأين القوم ؟ قال: تركتهم وقد تجمَّع منهم مائتا رجل، ورأسهم وبَر ابن عُلَيْم. قالوا: فسر بنا حتى تدُلّنا. قال: على أن تُؤَمِّنوني. قالوا: إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم أمَّنَّاك، وإلاَّ فلا أمَانَ لك. قال: فذاك، فخرج بهم دليلاً لهم»[٢]. بعد أن كان عيناً عليهم، فسار بهم في فدافد[٣]، وآكام[٤]، حتى ساء ظنهم بــه، واعتقدوا أنــّه ربَّما كان يخدعهم، حتى أفضى بهم إلى سهلٍ من الأرض.

[٣] «فإذا نعَم كثير، وشاء[٥]، فقال: هذه نَعمهم وشاؤهم، فأغاروا عليه فضموا النعم والشاء، قال: أرسلوني. قالوا: حتى نأمن

---

(١) الهَمَج – بالتحريك، والجيم –: ماء وعيون عليه نخل. (الحموي: معجم ٥/٤١٠، السمهودي: وفاء ٤/١٣٢٧).

(٢) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٥٦٢).

(٣) الفدفد: الفلاة، والمكان الصّلب الغليظ والمرتفع. (قاموس: الفدفد).

(٤) الأكمة ـــ محرَّكة ـــ: التل من القف من حجارة واحدة، أو هي دون الجبال، أو الموضع يكون أشدّ ارتفاعاً مِمَّا حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. (القاموس: الأكمة).

(٥) الشاء: جمع شاة.

الطلب، ونذر بهم الراعي رعاء الغنم والشاء، فهربوا إلى جمعهم فحذّروهم فتفرّقوا»[١].

[٤] «وهربت بنو سعد بالظّعن، ورأسهم وَبَر بن عُلَيْم»[٢].

فقال الدليل للقائد علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ: علامَ تحبسني؟ قد تفرَّقت الأعراب وأنذرهم الرعاء، قال علي ـــ رضي الله عنه ـــ: ليس بعد، فإنَّا لم نبلغ معسكرهم.

[٥] «فانتهى بهم إليه فلم ير أحداً، فأرسلوه وساقوا النعم والشاء، النعم خمسمائة بعير، وألفا شاة»[٣].

[٦] «فعزل علي صفيّ النَّبيِّ ﷺ[٤] لقوحاً[٥] تُدْعَى الحفذة، ثُمَّ عزل الخُمُس، وقسَّم سائر الغنم على أصحابــه»[٦]، ثُمَّ مكث ثلاثاً أوقَعَ أثناءَها الرُّعْبَ في قلوب الأعراب.

يُحَدِّثنا أحد شهود العيان، كما يروي الواقدي، فيقول:

[٧] «إني لبوادي الهَمَج، إلى يديع[٧]، ما شعرت إلاَّ ببني سعد يحملون

---

(١) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٥٦٢).

(٢) من رواية ابن سعد (طبقات ٢/٩٠)، عن شيوخه.

(٣) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٥٦٢).

(٤) الصَّفِيُّ: ما كان خالصاً للنبيّ ﷺ.

(٥) اللقوح: الناقة الحلوب. (القاموس: لقوح).

(٦) من رواية ابن سعد (طبقات ٢/٩٠)، عن شيوخه.

(٧) يديع: أرض من فدك، وهي مال للمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، ويذكر البلاذري أنّها تُسَمَّى اليوم: (الحويط). (البكري: معجم ٤/١٤٤، البلاذري: رحلات ١٩).

الظُّعُن وهم هاربون، فقلت: ما دهاهم اليوم؟ فدنوت إليهم فلقيت رأسهم وبَر بن عُلَيم، فقلت: ما هذا المسير؟ قال: الشرُّ، سارت إلينا جموع محمَّد، وما لا طاقة لنا به، قبل أن نأخُذَ للحرب أُهبتها، وقد أخذوا رسولاً لنا بعثناه إلى خيبر، فأخبرهم خبرنا، وهو صنَعَ بنا ما صَنَع. قلت: ومَن هو؟ قال: ابن أخي، وما كُنَّا نعُدّ في العرب فتىً واحداً أجمع قلب منه.

فقلت: إني أرى أمر محمَّد قد أمن وغلظ، أوْقَعَ بقريش فصنع بهم ما صنع ثُم أوقع بأهل الحصون بيثرب، قينُقَاع، وبني النَّضِير، وقريظة، وهو سائرٌ إلى هؤلاء بخيبر. فقال لي وبَر: لا تخش ذلك. إنَّ بها رجالاً، وحُصُوناً منيعة، وماءً واتناً[1] لا دنا منهم محمَّدٌ أبداً، وما أحراهم أن يغزوه في عُقْرِ داره. فقلت: وترى ذلك؟ قال: هو الرأي لهم»[2].

وهكذا نجح عليّ ــ رضي الله عنه ــ في مهمَّته نجاحاً باهراً.

[٨] «وقدم المدينة ولم يلق كيداً»[3].

(١) وتن الماء: أي: دام ولم ينقطع. (الصحاح ٢٢١٢).

(٢) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٥٦٣).

(٣) من رواية ابن سعد (طبقات ٢/٩٠).

المطلب الرابع: الدروس والعبر المستقاة من أحداث السرية:

أوضحت هذه السرية، والسرايا السابقة بعض الاستراتيجيات العسكرية التي كان يطبقها الرسول القائد ﷺ مع أعدائـــه، وهي:

- ما ورد أنَّ سبب السرية هو تلك الأخبار التي بلغت النَّبيَّ ﷺ عن تحرُّكات بني سعد بن بكر المعادية للمسلمين، ذلك يعطينا دلالة واضحة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يتتبع أخبار الأعداء أولاً بأول.

ومثل هذه الروايات تؤكِّد لنا أنَّ رسول الله ﷺ كانت لديه شبكة شبه منظَّمة من العيون، مبثوثة بين أعدائـــه، جعلته دائماً وأبداً في الصورة معهم، يعرف سكناهم وحركاهم أولاً بأول، مِمَّا مكَّنه كثيراً من القضاء على مخطَّطاهم العدوانية ضد المسلمين ووئدها في مهدها قبل أن تستفحل، مِمَّا وفَّر على المسلمين الكثير من الجهد، وحقن الكثير من الدماء التي كانت ستسيل لو تمكَّن أولئك الأعداء من استكمال مخطَّطاهم تلك وتنفيذها ضد المسلمين، وذلك ما كان يصبو إليه المصطفى ﷺ في جهاده مع أعدائه، لأنـــَّه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً أشدَّ الحِرْصِ على بلوغ أهدافـــه السامية من ذلك الجهاد المُقَدَّس بأقلِّ قدرٍ ممكنٍ من الخسائر، ودونما إراقـــة دماء كثيرة.

إلاَّ ما كان من بعض أولئك الأعداء الذين كانوا يشكلون تهديداً قوياً ومستمراً للمسلمين بقواهم العسكرية والسياسية، والتي كانت تشكل حاجزاً قوياً أمام الناس لاعتناق ما يريدون بحرِّية، فكان لابُدَّ

من الإثخان في تلك القوى المسيطرة لإضعافها والقضاء على هيمنتها في المنطقة.

إنَّ نظام المخابرات تفتخر بــه اليوم الدول المتقدمــة مادياً، وله أولوية كبيرة في جيوشها المتطورة، وتمارسه بأساليب غير حضارية ارتبطت بالظلم والعدوان والغدر.

ولكنَّ الرسول القائد ﷺ كان له قصب السَّبْق فيه، كما أنــه مارسه في نطاق الحرب الفروسية المشرفة، دون المساس بالأخلاقيات والمُثُل العُليا.

❁ تحرَّكت هذه السرية كما ورد في رواية الواقدي، وابن سعد، في مسيرٍ ليلي إلى أرض العدو، وقد كانت تلك استراتيجية ذكية تزوَّد بها قائد السرية من مُبْتَكِر الاستراتيجيات العسكرية، رسولِ الله ﷺ التي استطاع بها تحقيق مبدأ الكتمان مع أعدائــه، حرمهم من معرفة نواياه، واتجاه حركــة قوَّاتــه.

لقد كانت معظم القبائل التي غزاها النَّبِيُّ ﷺ، وبعث إليها سراياه قبائل «قويــة ولها حلفاء وأنصار، فلو أنها عرفت بمسيره لسارعت بالاستعداد للقائه ولاستعانت عليه بحلفائها وأنصارها لمعاونتها يوم اللقاء، ولكن عناية الله أولاً، ثُمَّ المسير الليلي حال بينها وبين ذلك كله، فاستطاع النَّبِيُّ ﷺ بقواته القليلة بالنسبة لقوات تلك القبائل، أن يتغلَّب عليها ويقضي على نياها العدوانية، ويُلْقِي الرُّعْبَ في نفوسها ونفوس القبائل الأخر التي سمعت بانتصار المسلمين»[(١)].

(١) خطّاب: الرسول ﷺ القائد ٢١٦-٢١٧.

❁ أيضاً ما ورد في هذه السرية والسرايا قبلها من شن الغارة على الأعداء ومباغتتهم في ديارهم في غفلةٍ منهم، وتلك استراتيجيةٌ اتَّبعها الرسول ﷺ مع نوعٍ معيَّنٍ من الأعداء، وهم الأعراب، حيث كان دائماً يترصَّد أخبارهم من خلال شبكة العيون المبثوثة في ديارهم، فكان دائماً يباغتهم في ديارهم قبل استكمال جاهزتهم واستعدادهم، فالأعراب أشداء إذا ما استعدوا جيداً للقتال، وانتظمت صفوفهم فيه، عندها تكون مقاومتهم أكبر، وقتالهم أشرس، كما أنَّهم يستطيعون وبسرعة فائقة حشد قوَّة إمدادات كبيرة يتمكنون بها من الإطباق على أعدائهم وحصرهم من كُلِّ الجهات، وقد عرف رسول الله ﷺ ذلك من خلال تجارب سابقة معهم في الرجيع، وبئر معونـــة، وسرية زيد بن حارثة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ الأولى إلى بني فزارة، وغيرها.

لذلك فإنَّ في شَنِّ الغارة عليهم ومباغتتهم قبل ذلك، ولو من قوة مهاجمة صغيرة تُفْقِدهم اتزانهم، وتبُثُّ الرُّعْبَ في قلوبهم[1]، وتثير الاضطراب والفوضى في صفوفهم، فيسهل حين ذاك السيطرة عليهم وهزيمتهم، كما حدث في هذه السرية. والله تعالى أعلم.

---

(١) المباغتة أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب، وتأيرها المعنوي عظيم جداً، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شللٍ متوقّعٍ في تفكير القائد الخصم. (خطّاب: الرسول القائد ﷺ ٤٥١).

❁ وفي الاستيلاء على أموال الأعراب التي كانت في غالبها من الماشية والإبل، إضعافٌ لهم اقتصادياً، لأنَّها تعدّ عصب حياتهم اليومية، لاعتمادهم عليها كثيراً، كما أنَّ في ذلك تحفيزاً للمسلمين وتشجيعاً لهم للغزو في سبيل الله لإصابة الغنائم الدنيوية العاجلة، إضافةً لما رُصِدَ لهم من الأجر العظيم عند الله، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنَّ ذلك يعدّ دافعاً وهدفاً من أهداف الجهاد في سبيل الله بقدر ما هو ممارسة المسلمين لحقهم المشروع في الغنائم التي أحلَّها الله لهذه الأُمَّة واختصَّها به دون غيرها من الأُمم السابقة.

كما أنَّ ذلك يُعَدُّ تمشياً مع عادة قديمة متَّبعة لدى العرب في حروبهم في الجاهلية أبقى عليها الإسلام بعد تنظيمها وتقنينها وفق أنظمة الشريعة الإسلامية. والله تعالى أعلم.

المبحــث الثاني: سرية بشير بن سعد رضي الله عنه إلى بني مرة بفدك.

وفيـــه مطـــالب:

المطـــلب الأول: تاريـــخ السريـــة.

المطلب الثاني: سبب السريـــة.

المطلب الثالث: ســـير الأحداث.

المطلب الأول: تاريخ السرية:

أرَّخ لها الواقدي، وابن سعد، بشعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ(١).

وذكرها خليفة بن خياط ضمن السرايا التي كانت سنة خمس، ولم يُحَدِّد الشهر الذي كانت فيه(٢).

وأخرج البيهقي خبر السرية مقتضباً بسنده عن عروة، والزهري، وموسى بن عقبة، ولم يذكر لها تاريخاً، لأنه سردها ضمن السرايا والبعوث دون الخوض في التفاصيل، وإنَّما رتبها بعد بعث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ نحو اليمن، وقبل بعث عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع(٣).

كما أخرجه أيضاً بسنده عن ابن إسحاق، الذي رواه مختصراً في جملة السرايا والبعوث، حيث رتبها بعد سرية محمَّد بن سلمة إلى موضع هوازن، وقبل سرية بشير بن سعد ـ أيضاً ـ إلى موضع كداء(٤).

---

(١) الواقدي (مغازي ٧٢٣/٢)، وابن سعد (طبقات ١١٨/٢-١١٩).

(٢) تاريخ: ٧٨.

(٣) دلائل ٤٦٤/٥.

(٤) المصدر السّابق ٤٦٧/٥.

المطلب الثاني: سبب السريـــة:

لم توضِّح روايتا الواقدي، وابن سعد - وهما مَن تحدَّثا بتفصيل عن هذه السرية - سبب بعث هذه السرية.

وأعتقد - والله تعالى أعلم - أنَّ هذه السرية تدخل في نطاق جهود النَّبِيِّ ﷺ في تحطيم وتمزيق الحلف الخيبري المكوَّن من يهود خيبر، وفدك، وتيماء، ووادي القرى، والقبائل الغطفانية، وغيرها، المحيطة بهذه المدن والقاطنة في باديتها، وبما أنَّ المبعوث إليهم هذه المرَّة هم بنو مرَّة(١)، وهي قبيلة غطفانية، ذات شأن في المنطقة، بل إنَّها قدَّمت للحلفاء في غزوة الأحزاب أربعمائة مقاتل(٢)، فذلك يعني أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أراد بهذه السرية التي كانت عبارة عن دورية قتال صغيرة، إضعاف هذه القبيلة اقتصادياً بأخذ أموالهم ومواشيهم في غفلةٍ منهم، تأديباً لهم على مشاركتهم في حلف الأحزاب، ومنعاً لهم من الاستمراريـــة في الحلف مع اليهود.

والله تعالى أعلم.

---

(١) قبيلة مشهورة من غطفان، ينتسبون إلى مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان، منهم هرم بن سنان الذي مدحه زهير بن أبي سلمى، وخارجة ابن سنان ـــ الذي أخرج من بطن أُمِّه بعد أن ماتت ـــ، وخُرَيم الناعم.

(جمهرة أنساب العرب ٤١٦-٤١٨).

(٢) انظر: ابن الجوزي: الوفاء ٧١٣.

المطلب الثالث: سـير الأحداث:

ضِمْنَ الجهود المبذولة من النَّبيِّ ﷺ في إضعاف وتحطيم حلف الأحزاب وبخاصّةً الحلف الخيبري منه، وتأديباً لقبيلة بني مرّة الغطفانية التي شاركت بفعالية في غزوة الأحزاب:

[١] «**بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد الأنصاري، أخا بني الحارث ابن الخزرج، نحو بني مرَّة بفدك**»[١]، في دورية قتال صغيرة، قوتها ثلاثون رجلاً، كما يذكر الواقدي، وابن سعد[٢].

[٢] «**فخرج، فلقي رعاء**[٣] **الشاء، فسأل: أين الناس ؟ فقالوا: هم بواديهم، والناس يومئذٍ شاتون لا يحضرون الماء، فاستاق النعم والشاء وعاد منحدراً إلى المدينة، فخرج الصريخ**[٤] **فأخبرهم**»[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي (دلائل ٤٦٢/٥، ٤٦٤)، بسنده، من طريق أبي الأسود، عن عروة. ومن طريق محمّد بن فليح عن موسى بن عقبة، عن الزهري. ومن طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، ومحمّد بن فليح، عن موسى بن عقبة. وهو من مراسيل عروة، والزهري، وموسى بن عقبة، وهم من أئمة المغازي الثقات المشهورين. كما أنه يتقوّى ببعضه. والله أعلم.

(٢) المغازي ٧٢٣/٢، الطبقات ١١٨/٢.

(٣) جمع راعٍ.

(٤) الصريخ: المستغيث.

(٥) أخرجه الواقدي (مغازي ٧٣٢/٢).

وبسرعةٍ استطاع بنو مرّة تكوين قوة مطاردة تعقُّبيَّة كبيرة أدركت السرية عند الليل، فاشتبكوا معهم في قتالٍ تراشقي بالنبال استمرَّ طوال الليل.

[٣] ((**حتى فنيت نبل أصحاب بشير، وأصبحوا، فحمل المُرِّيـُّون عليهم**))(١)، في قتالٍ قوي غير متكافئٍ بين الطرفين، إذ أطبق المرِّيـُّون على بشيرٍ وأصحابه فيما لا قبل لهم به، حيث سقط أصحاب بشير الواحد تلو الآخر بعد أن قاوموا ببسالة وقاتلوا بشجاعة، ولكن كثرة المرِّيـِّين لم تتح لهم الفرصة.

[٤] ((**وولّى منهم مَن ولّى، وقاتل بشير قتالاً شديداً**))(٢)، أبدى فيه شجاعة فائقة، وبسالة نادرة، حتى أثخنته الجراح، وسقط مغشياً عليه من شدَّها، حتى إنَّ المرِّيين ظنوا أنـَّه قد مات، حينما ضربوا كعبه(٣) فرأوه بلا حراك، فرجعوا بنعمهم وشائهم، وقدم علبة بن زيد الحارثي(٤) - الذي ربما كان من الذين تحيَّزوا من ميدان المعركة - بخبر السرية ومصابها على رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن سعد (طبقات ١١٩/٢)، عن شيوخه.

(٢) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم: [٢].

(٣) الكعب: هو العظم الناشز فوق القدم من جانبيها. وضربه هنا هو للاستدلال على حياة الجريح من عدمها، فإذا تحرّك بعد الضرب عرفوا أنّ به حياةً، والعكس صحيح.

(٤) عُلْبَة ـــ بضم أوّله، وسكون اللام، بعدها موحدة ـــ ابن زيد بن عمرو بن زيد ابن جشم بن حارثة، الأنصاري الأوسي، ذكر ابن إسحاق، وابن حبيب في المحبر في =

أمَّا قائد السرية بشير بن سعد-رضي الله تعالى عنه-فإنَّه لمَّا

[٥] «**أمسى تحامل حتى انتهى إلى فدك، فأقام عند يهودي[١] بفدك أياماً حتى ارتفع من الجراح، ثُمَّ رجع إلى المدينة**»[٢].

= البكائين في غزوة تبوك، وإنّه تصدّق بعرضه على كلّ مسلمٍ ناله. (ابن حجر: إصابة ٢/٤٩٩-٥٠٠).

(١) ربّما كان هذا اليهودي صديقاً له، أو كان بينهما علاقات سابقة أيام الجاهلية. وذلك للعلاقة الوثيقة التي كانت تربط الأوس والخزرج باليهود قبل الإسلام. والله أعلم.

(٢) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم: [٢].

المبحث الثالث: سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك (الحُرقات).

وفيـــه مطـــالب:

المطلب الأول: الخــلاف في السريــة.

المطلب الثــاني: تاريــخ السريــة.

المطلب الثالث: ســير الأحداث.

المطلب الرابــع: الأحكام المستنبطة والعبر والدروس المستفادة.

المطلب الأول: الخـــلاف في السريـــة:

اختلف في هذه السرية، في قائدها، وفي سببها، وفي الوجهة التي أُرْسِلَت إليها، في عِدَّة أقوال بين روايات أهل المغازي، وروايات أهل الحديث، حيث:

** يرى ابن إسحاق، والواقدي: أنَّ هذه السرية هي سرية غالب ابن عبد الله الليثي ـــ رضي الله عنه ـــ إلى أرض بني مُرَّة بفدك، وأنَّ أُسامة ابن زيد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ خرج فيها، وأنَّـــه قتل مرداس بن نهيك بعد أن قال: لا إله إلاَّ الله.

وأضاف الواقدي: أنَّ سبب السرية هو تأديب المرِّيِّـــين الذين أصابوا أصحاب بشير بن سعد في السرية السابقة[1].

** أمَّا ابن سعد فعنون لها بـــ (سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك). وذكر خروج أُسامة بن زيـــد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ فيها، ولكن دون أن يشير إلى أنـــَّه قَتَل فيها المتعوِّذ، وذلك لأنـــَّه يرى أنَّ أُسامـــة لم يقتل ذلك الرجل في هذه السرية، وإنَّما في سرية أُخرى لغالب بن عبد الله الليثي كانت لبني عوال، وبني عبد ثعلبة بالميفعة[2].

---

(١) ابن هشام: سيرة ٦٢٢/٤، والواقدي: مغازي ٧٢٣/٢.

(٢) ابن سعد: طبقات ١١٩/٢، ١٢٦.

وتابعه في ذلك ابن سيد الناس[1]، والقسطلاني[2]، والقطب الحلبي في المورد العذب[3].

وقد أخذ ابن حجر برأي ابن سعد هذا ونسبه خطئاً إلى أهل المغازي[4] حيث لم يذكر ذلك غير ابن سعد، ومَن تابعه كما أسلفنا.

وعَنْوَنَ الطبريُّ للسرية بقوله: وفيها «سرية غالب بن عبد الله في شهر رمضان إلى الميفعة». ثُمَّ ذكر بسنده عن ابن إسحاق أحداث سرية غالب بن عبد الله الكلبي، إلى أرض بني مرَّة[5].

ومعلومٌ عند أهل المغازي أنَّ الميفعة ليست أرض بني مرّة، بل أرض بني عوال، وبني عبد ثعلبة، وهي وراء بطن نخل إلى النقرة، قليلاً بناحية نجد[6]، أمَّا بنو مرَّة فكانوا يسكنون بالقرب من فدك.

كما أخرج ابن سعد قصَّة أُسامـــة بن زيـــد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ في مكانٍ آخر، فساق بسنده إلى الحضرمي، رجلٌ من أهل اليمامـــة قال:

[١] «بلغني أنَّ رسول الله ﷺ بعث أُسامـــة بن زيـــد، وكان يحبه ويحب أباه قبله، فبعثه على جيش... فذكر الحديث»[7].

---

(١) عيون الأثر ١٩٦/٢.

(٢) المواهب اللدنية ٥٤٨/١.

(٣) ذكر ذلك الشامي: سبل ٢١١/٦.

(٤) فتح الباري ٥١٨/٧.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٢٢/٣.

(٦) انظر: ابن سعد: طبقات ١١٩/٢.

(٧) أخرجه ابن سعد (طبقات ٦٩/٤) وسنده منقطع، وفيه جهالة الحضرمي.

فقوله: «فبعثه على جيش» يُشْعِر أنــّه كان قائداً لذلك الجيش، وكأنَّ الحاكم يرى ذلك ــ أيضاً ــ حيث ذكر في الإكليل، كما نقل عنه القسطلاني:

[٢] «**أنَّ أُسامة فعل ذلك في سرية كان هو أميراً عليها في سنة ثمان**»[(١)].

وكذلك بوَّب لها البخاري في الصحيح بما يفيد أنــّه كان أميراً عليها حيث قال: «باب بعث النَّبيِّ ﷺ أسامــة بن زيد إلى الحرقات من جهينة»[(٢)]، ثُمَّ ساق بسنده الحديث إلى أسامــة بن زيد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ فقال:

[٣] «**بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقــة**»[(٣)(٤)].

وقد نفى ابن حجر وبناءً على قول أسامــة ــ رضي الله تعالى عنه

---

(١) عزاه القسطلاني (المواهب ٥٣٨/١) للحاكم في الإكليل، وكتاب الإكليل مفقود.

(٢) البخاري: الصحيح ٨٨/٣ ، ابن حجر: فتح ٥١٧/٧.

(٣) قال ابن هشام: الحُرَقة فيما ذكر أبو عبيدة. وقال السهيلي: قال ابن حبيب: في يشكر، حرقة بن ثعلبة، وحرقة بن مالك، كلاهما من بني حبيب بن كعب بن يشكر، وفي قضاعة: حرقة بن جذيمة بن نهد، وفي تميم حرقة بن زيد بن مالك بن حنظلة. وقال القاضي أبو الوليد: هكذا وقعت هذه الأسماء كلها بالقاف، وذكرها الدارقطني كلها بالفاء. وقال السويدي في نسبة الحميس: بنو الحميس بطن من جهينة ويسمون الحرقة، سُمُّوا بذلك لأنَّهم أحرقوا بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بالنبل، أي قتلوهم. انظر: ابن هشام: سيرة ٦٢٣/٤، السهيلي: الروض ٧/ ٥٢٧، السويدي: سبائك الذهب ٩١.

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح ٨٨/٣)، وأخرجه مسلم (الصحيح ١٣٣/١).

ــــ «بعثنا» أن يكون دليلاً على إمارتـــه للجيش[1].

وكذلك أخرج الحديث مسلم بسنده عن أُسامـــة ــــ رضي الله تعالى عنه ــــ إلاَّ أنـــَّه قال فيه:

[٤] «فصبَّحنا الحرقات من جهينة».[2][3].

والسؤال هنا هو هل هذه السرية التي خرج فيها أسامـــة بن زيد ــــ رضي الله تعالى عنهما ــــ وقَتل فيها ذلك الرجل المتعوِّذ: سرية غالب ابن عبد الله الليثي ــــ رضي الله عنه ــــ إلى بني مرّة بفدك، كما ذكر ابن إسحاق والواقدي ؟ أم سرية غالب بن عبد الله الليثي ــــ أيضاً ــــ إلى بني عوال، وبني عبد ثعلبة بالميفعة كما ذكر ابن سعد ومتابعوه؟ أم هي سرية أخرى كان أسامـــة بن زيد رضي الله تعالى عنهما هو قائدها، كما أشار لذلك البخاري، والحاكم؟!

---

(١) ابن حجر: فتح ٥١٨/٧ وقال في مكان آخر: وترجم البخاري في المغازي " بعث النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة "، فجرى الداودي في شرحه على ظاهره فقال فيه: " تأمير مَن لم يبلغ ". وتُعُقِّبَ من وجهين:

أحدهما: ليس فيه تصريح بأنَّ أُسامة كان الأمير، إذ يُحتمل أن يكون جعل الترجمة باسمه لكونه وقعت له تلك الواقعة لا لكونه كان الأمير.

والثاني: أنها كانت سنة سبع أو ثمان، فما كان أُسامة يومئذٍ إلاَّ بالغاً، لأنَّهم ذكروا أنـــَّه كان له لمَّا مات النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ثمانية عشر عاماً. (فتح ١٩٤/١٢).

(٢) قال الزرقاني (شرح المواهب ٢٥١/٢)، والجمع في الترجمة باعتبار بطون تلك القبيلة.

(٣) أخرجه مسلم (الصحيح ١٣٤/١). وأخرجه أبو داود (سنن ١٠٢/٣ – ١٠٣).

وأيضاً هل كانت وجهة هذه السرية إلى بني مرة، أو إلى بني عوال وبني عبد ثعلبة، أو إلى الحرقات من جهينة ؟!

وكما وقع هذا الخلاف بين أهل المغازي، كذلك وقع خلاف آخر بين أهل التفسير في تفسير قوله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. [سورة النساء،الآية: ٩٤].

فقد أخرج الطبري بسنده عن السدّي[١]. والثعلبي[٢] من طريق الكلبي[٣]، عن أبي صالح[٤]، عن ابن عباس.

وهذا حديث ابن جرير بسنده من طريق أسباط[٥]،عن السدّي قال:

---

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدِّي - بضم المهملة وتشديد الدال - أبو محمَّد الكوفي (صدوق يهم، ورُمِيَ بالتشيُّع) من الرابعة، مات سنة سبعٍ وعشرين. (تقريب ١٠٨).

(٢) أحمد بن محمَّد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، شيخ التفسير، كان أحد أوعية العلم، وكان صادقاً موثقاً بصيراً في العربية، توفي سنة سبعٍ وعشرين وأربعمائة. (الذهبي: سير ١٧/٤٣٦ - ٤٣٧).

(٣) محمَّد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر، الكوفي، النسابة، المفسر (متَّهم بالكذب، ورُمِيَ بالرَّفْض) من السادسة، مات سنة ستٍ وأربعين. (تقريب ٤٧٩).

(٤) باذام - بالذال المعجمة - ويقال: آخره نون، أبو صالح، مولى أُمّ هانئ (ضعيف، يرسل) من الثالثة. (تقريب ١٢٠).

(٥) أسباط بن نصر الهمْداني - بسكون الميم - أبو يوسف، ويقال: أبو نصر (صدوق، كثير الخطأ، يغرب) من الثامنة. (تقريب ٩٨).

[٥] «بعث رسول الله ﷺ سرية عليها أُسامة بن زيد إلى بني مرة[١]، فلقوا رجلاً يُدْعَى مرداس بن نهيك، معه غنيمة له وجمل أحمر، فلمَّا رآهم أوى إلى كهف جبل، واتَّبعه أُسامــة، فلمَّا بلغ مرداس الكهف وضع فيه غنمه، ثُمَّ أقبل إليهم، فقال: السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله، فشدَّ عليه أسامه فقتله من أجل جمله وغنيمته...» فذكر الحديث [٢].

وأخرج الطبري ــ أيضاً ــ بسنده عن قتادة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآيــة. قال: هذا الحديث في شأن مرداس، رجل من غطفان، ذكر لنا:

[٦] «أنَّ نَبيَّ الله ﷺ بعث جيشاً عليهم غالب الليثي إلى أهل فدك وبــه ناس من غطفان، وكان مرداس منهم، ففرَّ أصحابه، فقال مرداس إني مؤمن، وإني غير متبعكم، فصبَّحته الخيل غدوة، فلمَّا لقوهسلَّم عليهم مرداس، فتلقاه أصحاب رسول الله ﷺ فقتلوه

(١) في الأصل: (بني ضمرة) وهو تصحيف.

(٢) أخرجه الطبري (تفسير ٥/٢٢٤) من حديث أسباط عن السُدِّي، والثعلبي (الجزء الثاني / لوحة ١٨) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وسند الطبري مرسل ضعيف، السُدِّي صدوق يهم، وأسباط كثير الخطأ والاغراب، وذلك واضح في متنه حيث الاغراب والوهم والخلط بحديث عامر بن الاضبط. أمَّا متابعة الكلبي عن أبي صالح فلا يُعتد بها، لأنــَّه متَّهم بالكذب، وابو صالح ضعيف. وقد ذكر الزرقاني (شرح ٢/٢٥١) أنــَّه أخرجه ابن أبي حاتم، عن جابر، وأبو نعيم عن أبي سعيد نحوه.

وأخذوا ما كان معه من متاع، فأنزل الله جلّ وعزّ في شأنه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾. [سورة النساء، الآية: ٩٤]. لأنّ تحية المسلمين السلام بها يتعارفون، وبها يُحَيِّي بعضهم بعضا»(١).

وقد رُوِيَ من وجهٍ آخر عن قتادة، وأخرجه الطبري من حديث عبد الرزّاق بسنده عنه وقال فيه:

[٧] **«بلغني أنّ رجلاً من المسلمين أغار على رجلٍ من المشركين فحمل عليه، فقال له المشرك: إني مسلم، أشهد أن لا إله إلاّ الله، فقتله المسلم بعد أن قالها، فبلغ ذلك ﷺ، فقال للذي قتله: أقتلته وقد قال لا إله إلاّ الله ؟ فقال وهو يعتذر: يا نبي الله إنّما قالها متعوِّذاً وليس كذلك، فقال النّبيُّ ﷺ: فهلاّ شققت عن قلبه ؟ ثُمَّ مات قاتل الرجل فقُبِرَ، فلفظته الأرض، فذُكِرَ ذلك للنّبيِّ ﷺ فأمرهم أن يقبروه، ثُمَّ لفظته الأرض، حتى فُعِلَ به ذلك ثلاث مرّات، فقال النّبيُّ ﷺ: إنّ الأرض أبت أن تقبله، فألقوه في غارٍ من الغيران»**.

قال معمر: وقال بعضهم: إنّ الأرض تقبل من هو شر منه، ولكن الله جعله لكم عبرة(٢).

---

(١) أخرجه الطبري:(تفسير٤/٢٢٤)بسنده عن قتادة، وسنده حسن إليه، لكنّه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري (تفسير ٥/٢٢٤) من حديث عبد الرزّاق بسنده عن قتادة، وسنده صحيح، لكنّه مرسل.

قلت: هذه القصة هي بعينها قصة محلم بن جثامة مع عامر بن الأضبط المشهورة عند أهل المغازي التي حدثت في سرية أبي قتادة ــ رضي الله تعالى عنه ــ إلى إضم، وهي تعتبر أحسن ما رُوِيَ في سبب نزول الآيــة، كما قال الشوكاني[١].

وهذه القصة أخرجها ابن جرير من حديث ابن إسحاق بسنده عن ابن عمر ــ رضي الله تعالى عنهما ــ قال:

[٨] «**بعث النَّبِيُّ ﷺ محلم بن جثامــة[٢] مبعثاً، فلقيهم عامر بن الأضبط فحيَّاهم بتحية الإسلام، وكانت بينهم إحنة[٣] في الــجاهليــة، فــرمــاه مــحــلــم بســهــم فــقــتــله، فــجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ، فــتــكلَّم فيــه عيــينــة[٤]**،

(١) الشوكاني: فتح القدير ٥٠٢/١.

(٢) قال ابن حجر: محلم بن جثامة الليثي، أخو الصعب بن جثامة، قال ابن عبد البر: يُقال: إنــّه الذي قتل عامر بن الأضبط، وقيل: إنّ محلماً غير الذي قتل، وأنّــه نزل حمص ومات بها أيام ابن الزبير، ويقال: إنــّه الذي مات في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودُفِنَ فلفظته الأرض مرّة بعد أُخرى، وجزم بالأول ابن السكن. (ابن حجر: إصابــة ٣٦٩/٣).

(٣) الإحنــة – بالكسر – الحقد، والغضب. (القاموس: الإحنة).

(٤) عيينة بن حصن بن حذيفة بن زيد الفزاري، أبو مالك، يقال: كان اسمه حذيفة فلُقِّبَ عُيَيْنَة لأنــّه أصابته شجة فجحظت عيناه. قال ابن السكن: له صحبة، وكان من المؤلَّفة، ولم يصِحّ له روايــة، أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنين والطائف، ثُمَّ كان مِمَّن ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طليحة فبايعه، ثُمَّ عاد إلى الإسلام، وكان فيه جفاء البوادي، وكان من الجرارين في الجاهلية، يقود عشرة آلاف. وقد =

والأقرع[١]، فقال الأقرع: يا رسول الله سُنَّ اليوم وغَيِّر غداً، فقال عيينة: لا والله حتَّى تذوق نساؤه من الثُّكل[٢] ما ذاق نسائي، فجاء محلم في بردين، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال النَّبيُّ ﷺ: لا غفر الله لك، فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت سابعة حتَّى مات ودفنوه، فلفظته الأرض، فجاءوا إلى النَّبيِّ ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: إنَّ الأرض تقبل مَن هو شرّ من صاحبكم، ولكنَّ الله جلَّ وعزَّ أراد أن يعظكم، ثُمَّ طرحوه بين صدفي جبل، وألقوا عليه من الحجارة، ونزلت آية ﴿يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية». [سورة النساء، الآية: ٩٤][٣].

=

قال عنه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (هذا الأحمق المطاع - يعني في قومه). عاش إلى خلافة عثمان. (ابن الأثير: أُسْد ٣٣١/٤ ــ ابن حجر: إصابة ٥٤/٣ - ٥٥).

(١) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي المجاشعي الدارمي، سُمِّي الأقرع لقرع كان في رأسه، وكان شريفاً في الجاهلية وفي الإسلام. قال ابن إسحاق: وفد على النَّبيِّ ﷺ وشهد فتح مكَّة، وحنيناً، والطائف، وهو من المؤلَّفة، وقد حسُنَ إسلامه.
وقال الزبير في النسب: كان الأقرع حكماً في الجاهلية، وقد ذكر أنَّه كان في وفد بني تميم الذين نزلت فيهم سورة الحجرات، وشهد الأقرع مع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه اليمامة وغيرها، واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيَّره إلى خراسان فأُصيبَ هو والجيش بالجوزجان، وذلك في زمن عثمان.
(ابن الأثير: أُسْد ١٢٨/١ - ١٣٠، ابن حجر: إصابة ٥٨/١ - ٥٩).

(٢) الثُّكل - بالضم - الموت والهلاك، وفقدان الحبيب أو الولد (القاموس: الثكل).

(٣) وقد أخرجه الطبري (تفسير ٢٢٢/٥) وسنده فيه أبو وكيع (صدوق يهم) كما في التقريب ص ١٣٨ وفيه أيضاً عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلِّس.

وقد أخرجه الطبري أيضاً من حديث ابن إسحاق أيضاً بسنده عن عبد الله بن أبي حدرد[1] قال:

[٩] «**بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي[2]، ومحلم بن جثامة بن قيس الليثي، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم[3]، مرَّ بنا عامر بن**

(١) عبد الله بن أبي حدرد، له ولأبيه صحبة. وقال ابن منده: لا خلاف في صحبته. وقال ابن سعد: أوَّل مشاهده الحديبية، ثُمَّ خيبر. وقال ابن عساكر: روى عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وعن عمر، وشهد الجابية مع عمر. وقال ابن البرقي: جاءت عنه أربع أحاديث، وتوفي سنة إحدى وسبعين.
(ابن سعد: طبقات ٣١٠/٤، ابن حجر: إصابة ٢٩٥/٢).

(٢) أبو قتادة الأنصاري، هو الحارث، ويقال: عمرو، أو النعمان، بن رِبْعِي – بكسر الراء وسكون الموحدة – السَّلَمي – بفتحتين – المدني، شهد أُحُداً وما بعدها، ولم يصح شهوده بدراً، وكان يقال له: فارس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثبت ذلك في صحيح مسلم، ومات سنة أربعٍ وخمسين.
(ابن حجر: إصابة ١٥٨/٤، تقريب ٦٦٦).

(٣) إضم: قال البكري: وادٍ دون المدينة. وقال أبو عمرو الشيباني، وابن الأعرابي: إضم جبل لأشجع وجهينة، وقيل: وادٍ لهم، وذكر الشريف: أنَّ وادي إضم من أعظم أودية الحجاز، ويُسَمَّى اليوم وادي الحمض، وهو يسيل من الجنوب الشرقي لحرَّة خيبر، ويسير نحو الجنوب الغربي حتَّى يقارب المدينة، حيث تتصل به أودية فرعية منها وادي العقيق، ويبلغ طوله زهاء ٩٠٠ كيلو متر.
وقال البلادي: إضم هو وادي المدينة إذا اجتمعت أوديتها الثلاثة: بطحان، وقناة، والعقيق، بين أُحُد والشرثاء، يُسَمَّى الوادي الخليل إلى أن يتجاوز كتانة فيُسَمَّى وادي الحمض، إلى أن يَصُبَّ في البحر بين الوجه وأملج.
(البكري: معجم١/١٦٥–١٦٦،الشريف:مكّة والمدينة٢٦، البلادي:معجم ٢٩).

الأضبط الأشجعي على قعودٍ له معه متيع له ووطب من لبن(١)، فلمَّا مرَّ بنا سلَّم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامـــة الليثي لشيءٍ كان بينه وبينه، فقتله وأخذ بعيره ومتيعه، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن»(٢).

كما ورد عن المفسرين أنَّ الآيـــة نزلت في المقداد بن الأسود ـــ رضي الله عنه ـــ، أخرج ذلك الطبري من حديث سعيد بن جبير قال:

[١٠] **«خرج المقداد بن الأسود في سرية بعثه رسول الله ﷺ، قال: فمرَّوا برجلٍ في غنيمةٍ له، فقال: إني مسلم، فقتله المقداد، فلمَّا قدموا ذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فنزلت هذه الآيـــة»(٣).**

هكذا أخرجه مرسلاً عن سعيد، وقد ورد مطولاً موصولاً عند البزار من حديث سعيد أيضاً عن ابن عباس، حيث قال فيه:

---

(١) الوطب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقـــه. (القاموس: الوطب).

(٢) أخرجه الطبري (تاريخ ٥/٢٢٣)، وسنده مداره على ابن إسحاق الذي عنعنه عند الطبري في روايتي سلمة، والمحاربي عنه، ولكنَّه صرَّح بالتحديث في الروايات الأخرى عند كُلٍّ من أحمد، والطبراني، وابن هشام، والبيهقي. (انظر: بريك بن محمَّد أبو مايلة: السرايا والبعوث النبوية بين مكَّة والمدينة ٢٧٦) فهو حسن وإن كان الهيثمي قال عنه: رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الطبري (تفسير ٥/٢٢٥) مرسلاً عن سعيد. وسعيد لم يدرك النَّبيّ ﷺ.

[١١] «فقال رسول الله ﷺ للمقداد: كان رجل مؤمن يُخْفِي إيمانه مع قومٍ كُفَّار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تُخْفِي إيمانك بمكّة قبل»(١).

كما أخرج أحمد، والترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي، من حديث ابن عباس – وهذا لفظ أحمد – قال:

---

(١) أخرجه البزَّار (انظر: كشف الأستار، حديث ٢٢٠٢) وقال البزَّار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلاَّ من هذا الوجه، ولا له عنه إلاَّ هذا الطريق، وإسناده جيد، وعزاه ابن حجر (مختصر زوائد البزَّار ٢/٧٨ – ٧٩، وفتح الباري ١٢/١٩٠ – ١٩١) للطبراني، والدارقطني في الأفراد، من رواية أبي بكر علي بن عطاء بن مقدم، عن حبيب. وقال الدارقطني: تفرَّد بـه حبيب، وتفرَّد به أبو بكر عنه. قال ابن حجر: قد تابع أبا بكر سفيان الثوري، لكنه أرسله، أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق الفزاري، عن الثوري كذلك، وعلَّقه البخاري في صحيحه.

قلت: أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/٣٠) ولفظه هو بعينه لفظ البزَّار، وقال عنه الهيثمي (مجمع ٧/٩): إسناده جيد، ولفظ حديث ابن أبي شيبة هو لفظ حديث الطبري السابق، أمَّا حديث البخاري المعلَّق (انظر: فتح الباري ١٢/١٨٧) فقال فيه: وقال حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد، عن ابن عباس قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم للمقداد: (إذا كان رجل مِمَّن يخفي إيمانه مع قومٍ كُفَّار فأظهر إيمانه فقتلته، فكذلك كنت أنت تُخْفِي إيمانك بمكَّة من قبل).

هكذا ذكره البخاري معلَّقاً مختصراً بعد حديث المقداد الذي سأل فيه النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (يا رسول الله: لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها ثُمَّ لاذ بشجرة وقال: أسلمت لله، آقتله بعد أن قالها؟ ... الخ الحديث).

[١٢] «**مرَّ رجلٌ من بني سليم بنفر من أصحاب النَّبيِّ ﷺ يرعى غنماً له، فسلَّم عليهم، فقالوا: لا يسلِّم علينا إلاَّ ليتعوَّذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النَّبيَّ ﷺ، فنزلت هذه الآيـــة**»(١).

وأخرج الطبري بسنده عن ابن زيـــد(٢) قال:

[١٣] «**نزل ذلك في رجلٍ قتله أبو الدرداء... فذكرمن قصة أبي الدرداء نحو القصة التي ذُكِرَت عن أُسامـــة**»(٣).

وذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة جزء بن الجدرجان، أنَّ ابن منده أخرج بسنده عنه:

[١٤] «**أنَّ أخاه فداد بن الجدرجان وفَدَ على رسول الله فلقيته سرية له فقتلوه بعد أن قال لهم: إنـــَّه مؤمن، فنزلت فيه الآيات**»(٤).

قال ابن عبد البر: «والاختلاف في المراد بهذه الآيـــة كثير مضطرب فيه جداً، قيل: نزلت في أُسامـــة بن زيد، وقيل: في محلم بن جثامـــة، وقال ابن عباس: نزلت في سرية ولم يسمّ أحداً، وقيل: نزلت في غالب

---

(١) انظر: المسند، حديث رقم: ٢٠٢٢، وسنن الترمذي ٣٨٦/٨، والمستدرك للحاكم ٢٣٥/٢.

(٢) محمَّد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ - بضم القاف والفاء بينهما نون ساكنة - التميمي المدني (ثقـــة) من الخامسة. (تقريب ٢٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (التفسير ٢٢٥/٥) وسنده إلى ابن زيد صحيح لكنَّه منقطع، محمَّد ابن زيـــد من الخامسة.

(٤) عزاه ابن حجر (إصابة ٢٣٣/١) لابن منده، ثُمَّ قال عن إسناده: هذا إسنادٌ مجهول.

الليثي، وقيل: نزلت في رجل من بني ليث يقال له: فليت، كان على سرية، وقيل: نزلت في أبي الدرداء، وهذا اضطراب شديد جداً»(١).

وقال القرطبي: «واختلف في تعيين القاتل، والمقتول في هذه النازلة، فالذي عليه الأكثر وهو في سيرة ابن إسحاق، ومصنَّف أبي داود، والاستيعاب لابن عبد البر: أنَّ القاتل محلم بن جثامـــة، والمقتول عامر بن الأضبط، ولا خلاف أنَّ الذي لفظته الأرض حين مات هو محلم بن جثامة الذي ذكرناه، ولعلَّ هذه الأحوال جرت في زمان متقارب، فنزلت الآيـــة في الجميع»(٢).

وقال القريـــبي: «والأحاديث مجموعها تدل على أنَّ هذه القصة حصلت لمحلم بن جثامة الليثي في قتله عامر بن الأضبط الأشجعي، بعد أن ظهر منه ما يدل على أنـــَّه مسلم، وأنـــَّه نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾(٣).

وقال ابن حجر: وإنَ ثبت الاختلاف في تسمية من باشر القتل مع الاختلاف في المقتول احتمل تعدُّد القصَّة(٤).

وقال الزرقاني: يُحتَمَل تعدُّد القِصَّة، وتكرير نزول الآيـــة(٥).

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، هامش الإصابة لابن حجر ٤٩٧/٣ – ٤٩٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٦/٥ – ٣٣٨.

(٣) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ٦٢٧/٢.

(٤) إصابـــة ٤٠١/٣.

(٥) شرح المواهب ٢٨٦/٢.

وقال المراغي: ولا مانع من تعدُّد الوقائع قبل نزول الآيــة، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقرأها على أصحاب كُلّ واقعة، فيرون أنَّهم سبب نزولها[١].

قلت: إن ثبت تعدُّد هذه القصة، فإنَّ الآيــة لا يمكن أن تكون نصّاً عليها جميعها، فإنَّ هنالك اختلافاً بيِّناً في بعض عناصرها، وإن بدت وكأنَّ نتيجتها واحدة، وهي زجر رسول ﷺ عن قتل مَن بدت منه شبهة تدرأ عنه ذلك حتَّى يتم التأكد من حقيقته، فمثلاً قصة أسامــة بن زيد ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ، لا تنطبق عليها هذه الآيــة من عِدَّة وجوه:

- الأحاديث التي أوردت قصة أُسامة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ، ومنها أحاديث الصحيحين لم تتطرَّق لذكر نزول آيــة في قصَّته، ولو كانت الآيــة نزلت فيه فعلاً لما أغفلتها تلك الأحاديث نظراً لأهمية الآيــة في موضوع القصة وتدعيماً لها، ونظراً لاستقصاء المحدثين وتتبعهم الشديد والمتقن لمثل هذه الأمور.
- الآيــة نفسها لا تنطبق على أُسامــة بن زيــد ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ، لأنــَّه لم يك مشركاً في يومٍ من الأيام، بل إنــَّه وُلِدَ في الإسلام، كما شبَّ وترعرع في عزه ودولته في المدينة، فلم يك هنالك داعٍ لكتمان إيمانــه، كما أوضحت بعض الروايات قصة المقداد.

(١) تفســير المراغي ١٢٦/٥.

- التقريع والتوبيخ الوارد في الآيـــة لا يتناسب ــ أيضاً ــ مع ما صحَّ في قصَّة أُسامـــة بن زيـــد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ، من أنـــَّه قتل ذلك الرجل المتعوِّذ اجتهاداً منـــه في أنـــَّه لم ينطق بالشهادة إلاَّ خوفاً من السيف، بخلاف ما وقع في قصَّة محلم بن جثامـــة، فالدوافع التي جعلته يقتل عامر ابن الأضبط تختلف عنها في قصَّة أسامـــة حيث إنَّ قتله لعامر لم يكن اجتهاداً منه بقدر ما كان طمعاً في ماله، وبسبب ما كان بين الاثنين من إحن وتخاصُم في الجاهلية.

الأمر الآخر، وهو الذي يهمنا هنا بالدرجة الأولى هو عدم إمكان تعدُّد قصَّة أُسامـــة ــ رضي الله تعالى عنه ــ في عِدَّة مواطن، كما أشار بذلك الحلبي(١). بل هي قصَّة واحدة حدثت في موطنٍ واحدٍ. ولكنَّ السؤال هو: أين حدثت ؟.

فالذي في الصحيحين، وكتب الحديث الأخر: أنَّ البعث كان إلى الحرقات من جهينة، والذي في المغازي أنـــَّه كان لبني مرة بالقرب من فدك، وأنَّ المقتول كان حليفاً لهم من الحرقـــة.

فهل يُعد ذلك تبايناً بين الروايتين، رواية أهل الحديث، ورواية أهل المغازي؟.

(١) ســيرة ١٩٤/٣.

فالذي تشير إليه كتب الأنساب أنَّ ديار الحرقات كانت قريبة من ديار بني مرة، بدليل أنَّ الحرقــة، وهم بنو الحميس لُقِّبوا بالحرقة لأنــَّهم أحرقوا بني مرّة قتلاً بالنبل في حربٍ دارت بينهما، ومعلومٌ بداهةً أنَّ كلتا القبيلتين غطفانيتان، ومنازل غطفان تمتد حول منطقة خيبر، ووادي القرى، وفدك.

كما أنَّ ما ذكر في روايات أهل المغازي من أنَّ المقتول كان حليفاً لبني مرة، وما أخرجه البخاري في التاريخ، والبيهقي بسندٍ لا بأس به، عن أُسامــة بن زيد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ قال:

[١٥] «أدركت أنا ورجل من الأنصار – يعني مرداس بن نهيك – ثُمَّ ذكر الحديث...»(١).

فالنَّص على تسمية الرجل هنا، وموافقة ذلك لروايات أهل المغازي السابقة، كُلُّ ذلك يعدّ قرائن على اتحاد قصَّة أهل الحديث بقصة أهل المغازي، وأنَّهما قصة واحدة، رويت بأسانيد مختلفة، وسياق مختلف نوعاً ما. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (تاريخ ١/ ٢٠)، والبيهقي (دلائل ٤/ ٢٩٧) من حديث محمَّد بن أُسامــة بن محمَّد بن أُسامــة، عن أبيه، عن جده أُسامــة بن زيد.

المطلب الثاني: تاريـــخ السريـــة:

أرَّخ ابن سعد لسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في شهر صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ[١].

وأرَّخ لسرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة التي ذكر فيها أنَّ أسامة ابن زيـــد ـــ رضي الله عنهما ـــ أصاب فيها الذي قال: لا إله إلاَّ الله، بشهر رمضان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ[٢].

وتابعه في ذلك ابن سيد الناس[٣]، والقسطلاني[٤]، والحلبي[٥].

ولم يذكر لها الواقدي تاريخاً – وذلك خلاف عادتـــه –، وذكرها مباشرةً بعد سرية بشير بن سعد إلى فدك، بل إنـــَّه لم يجعل لها عنواناً مستقلاً، وإنَّما تحدَّث عنها بعد فراغه من سرية بشير، وكأنـــَّه يرى أنَّها متعلِّقة بها، وأنَّها كانت في نفس التاريخ[٦]. وتابعه في ذلك ابن كثير[٧].

---

(١) طبقات ٢/١٢٦.

(٢) المصدر السابق ٢/١١٩.

(٣) عيون ٢/١٩٠، ١٩٧.

(٤) المواهـــب ١/٥٣٨.

(٥) ســـيرة ٣/١٩٢ – ١٩٣، ١٩٧.

(٦) مغـــازي ٢/٧٢٣.

(٧) بدايـــة ٤/٢٢٢.

أمَّا ابن إسحاق فلم يذكر لها تاريخاً حيث ذكرها في جملة السرايا والبعوث، ورتَّبها بعد غزوة مؤتـــة، وسرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر، وقبل ذات السلاسل(١).

وذكر البيهقي روايـــة ابن إسحاق بعد روايـــة الواقدي، بعد سرية بشير ابن سعد إلى بني مرَّة بفدك، وقبل سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوّح، وسريته أيضاً إلى الميفعة(٢).

وجمع الطبري بين رواية ابن إسحاق حول السرية، وبين عنوان سرية غالب الأخرى إلى الميفعة، وهو وهم كما ذكرنا سابقاً، لكنَّه أرَّخ لها بشهر رمضان من السنة الثامنة(٣).

وذكرها خليفة بن خياط في سرايا سنة خمس، مباشرةً بعد سريـــة بشـــير بن سعد إلى فـــدك(٤).

وذكرها البلاذري ــــ أيضاً ــــ بعد سرية بشير، دون أن يجعل لها تاريخا(٥)، وكذلك فعل ابن القيم، ولكنه اقتصر على رواية المحدثين حول سرية الحرقات(٦).

---

(١) ابن هشام: سيرة ٤/٦٢١ – ٦٢٣.

(٢) دلائل ٤/٢٩٦ – ٢٩٧.

(٣) تاريـــخ ٣/٢٢.

(٤) تاريـــخ ٧٨.

(٥) أنساب الأشراف ٣٧٩.

(٦) زاد المعاد ٣/٣٦١.

وجمع الشامي كعادته بين روايـة ابن إسحاق، وروايـة الواقدي، وأرَّخ لها في صفر سنة ثمان[١].

ونقل القسطلاني عن الحاكم في الإكليل أنّها كانت في سنة ثمان[٢].

قال الزرقاني: وفي البخاري ما يوافقه، فإنّـه قال بعد غزوة مؤتـة (باب بعث النَّبيِّ ﷺ أُسامةَ بن زيد إلى الحرقات)[٣].

قال ابن حجر: وقد ذكر أهل المغازي سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة - بتحتانية ساكنة وفاء مفتوحة - وهي وراء بطن نخل، وذلك في رمضان سنة سبع، وقالوا: إنَّ أُسامـة قَتَلَ الرَّجُلَ في هذه السرية، فإن ثبت أنَّ أُسامـة كان أمير الجيش فالذي صنعه البخاري هو الصواب، لأنـّه ما أُمِّرَ إلاَّ بعد قتل أبيه بغزوة مؤتـة، وذلك في رجب سنة ثمان، وإن لم يثبت أنـّه كان أميرها رجَّح ما قال أهل المغازي[٤].

وذكر الزرقاني، عن بعض شُرَّاح البخاري، أنـه «لعلَّ المصير إلى ما في البخاري هو الراجح، بل الصواب»[٥]. انتهى.

قال الزرقاني: وليس الترجي من وجوه الترجيح، نَعَم ! روى ابن جرير عن السُدّي بعث ﷺ سرية عليها أُسامـة بن زيد فذكر القصَّة،

(١) سبل الهدى ٢٢١/٦.

(٢) المواهب اللدنية ٥٣٨/١.

(٣) شرح المواهب ٢٥١/٢.

(٤) فتح الباري ٥١٨/٧.

(٥) شرح المواهب ٢٥٢/٢.

وروى ابن سعد عن جعفر بن برقان قال: حدَّثني الحضرمي. قال: بلغني أنــَّـه ﷺ بعث أسامة بن زيد على جيش فذكر القِصَّة، فإن ثبتتا ترجَّح صنيع البخاري(١).

قلت: كل ما ذكروه لا يثبت إمارة أسامة بن زيد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ للجيش. والروايتان اللتان ذكرهما الزرقاني ضعيفتان كما وضَّحنا سابقاً(٢).

أمَّا صنيع البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ فقد أوَّله ابن حجر بغير ما ذكروه، كما مرَّ بنا سابقاً.

والذي يترجَّح عندي هو أنَّ هذه السرية كانت بعد سرية بشير بن سعد مباشرةً، لأنَّها أُرْسِلَت لتأديب الأعراب الذين أصابوا سريته، وأنَّ أُسامـــة بن زيد-رضي الله تعالى عنهما-خرج فيها، فأصاب ذلك الرجل المتعوِّذ، فهي في سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ، ربما في رمضان منه، كما أشار إلى ذلك ابن حجر، وعزاه إلى ابن سعد عن شيخه الواقدي(٣).

وإن كان هنالك خلاف بين الاثنين حول سريتي غالب بن عبد الله الليثي، وأيهما التي قتل فيها أسامة رضي الله تعالى عنه المتعوِّذَ، وقد وضَّحنا ذلك فيما سبق.

---

(١) المصدر السّابق.

(٢) سبق تخريجهما فيما مرَّ برقم [١]، ورقم [٥].

(٣) فتح الباري ١٢/١٩٥.

المطلب الثالث: ســـير الأحداث:

عندما قدم علبة بن زيد الحارثي الأوسي بخبر سرية بشير بن سعد، ومصابها على رسول الله ﷺ.

[١٦] ((هيأ رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، وقال له: سِر حتَّى تنتهي إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد، فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم، وهيأ معه مائتي رجل، وعقد له لواء))(١).

[١٧] ((فقدم غالب بن عبد الله من سرية قد ظفَّره الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ للزبير بن العوام: اجلس، وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل(٢)، فخرج أُسامـــة بن زيد في السرية حتى انتهى إلى مصاب بشير وأصحابه، وخرج معه علبة بن زيد))(٣).

و

[١٨] ((عــقـــبـــة بـــن عـــمـــرو أبـــو مســـعود(٤)، وكــعب بن

(١) من رواية ابن سعد (طبقات ٢/١٢٦) من حديث شيخه محمَّد بن عمر الواقدي.

(٢) ذكر خليفة بن خياط (تاريخ ٧٨) أنـــَّهم كانوا ستين فقط.

(٣) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٧٢٣).

(٤) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو مسعود البدري، مشهورٌ بكنيته، اتَّفقوا على أنـــَّه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدر، وجزم البخاري بأنـــَّه شهدها، ونزل الكوفـــة، وكان من أصحاب عليّ، مات بالكوفة بعد سنة أربعين. (ابن حجر: إصابـــة ٢/٤٩١).

عجرة»(١)(٢). وأبو سعيد الخدري(٣).

[١٩] «**فلمَّا دنا غالب منهم بعث الطلائع، فبعث علبة بن زيد في عشرة ينظر إلى جماعة محالهم، حتى أوفى على جماعة منهم، ثُمَّ رجع إلى غالب، فأخبره فأقبل غالب يسير حتَّى إذا كان منهم بمنظر العين ليلاً، وقد اجتلبوا وعطّنوا**(٤)**، وهدأوا، قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثُمَّ قال: أمَّا بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمراً، فإنَّه لا رأي لمن لا يُطاع، ثُمَّ ألَّف بينهم**(٥) **فقال: يا فلان أنت وفلان، يا فلان أنت وفلان، لا يفارق كُلّ رجل زميله**»(٦).

---

(١) كعب بن عجرة بن أُمَيَّة البلوي، وقيل: القضاعي، حليف الأنصار. قال البخاري: مدنيٌّ له صحبة، روى عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أحاديث، وشهد عمرة الحديبية، ونزلت فيه قصة الفدية. وأخرج ابن سعد بسندٍ جيدٍ عن ثابت بن عبيد أنَّ يد كعب قُطِعَت في بعض المغازي، ثُمَّ سكن الكوفة. قيل: مات بالمدينة سنة إحدى، وقيل: ثنتين، وقيل: ثلاثٍ وخمسين. (إصابة ٣/٢٩٨).

(٢) من رواية ابن سعد (طبقات ٢/١٢٦) عن شيخه الواقدي.

(٣) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، واستُصْغِر بأُحُد، ثُمَّ شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وستين، وقيل: سنة أربعٍ وسبعين. (تقريب ٢٣٢).

(٤) أي سقوا الإبل ثُمَّ أناخوها وحبسوها عن الماء. (لسان العرب ١٧/١٥٨).

(٥) في رواية أُخرى للواقدي (مغازي ٢/٧٢٥) ذكر فيها أنَّ أمير السرية آخى بينهم.

(٦) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٧٢٤).

فلمَّا كان قرب الفجر انقضوا عليهم في هجوم فجري خاطف، وهم يتصايحون بشعارهم المُتَّفَق عليه مسبقاً: أمت! أمت![1].

وارتبك الأعراب بادئ الأمر، إلاَّ أنَّهم تمالكوا أنفسهم بعضاً من الوقت حيث أبدوا بعض المقاومة، فخرج الرجال فقاتلوا ساعة، وكان منهم رجل من أشدِّهم، فكان:

[٢٠] «**إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين، قصد له فقتله**»[2]، حتَّى أوجع في المسلمين، غير أنَّ قوة وتنظيم المسلمين في هجومهم المباغت، وهول المفاجأة من ذلك الهجوم الفجري غير المتوقَّع أفقد الأعراب توازنهم، فانهزموا هاربين، ووضع المسلمون سيوفهم فيهم حيث شاءوا[3].

يقول أُسامـــة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ في وصف ذلك:

[٢١] «**فصبَّحنا القوم فهزمناهم**»[4].

[٢٢] «**فكان منهم رجلٌ إذا أقبل القوم كان من أشدِّهم، وإذا أدبروا كان حاميتهم، قال: فغشيته أنا ورجلٌ من الأنصار**»[5].

---

(١) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٧٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (الصحيح ١/١٣٦) من حديث جندب بن عبد الله البجلي.

(٣) انظر: الواقدي: مغازي ٢/٧٢٤.

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح٣/٨٨)، من رواية عمرو بن محمَّد.

(٥) أخرجه أحمد (المسند، حديث رقم: ٢١٧٣٩). وسنده رجاله رجال الصحيح.

[٢٣] «**فلمَّا غشيناه قال: لا إله إلاَّ الله، فكفَّ الأنصاري، فطعنته برمحي**»[١].

[٢٤] «**فوقع في نفسي من ذلك**»[٢].

ثُمَّ تمكَّن المسلمون من السيطرة على الأعراب بسرعة، حيث استحوذوا على حاضر القوم بعد أن قتلوا منهم مَن قتلوا، وهَرَبَ الباقون أمامهم فاستاقوا:

[٢٥] «**النَّعم والشاء والذريـــة، وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل، أو عدلها من الغنم، وكان يحسب الجزور بعشرة من الغنم**»[٣]. وكان ذلك القتال يعدّ أوَّل تجربـــة عسكرية قتالية لأُسامـــة بن زيد ـــ رضي الله تعالى عنهما[٤] ـــ، حِبِّ رسول الله ﷺ، فلمَّا جاء البشير بخبر النَّصر والفتح إلى رسول الله ﷺ تهلَّل وجهه فرحاً، وازداد فرحه ﷺ حينما أخبره البشير عن شِدَّة بأس أُسامـــة، واستبساله في القتال، ولكنَّه حينما أخبره بخبر الرجل الذي قتله أُسامـــة تغيَّر وجه رسول الله ﷺ، وبعث إلى أُسامة.

(١) أخرجه البخاري من رواية عمرو بن محمَّد، وقد سبق تخريجها برقم [٢١].

(٢) أخرجه مسلم (الصحيح ١/١٣٤) من حديث أبي ظبيان عن أُسامـــة.

(٣) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٧٢٥).

(٤) من رواية ابن سعد، وقد سبق تخريجها برقم [١٨].

[٢٦] ((فدعاه فسأله، فقال: لِمَ قتلته ؟ قال: يا رسول الله! أوجَعَ في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسمَّى له نفراً، وإني حملت عليه، فلمَّا رأى السيف قال: لا إله إلاَّ الله. قال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال: نعم. قال: كيف تصنع بــلا إله إلاَّ الله إذا جاءت يوم القيامـــة؟ قال: يا رسول الله استغفر لي. قال: وكيف تصنع بــلا إله إلاَّ الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بــلا إله إلاَّ الله إذا جاءت يوم القيامة))(١).

قال أُسامـــة:

[٢٧] ((فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم))(٢).

---

(١) من رواية جندب عند مسلم، وقد سبق تخريجها برقم [٢٠]، وفي رواية أخرى لمسلم (الصحيح ١/١٣٣) قال: " قلت: يا رسول الله إنَّما قالها خوفاً من السلاح.
قال: أفلا شققت عن قلبه حتَّى تعلم أقالها أم لا ؟ ". وفي رواية البخاري (الصحيح ٣/٨٨): ((فقال: يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلاَّ الله ؟ قلت : كان متعوِّذاً)).

(٢) من روايـــة عمرو بن محمَّد عند البخاري، وقد سبق تخريجها برقم [٢١].

المطلب الرابـــع: الأحكام المستنبطة والعبر والدروس المستفادة:

أولاً: الأحكام المستنبطة:

❁ قال الخطابي: فيه من الفقه أنَّ الكافر إذا تكلَّم بالشهادة وإن لم يصف الإيمان وَجَبَ الكَفُّ عنه والوقوف عن قتله سواء أكان بعد القدرة أم قبلها[١].

وقال ابن التين تعليقاً على قول النَّبِيِّ ﷺ لأُسامـــة: «**أقتلته بعدما قال؟**». في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحَد على قتلِ مَنْ تلفَّظ بالتوحيد[٢].

وقال القرطبي: تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك[٣].

❁ وقال النووي: وقوله ﷺ: (**أفلا شققت عن قلبه**)، فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأُصول أنَّ الأحكام يعمل فيها بالظواهر، والله يتولّى السرائر[٤].

وقال ابن حجر: وفيه دليل على ترتُّب الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة[٥].

---

(١) الخطابي: حاشية سنن أبي داود ١٠٢/٣.

(٢) انظر: ابن حجر: فتح ١٩٥/١٢.

(٣) المصدر السابق ١٩٦/١٢.

(٤) النووي على مسلم ١٠٧/٢.

(٥) فتح الباري ١٩٦/١٢.

❁ وقال الخطابي: وفيه أنــّه لم يلزمه - مع إنكاره عليه - الدية، ويشبه أن يكون المعنى فيه، أنَّ أصل دماء الكُفَّار الإباحة، وكان عند أُسامة أنــّه إنَّما تكلَّم بكلمة التوحيد مستعيذاً لا مُصَدِّقاً بــه، فقتله على أنــّه كافرٌ مبَاح الدَّم، فلم تلزمه الديــة، إذ كان في الأصل مأموراً بقتاله، والخطأ عن المجتهد موضوع، ويحتمل أن يكون قد تأوَّل قول الله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾. [سورة غافر، الآية: ٨٥]، وقوله في قِصَة فرعون: ﴿ءَالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. [سورة يونس، الآية: ٩١].

فلم يُخلِّصهم إظهار الإيمان عند الضرورة والإرهاق من نزول العقوبة بساحتهم ووقوع بأسه بهم(١).

قال ابن حجر: كأنــّه حمل نفي النفع على عمومه دنيا وآخرة، وليس ذلك المراد، والفرق بين المقامين أنــّه في مثل تلك الحالة ينفعه نفعاً مقيَّداً بأنْ يجب الكفّ عنه حتَّى يختبر أمره، هل قال ذلك خالصاً من لبه، أو خشيةً من القتل ؟ وهذا بخلاف ما لو هجم عليه الموت ووصل خروج الروح إلى الغرغرة وانكشف الغطاء، فإنــّه إذا قالها لم تنفعه بالنسبة لحكم الآخرة، وهو المراد من الآيــة، وأمَّا كونه لم يلزمه دية ولا كَفَّارة فتوقَّف فيه الداودي وقال: لعلَّه سكت عنه لعلم السامع أو كان ذلك قبل نزول آيــة الدية والكَفَّارة.

---

(١) الخطابي: حاشية سنن أبي داود ٣/١٠٣.

وقال القرطبي: لا يلزم من السكوت عنه عدم الوقوع، لكن فيه بُعْد لأنَّ العادة جرت بعدم السكوت عن مثل ذلك إن وقع، قال: فيحتمل أنــّه لم يجب عليه شيء، لأنــّه كان مأذوناً له في أصل القتل، فلا يضمن ما أتلف من نفسٍ ولا مال كالخاتن والطبيب، أو لأنَّ المقتول كان من العدوِّ ولم يكن له وليٌّ من المسلمين يستحق ديته، قال: وهذا يتمشى على بعض الآراء، أو لأنَّ أُسامــة أقرَّ بذلك، ولم تقم بذلك بيِّنة فلم تلزم العاقلة الدية، وفيه نظر[1].

وقال النووي: أمَّا كونه ﷺ لم يوجب على أُسامــة قصاصاً ولا دية ولا كَفَّارة، فقد يُستدَلُّ به لإسقاط الجميع، ولكن الكَفَّارة واجبة والقصاص ساقط للشبهة فإنــّه ظَنَّه كافراً، وظَنَّ أنَّ إظهاره كلمة التوحيد في هذه الحال لا يجعله مسلماً.

وفي وجوب الدية قولان للشافعي، وقال بكل واحد منهما بعض من العلماء.

ويجاب عن عدم ذكر الكَفَّارة بأنَّها ليست على الفور، بل هي على التراخي وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز على المذهب الصحيح عند أهل الأصول، وأمَّا الدية على قول من أوجبها فيحتمل أنَّ أُسامــة كان في ذلك الوقت معسراً بها فأُخِّرَت إلى يساره[2].

(١) فتح الباري: ١٩٦/١٢.

(٢) النووي على مسلم ١٠٦/٢.

وقال الزرقاني: روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أمر ﷺ لأهل مرداس بديته وردّ ماله إليهم. وقيل: قال له: اعتق رقبة. والله أعلم [٣].

قلت: بالإضافة إلى ما ذكروه، فإنَّ أسامة ــ رضي الله تعالى عنه ــ كان في ذلك الوقت صغيراً في السنِّ، وأنَّ ما حمله على قتل ذلك الرجل هو قِلّة خبرته الفقهية، وبخاصّةً فقه الجهاد، باعتبار أنَّها أوَّل مشاركة جهادية، كما ورد في رواية ابن سعد السابقة[١]، ولأجل ذلك عذره النَّبيُّ ﷺ، ولكنَّه أبلغ في اللوم والعتاب عليه سدّاً للذريعة، والتثبُّت، وبخاصّةً وأنَّ الأمر يتعلَّق بحياة إنسان بدت منه شبهة تدرأ عنه القتل. والله تعالى أعلم.

ثانياً: العبر والدروس المستفادة:

❁ إنَّ حُبَّ النَّبِيِّ ﷺ لأسامــة بن زيد - ولأبيه من قبله - رضي الله تعالى عنهما ــ لم يشفع له عند رسول الله ﷺ عندما أخطأ، فكان اللوم والتقريع والمحاسبة الشديدة على الخطأ.

وفي ذلك دليل على أنــَّه لا محاباة، ولا محسوبيات في دين الإسلام، فالكل سواسية أمام الشارع، يحاسبهم على أخطائهم، لا فرق بين قريب أو بعيد، ولا غني أو فقير.

---

(٣) شرح المواهب ٢/٢٥٢

(١) سبق تخريجها برقم [١٨].

- استمرار سياسة النَّبيِّ ﷺ العسكرية ضد الأعراب مِمَّا أدَّى إلى حصد النتائج السريعة المتوخاة من تلك السياسة العسكرية المتبعة ضدَّهم، نصر، وغنائم، وتأديب، ورعب.
- كان الشعار في المعركة من مبتكرات النَّبِيِّ ﷺ في غزواته وبعوثه وسراياه وتتضح أهمية الشعار في القتال الليلي، أو الفجري الخاطف، وبخاصّةً إذا علمنا أنَّ العرب في ذلك الوقت يتشابهون فيما بينهم في اللباس والملامح، حيث لم تكن هنالك بزَّات[١] عسكرية خاصّةً لكل جيش كما هو الحال اليوم في المؤسسات العسكرية الحديثة، فكان الشعار ينوب مناب اللباس الخاص للتفريق بين المسلمين وأعدائهم في ميدان المعركة، كما أنَّـــه يبث روح الحماس في نفوس الجند وهم يتصايحون بـــه أثناء الانقضاض على العدوّ، كما حدث في هذه السرية. والله تعالى أعلم.
- اتَّبع المسلمون الهجوم الفجري ضد الأعراب " فكان هذا الهجوم مباغتة كاملة أثَّرت على معنوياتهم، وأجبرتهم على الفرار.

«إنَّ الهجوم فجراً يؤَمِّن المباغتة، لأنَّ العدوَّ يكون بين نائم لا يفيد في القتال، أو مستيقظٍ غير مُتَهَيئٍ له، وهؤلاء جميعاً غير متهيئين للقتال، ولا جدوى منهم للنهوض بأعباء الحرب.

(١) جمع بـــزة: وهي البدلة العسكريـــة.

ولكن الهجوم فجراً يحتاج إلى قوة مددية تستطيع معرفة أهدافها، فلا يصطدم بعضها ببعض، فيؤدي ذلك إلى خسائر في الأرواح دون مبرر، ممَّا يدل على تدريب المسلمين تدريباً متميزاً على فنون القتال، كما يحتاج الهجوم فجراً إلى قيادة مسيطرة وإلى ضبط شديد لتنفيذ الأوامر))(١).

وذلك واضح في الخطاب الذي ألقاه قائد السرية عليهم، وتأكيده على الضبط العسكري، ومبدأ طاعة الأوامر، ثُمَّ في تأليفه بين الجند ومؤاخاته بينهم، والحثّ على الاجتماع وعدم التفرُّق، وترك الإمعان في العمق دون مبرِّر.

((إنَّ نجاح المسلمين بهذا الهجوم معناه وصولهم إلى درجة عالية في التدريب والضبط، وهما أهمّ عناصر الجيش القوي الرصين))(٢).

(١) خطَّاب: الرسول ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ القائد ٢١٧.

(٢) خطَّاب: الرسول ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ القائد ٢١٧.

الفصل الثالث: بقية السرايا والبعوث النبوية الشمالية قبل غزوة مؤتة

ويحتـــوي على ثلاثـــة مباحث:

المبحث الأول: سرية عبد الرحمن بن عوف ﷺ إلى دومة الجندل.

المبحث الثاني: سرية بشير بن سعد ﷺ إلى الجناب (يمن وجبار).

المبحث الثالث: سرية كعب بن عمير الغفاري ﷺ إلى ذات أطلاح.

المبحث الأول: سريـــة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل.

وفيـــه مطالب:

المطلب الأول: التعريف بدومـــة الجندل.

المطلب الثاني: تاريخ السريـــة.

المطلب الثالث: سير الأحداث.

المطلب الرابع: الدروس والعظات المستفادة.

المطلب الأول: التعريف بدومـــة الجندل:

قال في القاموس: دومـــة الجندل، ويقال: دوماء الجندل، كلاهما بالضم(١).

وقال الجوهري: أصحاب اللغة يقولونه بضم الدال، وأصحاب الحديث يفتحونها(٢).

وقال ابن الأثير: تُضَمُّ دالُها وتُفْتَح(٣).

وقال ياقوت: وقد أنكر ابن دريد الفتح، وعدَّه من أغلاط المحدثين(٤).

قال الهجري: كُلُّ العرب على فتح الراء من رضوى، وضم الدال من دومة الجندل(٥).

قال في المقتطف: والصواب في كُلِّ ذلك أنَّها تقال بالضم أو بالفتح على السواء، والسبب هو أنَّ اللفظة أعجمية، وهي تُلْفَظ فيها بحركة بين الضم والفتح، فلمَّا عرَّبها العرب مال بعضهم إلى ضمها وآخرون إلى فتحها، واللغويون في مثل هذا المثال يضمون الحرف، والنقلة يميلون إلى

(١) القاموس، مادة (دام).

(٢) الصحاح، مادة (دوم).

(٣) النهايـــة ١٤١/٢.

(٤) معجم البلدان ٤٨٧/٢.

(٥) هامش معجم ما استعجم للبكري ٥٦٤/٢.

الفتح، والمحققون يروون اللفظ على أصله، ونظن أنَّ هذه الطريقة الأخيرة هـــي المخيـــرة في عصرنا لأنها هي الصحيحة لقربـــها من الأصل المأخوذة عنه(١).

واختلف العلماء واللغويون والمحدّثون في معنى هذا الاسم:

قال ابن الفقيه: دومة الجندل من أعمال المدينة، سُمِّيت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم(٢).

وقال الزجاجي، والبكري: سُمِّيت بدومان بن إسماعيل، كان ينْزلها(٣).

وقال ابن الكلبي: دوماء بن إسماعيل، قال: لَمَّا كثر ولد إسماعيل ـــ عليه السلام ـــ بتهامة، خرج دوماء بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة وبنى بها حصناً، فقيل: دوماء، ونُسِبَ الحصن إليه(٤).

وقيل: كان لإسماعيل ولد اسمه دُمـــا أو دوما أو دمـــة، والظاهر أنَّ الحكاية ملفقة لفَّقها بعضهم إثباتاً لمدَّعاه، وأمَّا الذي عرفه النسابة بهذا الاسم دوم بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، إلاَّ السيد مرتضى صاحب التاج قال عنه: لم أره عند النسابة(٥).

---

(١) مجلة المقتطف، مجلد ٥٩/ جزء ٢/ ١٥.

(٢) انظر: الحموي: معجم ٢/ ٤٨٧.

(٣) انظر: البكري: معجم ٢/ ٥٦٥، والحموي: معجم ٢/ ٤٨٧.

(٤) انظر: الحموي: معجم ٢/ ٤٨٧.

(٥) مجلة المقتطف: مجلد ٥٩ / جزء ٢ / ١١٣.

ومعنى اسمها الحقيقي: أنّها كلمة يونانية معناها (الحصن)، وعند الرومان دوما: السطح. والظاهر أنّ العرب الأولين الذين اقتبسوا اللفظة عن اليونان كانوا يعرفون أنّ معنى دوما: الحصن، ثُمَّ تُنُوسِيَ مع الزمن، والدليل أنّنا نجد في معجم البلدان لياقوت الحموي ما نصه: «قال أبو سعد: دومة الجندل في غائط من الأرض خمسة فراسخ، قال: ومن قبل مغربه عين تثجّ فتسقي ما بــه من النَّخل والزرع، وحصنها مارد، وسُمِّيت دومة الجندل، لأنّ حصنها مبني بالجندل»[1]، فكأنّــه قال: الدومة: الحصن، وأضيفت إلى الجندل لأنــّه مبني بــه.

وقال أبو عبيد السكوني: «دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيئ كانت به بنو كنانة من كلب، قال: ودومة من القريات من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال، والقريات: دومة، وسكاكة، وذو القارة، فأمّــا دومة فعليها سور يتحصن به، وفي داخل السور حصنٌ منيعٌ يقال له مارد، وهو حصن أكيدر الملك...»[2]. وهذا ــ أيضاً ــ كلام يشعر منه بأنّ العرب الأقدمين كانوا يعرفون معنى الدومــة، وأنها الحصن الحصين أو المنيع، ومن الأدلة على أنّ الدومــة بمعنى الحصن أنها أُضيفت إلى عِدَّة مواضع بُنِيَت فيها حصون، منها دومة الكوفة، أو دومة النجف، ودومة الحيرة، ودومة خبت، ودومة دمشق وغيرها[3].

(١) معجم البلدان ٢/٤٨٧ – ٤٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المقتطف، مجلد ٥٩ / جزء ٢ /١١٤-١١٥.

وذكر البلاذري في فتوح البلدان عن الواقدي قال: سمعت بعض أهل الحيرة يذكر أنَّ أُكيدر وإخوته كانوا ينْزلون دومة الحيرة، وكانوا يزورون أخوالهم من كلب فيتغربون عندهم، فإنَّهم لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلاَّ بعض حيطانها، وكانت مبنية بالجندل، فأعادوا بنائها، وغرسوا فيها الزيتون وغيره، وسمُّوها دومة الجندل تفرقةً بينها وبين دومة الحيرة[1].

أمَّا موقعها، فقال البكري: ودومة هذه على عشرة مراحل من المدينة، وعشر من الكوفة، وثمان من دمشق، واثنتي عشرة من مصر[2].

وقال ياقوت: هي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ[3].

وقال الحميري: ودومة الجندل حصنٌ منيعٌ، ومعقلٌ حصينٌ، وبه عمارة وتَتَّصِل بـــه عين التمر[4].

وقال الواقدي: كان النَّبِيُّ ﷺ غزا دومة الجندل في سنة خمس، فلم يلق كيداً، ووجَّه خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر في شوَّال سنة تسع بعد إسلام خالد بن الوليد بعشرين شهراً، وهي أرض نخل وزرع يسقون على

---

(١) فتوح البلدان ٨٤ – ٨٥.

(٢) معجم ما استعجم ٢/٥٦٥.

(٣) معجم البلدان ٢/٤٨٧.

(٤) الروض المعطار ٢٤٥.

النواضح، وحولها عيون قليلة، وزرعهم الشعير، وهي مدينة عليها سور ولها حصن عال مشهور في العرب يُدْعَى مارد[١].

قلت: وكذلك بعث إليها عبد الرحمن بن عوف ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ على رأس هذه السريـــة.

قال البكري: وكان افتتاح دومة صلحاً، وهي من بلاد الصُّلْح التي أدَّت إلى رسول الله ﷺ الجزيـــة[٢].

وقد تعرَّض أصحاب معلمة الإسلام، وهم جماعة من المستشرقين لذكر دومـــة الجندل، فقالوا: «جوف السرحان أرض ديار العرب، واقعة في شمال نجد وأنت تتجه إلى سورية على وادي سرحان، وجوف السرحان وتيماء هما الروضتان الكبريان من ديار جزيرة العرب، وأكبر مدينة من مدن جوف السرحان كانت دومة الجندل (ويسميها بطليموس دوميثا) مع حصنها المارد، وقد أقام برخرد في جوف السرحان سنة ١٨١٢م، وزارها أوتنك بعده بسبعين سنة، وهي اليوم عبارة عن طائفة قرى ضخمة تطوف بها بساتين وحدائق وغيطان نخل يسمونها (أسواقاً) فيها من ٨٠ إلى ١٢٠ بيتاً، وجملة سُكَّانها نحو ١٢٠٠٠، والقرى على اختلاف أنواعها تنقاد لأمور شيوخ خاصَّة بهم، وفي عهد إقامـــة برخرد في الجوف كان أغلب

---

(١) انظر قول الواقدي في: البلاذري: فتوح البلدان ٨٤، وابن عساكر: (تاريخ دمشق، المجلدة الأولى ص٣٨٥).

(٢) معجم ما استعجم ٢/٥٦٥.

قطَّاها تُجَّاراً صغاراً، وأصحاب مهن، منهم الخفَّاف، والحدَّاد، والنَّجَّار، وكانوا يبدلون أمتعتهم وتجاراهم مع الأعراب بأباعر، أمَّا اليوم فالتِّجارة والاحتراف في سقوطٍ ليس وراءَه سقوط، وكان أصحاب تلك الربوع من الوهابيين، وكانت أرضهم داخلة في إحدى كور مملكة الوهابيين التي كان على رأسها اثنان من الأُمراء، وبعد انحلال الدولة الوهابية بقي أهلها مستقلين مدَّة مديدة، وفي سنة ١٨٥٥م خضعوا لشمر الذين في حائل[(١)]»

ومنطقة الجوف اليوم تعدّ من أكبر المناطق الزراعية المتميزة في المملكة، حيث تشتهر بزراعة الفواكه والخضروات، وتتميَّز بزراعة الزيتون الذي نجحت زراعته في المنطقة بكميات اقتصادية تُبَشّر بالخير.

ودومة الجندل تعتبر ثاني أكبر مدينة في المنطقة، وهي اليوم مدينة متطورة شملتها النهضة العمرانية الواسعة في العهد الميمون، ولكنَّها احتفظت أيضاً بتراثها التاريخي القديم.

---

(١) المقتطف: مجلد ٥٩ / جزء ١١٥/٢ عام ١٩٢١ م.

قلت: ذلك يدل على تمكن الدولة السعودية الأولى والثانية من بسط نفوذها على أرض الجزيرة العربية منذ تلك الفترة المبكرة، وإنَّ البلاد كانت تشهد حالة من الركود الاقتصادي في مرحلة اضمحلال نفوذ الدولة، وهي فترة قصيرة لا تقاس بفترة الاستقرار الأمني، والرخاء الاقتصادي الغالِب على المنطقة في ظِلِّ حكم هذه الدولة العظيمة التي حباها الله من فضله وأسبغ عليها نعمه، كونها كانت ولا تزال الرائدة في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة بين النَّاس، وتُحَكّم شرع الله القويم في أرضها المباركة.

المطلب الثاني: تاريخ السريــــة:

تفرَّد الواقدي، وعنه ابن سعد، في ذكر تاريخ هذه السرية، وأنَّها كانت في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ(١).

وتابعهما في ذ لك كل من الطبري، والبلاذري، والبيهقي، وابن سيد الناس، وابن القيم، وابن كثير، والقسطلاني، والشامي، والمقريزي، والذهبي(٢).

ولم يذكر لها ابن إسحاق تاريخاً، وإنَّما ذكرها في جملة السرايا والبعوث، بعد سرية ابن أبي حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجُشمي، وقبل سرية أبي عبيدة بن الجراح ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ إلى سيف البحر(٣).

وذكرها خليفة ضمن السرايا التي كانت سنة ست من الهجرة، دون أن يحدِّد الشهر(٤).

ولا يمكن القطع بصحة التاريخ الذي ذكره الواقدي وتلميذه ابن سعد، لأنَّ غالب ما يذكران من تواريخ للسرايا والبعوث تخالف كثيراً من الأحداث والوقائع في السيرة.

---

(١) الواقدي: مغازي ٢/٥٦٠، وابن سعد: طبقات ٢/٨٩.

(٢) تاريخ ٢/٦١٢، أنساب الأشراف ٣٧٨، الدلائل ٤/٨٥، عيون الأثر ٢/١٤٣، زاد المعاد ٣/٢٨٤، البدايـــة والنهايـــة ٤/١٨١، سبُل الهدى ٦/١٤٩، إمتاع الأسماع ١/٢٦٧، تاريخ الإسلام، قسم المغازي ٣٥٥.

(٣) ابن هشام: سيرة ٤/٦٣١.

(٤) تاريخ ٧٩.

ولو نظرنا إلى بعض أحداث هذه السرية التي وردت عنهما لاستنتجنا تأخرها عن التاريخ الذي جعلاه لها.

فمثلاً ذكرا أنَّ عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنه ـ قائد هذه السرية تزوَّج ابنة ملك الدومة في ذلك الوقت الأصبغ بن عمرو الكلبي بناءً على مشورة النَّبيِّ ﷺ، وذكرا أنَّها هي أُم (أبي سلمة بن عبد الرحمن) الفقيه المشهور.

وبالنَّظر في ترجمة أبي سلمة وجدت أنَّ ميلاده كان سنة بضعٍ وعشرين، وأنَّه توفي سنة أربعٍ وتسعين على الراجح، وله اثنتان وسبعون سنة[1]، وبإجراء عملية حسابية بسيطة تبيَّن أنَّه وُلِدَ سنة اثنين وعشرين تقريباً.

فإذا أخذنا بروايتي الواقدي، وابن سعد، حول تاريخ السرية وأنَّها كانت سنة ست، يكون أبو سلمة لم يولد إلاَّ بعد ستَّة عشر عاماً من زواج أبويه، وإذا علمنا أنَّه كان وحيد أبويه - حيث لم تنجب أُمّه من عبد الرحمن سواه - كما ذكر الواقدي[2] - ترجَّح ما ذكرته سابقاً.

---

(١) انظر: ابن سعد: طبقات ١٥٥/٥، الذهبي: سير ٢٨٧/٤ - ٢٨٩، ابن حجر: تهذيب ٣٧٠/٦.

(٢) نقل ذلك عنه الزرقاني (شرح ١٦٢/٢).

أيضاً ذكر الذهبي عن ابن سعد، وابن حجر في ترجمة أبي سلمة أنَّ أُمـــَّه تماضر بنت الأصبغ أدركت حياة النَّبيِّ ﷺ، وأنَّ أباه توفي وهو صغير، فلم يستطع أن يروي عنه، فكل ذلك يعطينا إشارات ولو غير مباشرة على تأخُّر هذه السرية.

والله تعالى أعـــــلم.

المطلب الثالث: سير الأحداث:

كانت الأجواء التي تمَّ فيها إرسال هذه السرية تفيض علماً، وتفوح عبقاً مباركاً، وقد كانت فرصة مناسبة للتعرُّف على مجالس العلم التي كانت تُعقد في المسجد النبوي، وكذلك معرفة المراسم التي يتم من خلالها بعْث السرايا، وتولية الأُمراء عليها، وذلك من خلال راوي الحديث الذي كان شاهد عيان يصف لنا ذلك كُلّه بأدقّ عبارة، وأسهل جملة، يقول عبد الله ابن عمر ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ:

[١] **«كنت عاشر عشرة رهط[1] من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدري، وأنا مع رسول الله ﷺ»**[2].

---

(١) رهـــط: جماعـــة.

(٢) ذكره ابن هشام: (سيرة ٦٣١/٤ - ٦٣٢) عن ابن إسحاق الذي رواه بسند فيه مبهمان عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما. وأخرجه البزَّار كما في (كشف الأستار، حديث رقم: ١٦٧٦)، بإسناده عن الهيثم ابن حميد بن حفص بن غيلان، وأخرجه بان ابن ماجه (السنن ١٣٣٢/٢-١٣٣٣). بعضه باختصار عن ابن أبي مالك عن أبيه، كلاهما عن عطاء بن أبي رباح عنه. قال عنه الهيثمي(المجمع ٣١٨/٥):وابن حجر(مختصر مسند البزّار٧١١/١).رجاله ثقات.
=

[٢] «فجاء فتى من الأنصار، فسلّم على رسول الله ﷺ ثُمَّ جلس، فقال: يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خُلُقاً. قال: أي المؤمنين أكيس؟[١] قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأكثرهم له استعداداً قبل أن ينْزل بــهم - أو قال: ينْزل به - أولئك الأكياس، ثُمَّ سكت»[٢] الفتى[٣] و

[٣] «أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين![٤]، خمسٌ إذا ابتليتُم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهنَّ: لم تظهر الفاحشة في قومٍ

=

قلت: الهيثم وشيخه حفص بن غيلان صدوقان، وابن أبي مالك هو: خالد بن يزيد ابن عبد الرحمن ضعيف. كما قال الحافظ وأبوه صدوق. فيكون الإسناد حسناً إن شاء الله. وقد يرتفع إلى الصحيح لغيره بالمتابعة. والله تعالى أعلم.

وقال عنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٧٠): حسن.

(١) أي أعقل. والكَيِّس هو العاقل الفطن.

(٢) زيادة من البزَّار. انظر: كشف الأستار، حديث رقم: ١٦٧٦، ومختصر مسند البزَّار حديث رقم: ١٣١٧).

قلت: لكن في إسناده الهيثم، وحفص بن غيلان (صدوقين، ورُميا بالقدر). والله تعالى أعلم.

(٣) زيادة من ابن إسحاق (ابن هشام: سيرة ٤/٦٣١).

(٤) هكذا وقع في رواية ابن ماجه، وكذلك رواية ابن إسحاق، ولعلَّه دعاهم بذلك تغليباً لأنَّ أكثرهم في ذلك المجلس كانوا من المهاجرين، وإلاَّ فإنــّه كان فيهم من الأنصار أيضاً. ووقع في رواية الواقدي: «يا أيها النَّاس»، بينما في رواية البزَّار لم يعين أحداً في خطابه، وإنَّما قال مباشرةً: «لم تظهر الفاحشة في قومٍ...» الخ.

قطّ حتّى يعلنوا بها، إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أُخِذُوا بالسنين وشِدَّة المؤونة وجَوْر السلطان عليهم، ولم يَمْنَعُوا زكاة أموالهم إلاّ مُنِعُوا القَطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطَروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيَّروا[1] مِمَّا أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم»[2].

[٤] «قال: ثُمَّ أمر عبد الرحمن بن عوف يتجهَّز لسريةٍ أمَّره عليها، فأصبح قد اعتمَّ بعمامة كرابيس[3] سوداء، فدعاه النَّبيُّ ﷺ فنقضها وعمَّمه وأرسل مِن خلفه أربع أصابع، ثُمَّ قال: هكذا يا ابن عوف، فاعتمَّ بها فإنــــه أعرب[4] وأحسن»[5].

---

(١) هكذا وقعت في رواية ابن ماجه. وفي رواية ابن إسحاق: «وتجبَّروا فيما أنزل الله». ولعلَّه حصل تصحيف في اللفظة. وفي رواية البزَّار قال: «ولم يحكم أئمتهم كتاب الله إلاّ جعل بأسهم بينهم».

(٢) هكذا في رواية ابن ماجه (سنن ١٣٣٢/٢ - ١٣٣٣).

(٣) عمامة من قطن غليظة.

(٤) هكذا وقعت في رواية البزَّار، بينما وقعت في رواية ابن إسحاق: «فإنــــه أحسن وأعرف». وربما تصحَّفت اللفظة عند أحدهما. أمَّا في رواية الواقدي فإنَّه لم يعلِّق شيئاً.

(٥) من رواية البزَّار، وقد سبق تخريجها برقم [٢].

ثُمَّ بدأت مراسم تولية عبد الرحمن بن عوف -رضي الله تعالى عنه- على الجيش، وهي مراسم بسيطة جداً ولكنَّها ذات مغزى عظيم ومؤثِّر.

حيث أمر النَّبيُّ ﷺ بلالاً أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، فحمد الله تعالى، ثُمَّ قال: خذه يا ابن عوف:

[٥] **«اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا مَن كفر بالله، لا تَغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد رسول الله ﷺ وسنَّته فيكم»**[١].

فأخذ عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه اللواء، وعقد له رسول الله ﷺ على سبعمائة رجل - كما يذكر الواقدي[٢]- وأمره بالمسير إلى دومـــة الجندل، فيدعوهم إلى الإسلام، وأشار عليه النَّبيُّ ﷺ قائلاً:

[٦] **«إن استجابوا لك فتزوَّج ابنة ملكهم، فسار عبد الرحمن حتى قدم دومـــة الجندل»**[٣].

[٧] **«فلمَّا حلَّ بها دعاهم إلى الإسلام، فمكث بها ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، وقد كانوا أبوا أوَّل ما قدم يعطونه إلاَّ السيف، فلمَّا كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رأسهم»**[٤].

---

(١) من رواية البزَّار، وقد سبق تخريجها برقم [٢].

(٢) مغازي: ٢/٥٦٠ - ٥٦١.

(٣) أخرجه ابن سعد (طبقات ٢/٨٩) عن شيوخه بلفظ: قالوا.

(٤) أخرجه الواقدي (مغازي ٢/٥٦٠ - ٥٦٢)، وعزاه ابن حجر (إصابة ١/١٠٨) للدارقطني في الافراد، من طريق محمَّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، عن سعيد بن =

[٨] «وأسلم معه ناس كثير من قومـــه، وأقام مَن أقام على إعطاء الجزية، وتزوَّج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ، وقدم بها إلى المدينة، وهي أُم أبي سلمة بن عبد الرحمن»(١).

=

مسلم بن فاتك (مالك) شك النَّاسخ، وهي تصحيف (قمارين) كما وردت عند الواقدي، عن عطاء، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وقال الدارقطني: تفرَّد بـــه محمَّد الحسن عن سعيد، ولم يروه عنه غير أبي سليمان. قال ابن حجر: رواية الواقدي له عن سعيد ترد على هذا الإطلاق. والله أعلم.

قلت: قال ابن أبي حاتم (الجرح ٢٢٧/٧): سمعت أبي يقول: وجدت في كتاب السير لمحمَّد بن الحسن صاحب الرأي، عن الواقدي أحاديث، فلم يضبطوا عن محمَّد ابن الحسن، فرووا عن محمَّد بن الحسن، عن الواقدي، أحاديث، ورووا الباقي عن مشايخ الواقدي، وهذا كُلّه عن الواقدي، فجعلوه عن محمَّد ابن الحسن عن هؤلاء المشايخ. انتهى.

قلت: أخشى أن يكون هذا الحديث منها، لأنـــَّه مطابقٌ تماماً لرواية الواقدي في المغازي. والله تعالى أعلم.

وذكر السيوطي (خصائص ٢٣/٢) أنَّ ابن عساكر أخرجه من طريق الزبير ابن بكار، حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري، عن عمومته: موسى، وعمران، وإسماعيل نحوه.

قلت: هذا مرسل، وعبد الرحمن بن عبد الله الزهري، ذكره ابن أبي حاتم (الجرح ٢٠٥/٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(١) من روايـــة ابن سعد، وقد سبق تخريجها برقم [٦].

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قد بعث قبله رافع ابن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ بشيراً، يخبره بما فتح الله عليهم، وبإسلام الأصبغ وقومــــه.

المطلب الرابع: الدروس والعظات المستفادة:

تضمنَّت هذه السرية بعض الدروس والعظات المستفادة وهي:

- تحذير النَّبيِّ ﷺ أُمَّته من الوقوع في أسباب المهلكات الموجبة لعذاب الله ـــ عزَّ وجلَّ ـــ، واجتناب المحظورات.
- بيان خشيته ﷺ، ورفقه بأُمَّته وخوفه عليهم مِمَّا يهلكهم في الدُّنيا والآخرة.
- بلاغة وقوَّة الخطاب التحذيري الذي وجَّهه المصطفى ﷺ إلى أصحابه وأُمَّته مُحَذِّراً إياهم من المهلكات الخمس بأسلوب سنن الله الكونية التي لابُـدَّ من وقوعها إذا ما توفرت شروطها، وتهيأت أسبابها، فظهور الفاحشة والإعلان بها بين الناس مَدْعاة لظهور الأمراض الخطيرة، وانتشار الأوبئة المستعصية وغير المعروفة من قبل.

والغش في الكيل والوزن والنقص فيهما، عقوبته تكون بالجدب والغلاء وظلم السلطان.

وتعطيل الزكاة ومنعها يؤدي إلى منع سقوط الأمطار، وبالتالي الجفاف والجدب.

ونقض العهد والميثاق والخيانة والغدر، مدعاة لتسلُّط الأعداء واستبدادهم وظلمهم وغصبهم للحقوق.

وترك الحكم بكتاب الله والحكم بغيره من القوانين والأنظمة الوضعية،عقوبته وقوع الفتنة،وسفك الدماء،واشتعال الحرب الأهلية.

❁ بيان أنَّ العقوبة تكون من جنس العمل.

❁ إنَّ ما ذكره وأخبر به رسول الله ﷺ من تلك العقوبات المستحقة لمن تلبَّس بأسبابها، ووقع في محظوراتها، نؤمن بـــه، ونتيقن وقوعه، لصدق المُخْبِر به الذي لا ينطق عن الهوى، ولكننا نذكر وعلى سبيل الاستئناس بعض ما وقع في هذا الزمان من أمور، ربما تدخُل ضِمن إطار هذا الحديث، فقد شاع قبل مُدَّة وذاع خبر انتشار مرض خطير، وداء عضال، ووباء معدٍ، حار الأطباء - رغم البحث المتواصل والدراسات المتعددة والمكثفة - في التوصُّل إلى علاجٍ ناجع له، أو حتى مصل واقٍ منـــه.

هذا الداء العضال نشأ أول الأمر في الدول الغربية الإباحية - رغم محاولاتهم اليائسة وادّعاءاتهم الكاذبة بأنَّ منشأَهُ كان بعيداً عنهم في أدغال أفريقية، متناسين البيئة الخصبة التي نشأ فيها المرض وترعرع، وهي بيئة الشذوذ الجنسي والإباحية المطلقة التي كانوا يشجعونها - ثُمَّ انتشر انتشار النار في الهشيم بطول الأرض وعرضها، وبخاصّة في الدول التي تشجع الإباحية في مجتمعاتها بطريقٍ مباشرٍ، وغير مباشر.

هذا المرض الخطير الذي أصبح مجرَّد النُّطْقُ باسمه يثير الفزع، ويبث الرعب في النفوس، هو مرض نقص المناعة المكتسبة، المسمَّى طبياً (بالإيدز)، وهو مرض ثبت طبياً أنَّ سببه المباشر كان من انتشار الشذوذ الجنسي (عمل قوم لوط) في تلك المجتمعات، وتفشيه بينهم

حتَّى أعلنوا به إعلاناً عظيماً، لدرجة تبني بعض الحكومات والهيئات والشخصيات المؤثرة في تلك المجتمعات الدفاع عن حقوق الشاذّين جنسياً[1] في ممارسة عملهم القذر بحريَّةٍ تامَّة، وسن قوانين اجتماعية رسمية تبيح زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، ودعم المحاولات المستميتة منهم لوضع هذه الأُمور موضع التنفيذ على شكل مراسيم حكومية رسمية حتَّى تصبح ممارساتهم الشاذَّة ذات صبغة رسمية شعبية.

لقد كان انتشار هذا القذر في تلك المجتمعات بعد أن ملُّوا وسئموا الممارسات الجنسية الطبيعية - بالطبع غير الشرعية — بين الرجال والنساء التي كثرت، وأصبحت أمراً حتمياً لا مفرَّ منه نتيجة الاختلاط والإباحية والتبرُّج والسُّفُور، والدعايات المركَّزة بشكل مباشر وغير مباشر لممارسة الجنس في كُلِّ وسائل الإعلام بأنواعها، وانتشار النوادي الليلية الحمراء، ونوادي العراة، والمنتجعات الساحلية السياحية، وغير ذلك من دواعي الإباحة ونشر الفاحشة والإعلان بها، ومع توالي الأمراض الوبائية الخطيرة عليهم، التي بدأت بمرض السيلان، ثُمَّ الزهري، إلاَّ أَنَّهم لم يرتدعوا، واستمروا

(١) في الحقيقة تسميتهم بهذا الاسم فيه نوعٌ من التعمية والتدليس، ومحاولة تلطيف حقيقة ممارساتهم البشعة والقذرة المنافية للدين والأخلاق والقيم الإنسانية، بل فيه منافاة شديدة للفطرة الإنسانية السليمة.

في غيهم، حتى بَعَثَ الله عليهم هذا الفيروس القاتل الذي يهاجم الجهاز المناعي في جسم الإنسان فيحطمه ويقضي عليه، فيصبح عندها الجسم نهبة لمختلف الأمراض التي تفتك بالإنسان دون أن تجد ما يقاومها.

ورغم ذلك كله، ورغم النداءات المتوالية من عُقَلاء القوم، والمؤتمرات المتعدِّدة للتحذير من ازدياد انتشار وشيوع هذا الوباء الفتّاك في المجتمعات، إلاّ أنّنا نرى ونسمع في المقابل مؤتمرات أُخرى مشبوهة تُقَام بين حين وآخر بأسماء وشعارات زائفة، ودعايات برّاقة، تدعو بشكلٍ مبطنٍ وغير مباشر لمزيد من الإباحية، والحرِّية المطلقة، وتشجيع ارتكاب الفواحش بعلاج نتائجها بالإجهاض، وغير ذلك من دَسِّ السُّمّ في العَسَلِ مِمَّن يُحبون شيوع الفاحشة وانتشارها بين النَّاس لإشباع غرائز بهيمية في نفوسهم، غير مدركين أو متعامِين عن الخطر الدَّاهِم، بتعدُّد الأمراض الوبائية وتجدُّدها، والتي كان آخرها ذلك المرض القاتل السريع الذي ظهر في بعض بلدان أفريقيا قبل أشهر، والمسمَّى (بفيروس أيبولا القاتل) الذي لا يمهل ضحاياه إلاَّ أياماً معدودة ليقضي عليهم، حمى الله أُمَّتنا وبلادنا من شرور الأمراض والأوبئة الفتَّاكة، ومن أسبابها التي حذَّرنا منها رسول الله ﷺ.

 بيان هديه ﷺ في لبس العمامة، والاعتمام.

- معرفة صفة مجالس العلم التي كانت تعقد في مسجد النَّبِيِّ ﷺ، التي كان فيها ﷺ المعلِّم الأوَّل، والموجِّه النَّاصح، والمُفْتِي الفقيه.

لقد كان المسجد النَّبَوِيُّ في ذلك الوقت بمثابة جامعة بمعلِّمٍ واحدٍ يتلقَّى فيه الصحابة العلم والوعظ والفتوى والتوجيه والإرشاد، من مُعَلِّم البشرية النَّبِيّ محمَّد ﷺ، كما كان ــ أيضاً ــ بمثابة القاعدة العسكرية التي تنطلق منها الجيوش والسرايا والبعوث.

لقد كانت مراسم بَعْث السرايا، وتولية الأُمراء عليها، تتم في المسجد بشكلٍ مبسَّطٍ، لكنَّه متقن ومنظَّم، وبانضباطية مدهشة.

- كان من أهم مراسم تولية القادة والأمراء على السرايا والبعوث، الوصايا التي كان القائد الأعلى للقوَّات الإسلامية ﷺ يُزَوِّدُ بها القادةَ والأُمراءَ كُلَّما بعثهم في بَعْثٍ، أو أرسلهم في سريةٍ، وصايا الحرب تلك كانت بمثابة تشريعات للحرب المقدَّسة التي كان يخوضها المسلمون ضد أعدائهم، والتي توضِّح بجلاء أي نوع من الحرب كان المسلمون يمارسونها ضد الأعداء باختلاف مشاربهم، وتعدُّد عداواتهم. لقد كانت بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء – حرباً فروسيةً بمعنى الكلمة، لم يشهد، ولن يشهد التاريخ لها مثيلاً –، إنَّ التأكيد في تلك الوصايا بالالتزام بالأخلاق الإسلامية السامية في التعامل مع الأعداء لأمر يثير الدهشة حقاً.

فالنهي عن الغدر، والتمثيل بالأعداء، والنهي عن التعدي على الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، وحُسْن التعامل مع أهل

البلاد المفتوحة، حقائق ناصعة كانت تسبق الفاتحين، فتتغلغل في القلوب قبل أن تصدعها السيوف، فتسارع بالدخول في الدين الحق، طالما هذه تعاليمه التي يدعو إليها، ويأمر بتطبيقها حتَّى مع الأعداء.

إنَّ الدُّولَ المتحضرة مادياً اليوم تفتخر بوضع قوانين للحرب تدعو إلى تطبيقها في الحروب، ولكنها ليست إلاَّ حبراً على ورق، قابعاً في أروقة المنظَّمات، وعلى رفوف الهيئات التي أقرَّتها ووضعتها، بينما في أرض الواقع قانون الغاب هو السائد وهو المهيمن، حيث القويُّ يفتك بالضعيف فتكاً ذريعاً دونما وازعٍ من دينٍ أو خلقٍ أو قيَمٍ، وصدق الله القائل في محكم كتابه ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢]. ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾. [سورة النور، الآية: ٤٠].

المبحث الثاني: سرية بشير بن سعد رضي الله عنه إلى الجناب (يمن،وجبار)[1].

وفيـــــه مطالـــــب:

المطلب الأوَّل: التعريف بالجناب، ويمن، وجِبار.

المطلب الثاني: تاريـــــخ السريـــــة.

المطلب الثالث: ســـبب السريـــة.

المطلب الرابع: ســـير الأحـــداث.

المطلب الخامس: الأحكام المستنبطة والدروس المستفادة.

(١) خبر هذه السرية انفرد به الواقدي، وكاتبه ابن سعد الذي رواه عن جمعٍ من شيوخه بلفظ: قالوا، وشيوخ ابن سعد الذين روى عنهم فيهم الثقات، وفيهم الضعفاءُ والمتروكون، ولم يُمَيِّز بينهم، ولكنَّ الواقدي، وابن سعد، غزيرا العلم في المغازي، ويمكن الاستئناس بروايتهما لخبر هذه السرية تاريخياً، وابن سعد ثقة في نفسه. والله تعالى أعلم.

المطلب الأوَّل: التعريف بالجناب، ويمن، وجبار:

قال البكري: الجِنَاب - بكسر أوّله، وبالباء المعجمة بواحدة[(١)].

وقال الحموي: يقال فرسٌ طوع الجِناب - بكسر الجيم - إذا كان سلس القياد، ويُقال: لجَّ فلانٌ في جِنَابٍ قبيحٍ، إذا لجَّ في مجانبة أهله[(٢)].

وقال ابن سعد: والجِناب يعارض سلاح، وخيبر، ووادي القرى[(٣)].

وقال البكري: أرض لغطفان. هكذا قال أبو حاتم الأصمعي. وقال في موضعٍ آخر: الجِنَاب: أرض لفزارة وعُذْرَة. وقال إبراهيم بن محمَّد بن عرفة: الجِنَاب أرض بين فزارة وكلب، ويدُلُّ أنَّ لِعُذْرَة فيها شركة قول جميل لبثينة: ما رأيت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان على البلاط إلاَّ غِرْتُ عليكِ وأنتِ بالجِنَاب، وكان فائق الجمال[(٤)].

وقال ياقوت: وقيل: هو مِن منازل بني مازن، وقال نصر: الجِناب من ديار بني فزارة بين المدينة وفَـيْد، وقال ابن حبيب: الجناب مِن بلاد فزارة، والحضارم من ناحية اليمامـة[(٥)].

---

(١) معجم ما استعجم ٢/٣٩٥.

(٢) معجم البلدان ٢/١٦٤.

(٣) طبقات ٢/١٢٠.

(٤) معجم ما استعجم ٢/٣٩٦.

(٥) معجم البلدان ٢/١٦٤ - ١٦٥.

وقال البلادي: الجناب أرض واسعة تقع شمال خَيْبَر، وتمتد إلى تيماء، يُعْرَف جُلّها اليوم باسم (الجهراء)، كانت منازل قضاعة، وهي اليوم لعنْزة بن أسد(١).

وقال في موضعٍ آخر: صحراء تمتد من حفيرة الأيـــدا(٢)، إلى تيماء(٣).

أمَّا يمن وجبار، فقال ياقوت: جُبَار – بالضم – وهو في كلام العرب الهدر، ذهب دمه جُبَاراً كما تقول هدراً، وهو ماء لبني حُمَيس بن عامر بن ثعلبة بن مودعة بن جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، بين المدينة وفيد، قال:

ألا مِن مُبَـلِّغ أسمــاء عني إذا حلَّت بيمنٍ أو جُبَار(٤)

وقال في موضعٍ آخر: يمن – بالفتح، ويروى بالضم – ثُمَّ السكون، ونون، ماء لغطفان بين بطن قوٍّ ورُؤاف على الطريق بين تيماء وفيد، وقيل: هو ماء لبني صرمة بن مرَّة، وسمَّاه بعضهم: أمْن، وينشد قول زهير:

عفا من آل فاطمة الجواء فيُمن فالقوادم فالحِســاء

---

(١) معجم المعالم الجغرافية في السيرة ٨٦.

(٢) هي بئر حفرها فرحان الأيدا أمير ولد علي من عـنْزة في وادٍ صغير هو أحد روافد وادي الزهيراء من أودية خيبر، من أعلاه، فاتخذها قاعدةً له وحصَّنها.
(انظر: البلادي: رحلات في بلاد العرب ٢٨).

(٣) رحلات في بلاد العرب (في شمال الحجاز والأردن) ٦٤.

(٤) معجم البلدان ٩٨/٢.

وقال: ... ... ولو حلَّت بيمنٍ أو جُبار[١]

وقال ابن سعد: هي نحو الجناب[٢].

وقال البكري: يُمْن - بضم أوَّله، وإسكان ثانيه - ماء، قال عامر ابن الطفيل:

ألا مِن مُبَلِّغ أسمـــــاء عـــنِّي ولو حلَّت بيمنٍ أو جُبَار

قال ابن دريد: يمن وجبار من الحجاز[٣].

وقال الحلبي: جَبار - بفتح الجيم - وادٍ قريب من خيبر[٤].

وقال البلادي: جبار وادٍ تراه من مشراف العشاش[٥] (سلاح) شمالاً شرقياً، والاسم لماء هناك.

ويمن ماء ــ أيضاً ــ في نفس الوادي، وسيل الوادي يصب في وادي العشاش من أعلاه، والمكانان شمالاً شرقياً من العشاش يُريان بالعين[٦].

---

(١) المصدر السابق ٤٤٩/٥.

(٢) الطبقات ١٢٠/٢.

(٣) معجم ما استعجم ١٤٠٠/٤ – ١٤٠١.

(٤) تاريخ ١٩٤/١.

(٥) العشاش: قرية من قرى محافظة خيبر، بُنِيَت في طرف أنقاض قرية سلاح القديمـــة.

(٦) رحلات في بلاد العرب ٢٦ – ٢٧.

المطلب الثاني: تاريـــــخ السريـــــة:

أرَّخها الواقدي بسنة سبع من الهجرة، ولم يحدِّد الشهر الذي انطلقت فيه(١).

وتابعه نقلاً عنه كُلٌّ من:الطبري(٢)،والبيهقي،وابن كثير،والذهبي(٣).

أمَّا ابن سعد فحدَّدها بشهر شوَّال من نفس السنة(٤).

وتابعه في ذلك البلاذري،وابن سيد الناس،والقسطلاني،والشامي(٥).

وذكر ابن خياط – في سياقه لسرايا النَّبيِّ ﷺ سنة ست – بَعْث بشير بن سعد إلى خيبر(٦).

---

(١) مغازي ٢/٧٢٨.

(٢) تاريخ ٣/٢٣ وقال الطبري: «قال الواقدي: وفيها سرية بشير بن سعد إلى يمن وجناب، في شوال من سنة سبع».

قلت: فلا أدري هل اطَّلع ابن جرير على نسخة أُخرى لمغازي الواقدي فيها هذا التحديد بشهر شوَّال، أم إنـــَّه اقتبسه من طبقات ابن سعد، والأوَّل أرجح. والله تعالى أعلم.

(٣) انظر: البيهقي: دلائل ٤/٣٠١، ابن كثير: بداية ٤/٢٢٣، الذهبي: تاريخ، قسم المغازي ٤٥١.

(٤) طبقات ٢/١٢٠.

(٥) انظر: البلاذري: أنساب ٣٧٩، ابن سيد الناس: عيون ٢/١٩١، القسطلاني: المواهب ١/٥٣٩، الشامي: سبل ٦/٢١٣.

(٦) تاريخ ٧٩.

وأظنّه يقصد هذه السرية حيث لم يُذكر غيرها لبشير في نفس المنطقة سوى سريته السابقة إلى فدك، كما أنّ يمن وجبار والجناب قريبة من خيبر، كما وضَّحنا سابقاً، والله تعالى أعلم.

أمَّا ابن القيِّم، فساق الحديث عن هذه السرية ضمن الجدول الذي وضعه لسرايا النَّبيِّ ﷺ بعد مقدمه من خيبر إلى شوَّال، حيث رتَّبها بعد سرية غالب بن عبد الله الكلبي إلى بني الملوّح بالكُدَيْد، وساق الخبر عنها دون أن ينسبه إلى أحد، وإنْ كان لفظه هو لفظ الواقدي[1].

وإذا استعرضنا بعض ما ورد في رواية الواقدي الأكثر تفصيلاً للأحداث من رواية ابن سعد، لوجدنا قرائن تُقوّي تحديد ابن سعد لها بشهر شوَّال من السَّنة السابعة أي بعد غزوة خيبر.

فقوله مثلاً في بداية روايته: «**قدم رجل من أشجع، يُقال له حُسَيْل ابن نويرة**[2]**، وقد كان دليل النَّبيِّ ﷺ إلى خيبر... الخ**»[3].

(١) زاد المعاد ٣/٣٥٩، ٣٦٣.

(٢) حُسَيل - بالتصغير - ويقال بالتكبير، ابن خارجة، وقيل: ابن نويرة الأشجعي، وحكى ابن منده أنَّه يُقال فيه: حُسَيْن - بالنون أيضاً - والذي يظهر أنَّه آخر، وروى الطبراني وغيره من طريق إبراهيم بن خويصة الحارثي، عن خاله معن بن حَوِيَّة - بفتح الحاء المهملة، وكسر الواو، وتشديد التحتانية - عن حُسَيل بن خارجة الأشجعي قال: قدمت المدينة في جلب أبيعه، فأُتي بي النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: يا حُسَيْل ! هل لك أن أُعطيك عشرين صاعاً تمراً على أنْ تَدُلّ أصحابي على طريق خيبر؟ ففعلت. قال: فأعطاني. قال: فذكر القصة. قال: فأسلمت. (انظر: الطبراني: معجم ٤/٣٣، ابن حجر: إصابة ١/٣٣٢).

(٣) الواقدي: مغازي ٢/٧٢٨.

ثُمَّ قوله في آخر الرواية: «**قال الحارث: أيها الرجل، قد رأيت ورأينا معك أمراً بَيِّناً في بني النَّضير، ويوم الخندق، وقريظة، وقبل ذلك قينقاع، وفي خيبر: أنَّهم كانوا أعزَّ يهود الحجاز كلّه، يقرُّون لهم بالشجاعة والسَّخاء، وهم أهل حصون منيعة وأهل نخل، والله إن كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم، لقد سار حارثة بن الأوس حيث كانت بهم وبين قومهم ما كانوا، فامتنعوا بهم من النَّاس، ثُمَّ رأيت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة، وكيف أُديل عليهم. قال عُيَيْنَة: هو والله ذاك، ولكن نفسي لا تُقرّني... الخ**»[1].

كُلُّ ذلك يُعدّ قرائـــن قويـــة على أنَّ هـــذه السريـــة كانت بعد خيـــبر. والله تعالى أعـــلم.

(١) الواقدي: مغازي ٢/٧٣٠.

المطلب الثالث: سـبب السريـة:

ذكر أهل المغازي الذين رووا أخبار هذه السرية أنَّ السبب الذي أهاج هذه السرية، هو ذلك التقرير المهم الذي جاء بــه عين النَّبيِّ ﷺ في منطقة خيبر وما جاورها، ودليله إليها من قبل، حُسَيْل بن نويرة الأشجعي، عن التحرُّكات العدوانية التي يقوم بها زعيم قوي ومؤثِّر من زعماء قبيلة غطفان، هو عُيَيْنة بن حصن الفزاري، ومحاولته حشد جمعٍ من غطفان في منطقة الجناب القريبة من خيبر، استعداداً للزَّحف إلى رسول الله ﷺ، أو الإغارة على بعض أطراف الدولة الإسلامية(١).

وبما أنَّ عُيَيْنَة بن حصن قد كانت له سابقة من قبل مع المسلمين، كانت سبباً في غزوة ذي قَرَد(٢)، لذلك أخذ رسولُ الله ﷺ تقرير حُسَيْل مأخذ الجد، وسارع ببعث هذه السرية لضرب ذلك الحشد في عُقْرِ داره، قبل أن تستكمل استعداداهم للتحرُّك ثُمَّ الهجوم، كما فعلوا من قبل.

والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الواقدي: مغازي ٧٢٨/٢، ابن سعد: طبقات ١٢٠/٢، الطبري: تاريخ ٣/ ٢٣.

(٢) في السنة السادسة أغار عُيَيْنَة بن حصن، وابنه عبد الرحمن في فوارس من غطفان على لقاح النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم التي كانت في الغابة، فقتلوا أحَد الرّعاة، واستاقوا اللقاح، فنذر بهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبعض الصحابة، ولحقوا بهم واستنقذوا اللقاح.

المطلب الرابع: ســـير الأحـــداث:

في شهر شوَّال من السنة السابعة من مُهَاجر رسول الله ﷺ:

[١] «**قدم رجل من أشجع، يُقال له، حُسَيْل بن نويرة، وقد كان دليل النَّبِيِّ ﷺ إلى خيبر، فقال له رسول الله ﷺ: من أين يا حُسيل؟ قال: قدمت من الجناب، فقال رسول الله ﷺ: ما وراءك؟ قال: تركت جمعاً من غطفان بالجناب، وقد بعث إليهم عُيَيْنة يقول لهم: إمَّا تسيروا إلينا وإمَّا نسير إليكم، فأرسلوا إليه أن سِرْ إلينا حتَّى نزحف إلى محمَّدٍ جميعاً، وهم يريدونك، أو بعض أطرافك**»(١).

وكعادته ﷺ في استباق الأحداث، وسياسته المتبعة مع الأعداء عامَّة، والأعراب خاصَّـــة، بالتحرُّك سريعاً للقضاء على قُوَّة العدو، ووئدها في مهدها، قبل أن تستفحل وتنتشر، ولأنَّ لِعُيَيْنَة سابقة من هذا النوع من قبل، سارع النَّبِيُّ ﷺ باستدعاء صاحبيه، ووزيريه (أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق رضي الله عنهما)، وشاورهما في الأمر:

---

(١) أخرجه الواقدي (مغازي ٧٢٨/٢)، عن يحيى بن عبد العزيز عن بشير بن محمّد عن عبد الله بن زيد، وسنده فيه رجال غير معروفين. كما أنّ فيه انقطاعاً بين بشير بن محمّد وبين قوله: قدم رجل من أشجع. فإنه لم يدرك النّبيّ ﷺ. ورواه نقلاً عن الواقدي كُلّ من الطبري (التاريخ ٢٣/٣)، والبيهقي (الدلائل ٣٠١/٤)، وابن كثير (البداية ٢٢٣/٤)، والذهبي (التاريخ ٤٥١).

[٢] «فقالا جميعاً: ابعَث بشير بن سعد ! فدعا رسول الله ﷺ بشيراً، فعقد له لواء، وبعث معه ثلاثمائة رجل، وأمرهم أن يسيروا الليل، ويكمنوا النّهار، وخرج معهم حُسيل بن نويرة دليلاً»(١).

[٣] «فساروا الليل، وكمنوا النهار، حتّى أتوا إلى يمن وجبار، وهي نحو الجناب، والجناب يعارض سلاح، وخيبر ووادي القرى، فنزلوا بسلاح(٢)، ثُمَّ دنوا من القوم»(٣).

---

(١) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٢) قال ياقوت: سلاح كأنه على وزن قطام، موضع أسفل من خيبر، وسلاح ـــ أيضاً ـــ، ماء لبني كلاب شبكة ملحة لا يشرب منه أحد إلاّ سلح (معجم ٣/٢٣٣).

وقال العباسي: أخرج أبو داود، والطبراني بسندٍ جيِّدٍ حديث ابن عمر (يوشك المسلمون أن يخلصوا إلى المدينة حتى يكون أدنى مسالحهم بسلاح).

قلت: أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود ١١/٣٢١). قال: ((حدّثتُ عن ابن وهب، قال: أخبرنا جرير بن حازم عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، قال: قال سول الله ﷺ: ...، ثُمَّ ذكره نحوه. قال المنذري: فيه مجهول؛ لأنَّ أبا داود قال: حُدِّثت، ولم يبيِّن مَنْ حدَّث به. ويقول البلادي: تقع سلاح إلى طرف قرية العشاش من الجنوب. وهي من قرى بلدة خيبر. وهي على ربوة ترتفع عن مجرى السيل. فُقْر عين سلاح القديمة مجصَّصة ظاهرة. وظلّت سلاح محطّة للحُجّاج حتّى تحوَّل الطريق الشامي إلى تبوك. فالعُلا، فاندثرت. ثُمَّ بنى بعض العنَزيين عشاشاً بجوار البلد القديم فسُمِّيَت العشاش. ولمّا عُبِّدَ طريقُ الحجاز أخذت العشاش في الانتعاش وحفر أهلها آباراً على فُقُر عين سلاح القديمة. ولكنَّ الماء ليس غزيراً. وعليها اليوم زراعة وبها مقاه ومحطّات محروقات.(رحلات في بلاد العرب٢٦-٢٨).

(٣) أخرجه ابن سعد (طبقات ٢/١٢٠) مُعَلّقاً بلفظ: قالوا، عن شيوخه.

[٤] «**فقال لهم الدَّليل: بينكم وبين القوم ثُلُثا نهار أو نصفه، فإن أحببتم كمنتم**[١]**، وخرجت طليعة لكم حتى آتيكم بالخبر، وإن أحببتم سرنا جميعاً. قالوا: بل نقدِّمك، فقدَّموه فغاب عنهم ساعة، ثُمَّ كرَّ**[٢] **عليهم، فقال: هذا أوائل سرحهم، فهل لكم أن تغيروا عليهم؟ فاختلف أصحاب النَّبِيِّ ﷺ فقال بعضهم: إنْ أغرنا الآن حذِرَنَا الرجال والعَطَن**[٣]**. وقال آخرون: نغنم ما ظهر لنا ثُمَّ نطلب القوم**»[٤].

ثُمَّ إنَّهم أغاروا على سرح القوم، فأصابوا نعماً كثيرة ملأوا منها أيديهم:

[٥] «**وتفرَّق الرعاء فحذَّروا الجمع، فتفرَّقوا ولحقوا بعلياء بلادهم، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتَّى أتوا محالّهم فيجدها وليس فيها أحد**»[٥].

[٦] «**فرجع بالنعم حتَّى إذا كانوا بسلاح راجعين لقوا عَيْناً**[٦] **لعُيينة فقتلوه، ثُمَّ لقوا جمع عيينة، وعيينة لا يشعر بهم، فناوشوهم، ثُمَّ**

---

(١) كمن له: استخفى، والكمين: القوم يكمنون في الحرب. (القاموس: كمن).

(٢) كرَّ عليه: عطف. (القاموس: كرَّ).

(٣) العَطَن - محرَّكـــة - وطن الإبل ومبركها حول الحوض، ومربض الغنم حول الماء.

(٤) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٥) من رواية ابن سعد عن شيوخه، وقد سبق تخريجها برقم [٣].

(٦) العين: الجاسوس.

انكشف جمع عيينة، وتبعهم أصحاب النَّبِيِّ ﷺ فأصابوا منهم رجلاً أو رجلين فأسروهما أسراً»(١).

ونفَّذ عُيينة بجلده هارباً، بعد أن دخله الرعب من المسلمين، فانهزم على فرس له عتيق يعدو به عدواً سريعاً، لا يلوي على شئ، حتَّى إنَّ حليفة الحارث بن عوف المري لَمَّا استوقفه ليسأله عن شأنه، ردَّ عليه:

[٧] **«لا ما أقدرُ! الطلب خلفي! أصحاب محمَّد! وهو يركض. قال الحارث بن عوف: أما لك بعد أن تبصر ما أنت عليه؟ إنَّ محمَّداً قد وطئ البلاد وأنت مُوضِعٌ في غير شيء. قال الحارث: فتنحيت عن سَنَن(٢) خيل محمَّد حتَّى أراهم ولا يروني، فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل، ما أرى أحداً – وما طلبوه إلاَّ الرعب الذي دخله. قال: فلقيته بعد ذلك، فقال الحارث: فلقد أقمت في موضع حتى الليل، ما رأيت من طلب. قال عيينة: هو ذاك، إني خفتُ الإسار، وكان أثري عند محمَّدٍ ما تعلم في غير موطن. قال الحارث: أيُّها الرجل، قد رأيت ورأينا معك أمراً بيِّناً في بني النضير، ويوم الخندق، وقريظة، وقبل ذلك قينقاع، وفي خيبر، إنَّهم كانوا أعزّ يهود الحجاز كُلِّه، يُقِرُّون لهم بالشجاعة والسَّخاء، وهم أهل حُصون منيعة، وأهل نخل، واللهِ إن كانت**

(١) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٢) سَنَنُ الطريق، مثلثة وبضمتين: نهجه وجهته. (القاموس: سن).

العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم، لقد سار حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومهم ما كان فامتنعوا بهم من النَّاس، ثُمَّ قد رأيت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة وكيف أُديل عليهم. فقال عيينة: هو واللهِ ذاك، ولكنَّ نفسي لا تُقرِّني. قال الحارث: فادخل مع محمَّد، قال: أصير تابعاً! قد سبق قومٌ إليه فهم يزرُون[1] بمن جاءَ بعدهم يقولون: شهدنا بدراً وغيرها. قال الحارث: وإنَّما هو على ما ترى، فلو تقدَّمنا إليه لكُنَّا من عِليَة أصحابه، قد بقي قومُــه بعدهم منه في مُوادعَة وهو مُوقِعٌ بهم وقعةً، ما وُطِئَ له الأمْرُ. قال عُيينة: أرى واللهِ ! فاتَّعدا يُريدان الهجرة والقُدوم على النَّبيِّ ﷺ إلى أن مرَّ بهما فروة بن هبيرة القُشَيْري يُريد العُمرة وهما يتقاولان، فأخبراه بما كانا فيه وما يُريدان. قال فروة: لو استأنيتم حتى تنظروا ما يصنع قومه في هذه المُدَّة التي هُم فيها وآتيكم بخبرهم! فأخَّروا القدوم على رسول الله ﷺ، ومضى فَرْوَة حتَّى قدم مكَّة فتحسَّب من أخبارهم، فإذا القوم على عداوة النَّبيِّ ﷺ، لا يريدون أن يدخلوا طائعين أبداً، فخبَّرهم بما أوقع محمَّد بأهل خيابر[2]. قال فروة:

---

(١) زرى عليه زرياً وزراية ومزرية ومزراة وزُرياناً بالضم: عابه، وعاتبه. (القاموس: زرى).

(٢) خيـــــبر.

وقد تركت رؤساء الضاحية على مثل ما أنتم عليه من العداوة لُمحَمَّد. قالت قريش: فما الرأي، فأنت سيِّد أهل الوبر؟ قال: نقضي هذه المدَّة التي بينكم وبينه، ونستجلب العرب، ثُمَّ نغزوه في عُقْرِ داره، وأقام أياماً يجول في مجالس قريش، ويسمع به نَوْفَل ابن معاوية الدِّيَليِّ، فنَزل من باديته فأخبره بما قال لقُرَيْش، فقال نَوْفَل: إذاً لأجِدُ عندكم شيئاً! قدمت الآن لمقدمك حيث بلغني، ولنا عدوٌّ قريبٌ دارُه، وهم عَيْبَة نُصْح محمَّد لا يغيبون عليه حرفاً من أُمورنا، قال: من هُم؟ قال: خُزاعة، قال: قَبُحَت خزاعة؛ قعدت بها يمينها! قال فروَة: فماذا؟ قال: استنصرْ قُرَيْشاً أن يعينونا عليهم، قال فروة: فأنا أكفيكم. فلقي رؤساءَهم، صفوان ابن أُمَيَّة، وعبد الله بن أبي ربيعة، وسُهَيْل بن عمرو، فقال: ألا ترون ماذا نزل بكم! إنَّكم رضيتم أن تدافعوا مُحَمَّداً بالراح. قالوا: فما نصنع؟ قال: تُعينون نَوْفَل بن مُعاوية على عدوِّه وعدوِّكم. قالوا: إذاً يغزونا محمَّدٌ فيما لا قِبَلَ لنا به فيوطئنا غَلَبَةً، وننْزِل على حُكْمِه، ونحن الآن في مُدَّة وعلى ديننا. فلقي نوفل ابن معاوية، فقال: ليس عند القوم شيء، ورجع فلقي عيينة والحارث فأخبرهم، وقال: رأيت قومه قد أيقنوا عليه فقاربوا الرجل وتدبَّروا الأمر، فقدَّموا رِجْلاً وأخَّروا أُخرى»[1].

---

(١) من روايــة الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم [١].

المطلب الخامس: الأحكام المستنبطة والدروس المستفادة:

- مشروعية اتخاذ الأدلاَّء من غير المسلمين وإغرائهم بالمال لمساعدة المسلمين، وفي قصة الهجرة، وقصة هذه السرية، وفتح خيبر دليلٌ على ذلك.
- مشروعية اتخاذ العيون للتجسس على الأعداء، وتزويد المسلمين بأخبارهم وتحركاتهم ضد المسلمين، وقصة هذه السرية، وفتح مكَّة، وغير ذلك من قصص السرايا والغزوات والأخبار التي تصل تباعاً إلى النَّبيّ ﷺ عن تحرُّكات الأعداء وحشودهم دليلٌ على ذلك.
- إنَّ استخدام المسير الليلي كمسير اقترابي[١] إلى أرض العدو، واتخاذ الدليل طليعةً في أرض العدو، يُعَدُّ من الأُسس العملية المهمَّة للمباغتة، وهي أساليب تُعَدُّ من مبتكرات الرسول القائد ﷺ.
- استمرار نجاح سياسة النَّبيّ ﷺ العسكرية الهجومية في حربه مع أعدائه من الأعراب بضرب حشودهم في قواعدها، والإغارة عليهم قبل استكمال استعداداتهم، مِمَّا كان له أبلغ الأثر في تلك النتائج المدهشة من إدخال الرعب في قلوبهم، والقضاء على مخططاتهم العدوانية – التي كانت موجَّهة ضد المسلمين – في مهدها، وبسط نفوذ المسلمين على أراضيهم، وبالتالي التمهيد للانطلاق فيما وراء ذلك لتحقيق أهداف المسلمين واستراتيجياتهم بعيدة المدى من نشر

---

(١) المسير الاقترابي هو الحركة من القاعدة إلى الهدف. (خطّاب: الرسول القائد ١١٦).

الإسلام خارج نطاق الجزيرة العربية فيما وراء مناطق نفوذ الأعراب.

❁ وضح من خلال هذه السرية، والسرايا قبلها، ذلك الترتيب الذكي الذي كان يتبعه القائد الملهم، الخبير بخبايا الحرب وأمورها الرسول ﷺ وذلك من خلال اختياره الرجل المناسب للمهمَّة المناسبة في المنطقة المناسبة، ذلك الاختيار كان يتم وفق معايير خاصّة تتعلَّق بقدرات الرجل المختار، وخبرته في المنطقة المبعوث إليها، ومعرفته التامة بها وبأهلها. فكما رأينا في هذه السرية وما قبلها من السرايا في منطقة خيبر وما حولها، كان المبعوث على رأسها في غالب الأحيان هو بشير بن سعد الأنصاري، ــ رضي الله تعالى عنه، ــ فالتركيز على بشير دون غيره من الصحابة. وغالب بن عبد الله الليثي ــ رضي الله تعالى عنه ــ، وغيرهما من القادة لم يكن من فراغ، وإنَّما كان بناءً على ما كان يتمتع به أولئك من قدرات أهليتهم لذلك ممَّا ذكرنا، والله تعالى أعلم.

❁ إنَّ في استشارة النَّبِيِّ ﷺ لصاحبيه أبي بكر الصِّدِّيق ــ رضي الله تعالى عنه ــ، وعمر بن الخطَّاب ــ رضي الله تعالى عنه ــ، لها أكثر من دلالة!. فمن كون ذلك يدل على فضلهما ومكانتهما ومنْزلتهما الرفيعة عند النَّبِيِّ ﷺ، حتَّى إنَّهما كانا بمثابة وزيرين له، وكانا من ألصق النَّاس به في كُلِّ أموره، في سفره وإقامته، في سلمه وحربه، وكان دائم الاستشارة لهما، المصاحب لهما في كُلِّ الأوقات، وكان

دائم الحديث عنهما، كما يقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «وحسبت أني كثيراً أسمع النَّبيّ ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[1]. وقد عرف الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ذلك لهما، فكان أن قدَّموهما على غيرهما في الخلافة.

❁ أيضاً يدل ذلك على مكانة الشورى في الإسلام، باعتبار أنَّ المُشَرِّع ﷺ كان يُطَبِّقها في كل زمان ومكان، وذلك تنفيذٌ لأمر الباري ـ عزَّ وجلَّ ـ له ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩]. وتعليمٌ لأمَّته من بعده بتطبيق هذا المبدأ الهام والحيوي في حياتهم بمختلف شؤونها، وما أصاب المسلمين من الضياع وتسلُّط الأعداء إلاَّ عندما تركوا هذا المبدأ، واستبدَّ قادتهم بالرأي دونهم، فكان ذلك وبالاً على الأمَّة بأسرها.

❁ كذلك يدل على ما كان يتمتَّع به الشيخان الجليلان ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، من الحنكة والمعرفة بأمور الحرب والسياسة، حيث نصحا النَّبيَّ ﷺ بالإسراع بإرسال سرية إلى تلك المنطقة، يقودها رجلٌ مُحَنَّكٌ ذو خبرة ومعرفة بأحوالها وأهلها.

والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (الصحيح: ١٩٩/٤).

المبحث الثالث: سرية كعب بن عمير الغفاري ﷺ إلى ذات أطلاح.

وفيـــه مطـــالب:

المطلب الأوَّل: التعريف بذات أطـــلاح.

المطلب الثاني: تاريـــخ السريـــة.

المطلب الثالث: ســـبب السريـــة.

المطلب الرابـــع: ســـير الأحـــداث.

المطلب الخامس: الدروس المستفـــادة.

المطلب الأوَّل: التعريف بذات أطـــلاح:

قال ياقوت: أطلاح - بالحاء المهملة - موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة[١].

وقال البكري : من أرض الشام[٢].

وقال ابن سعد: وهي وراء وادي القرى[٣].

وقال الواقدي: ذات أطلاح من أرض الشام[٤].

وذكر موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأبي الأسود، عن عروة قالا: ذات أطلاح من البلقاء[٥].

وأخرج البيهقي، عن موسى بن عقبـــة، وعن ابن شهاب، وعن عروة قالوا: ذات أباطح من البلقاء[٦].

قال البلادي ـــ تعليقاً على قولهم ـــ: ((ذات أطلاح من أرض الشام)): كذا قال: ((من أرض الشام))، وكان الأقدمون يرحمهم الله يلجأون إلى مثل هذا التحديد الواسع إذا غُمَّ عليهم المكان، وكانت أرض الشام عندهم ما تجاوز تيماء شمالاً، ـــ أي على بعد نيِّف وستمائة ـــ كيل شمال

(١) معجم البلدان ٢١٨/١.

(٢) معجم ما استعجم ٨٩٣/٣.

(٣) طبقات ١٢٧/٢.

(٤) مغازي ٧٥٢/٢.

(٥) انظر: ابن حجر: إصابـــة ٣٠١/٣.

(٦) الدلائل ٤٦٢/٥ - ٤٦٤.

المدينة، وهي باتِّفاق الجغرافيين من أرض الحجاز لا من أرض الشام حيث عدَّ بعضهم معان من الحجاز، و لم أجد من يعرف ذات أطلاح اليوم(١).

قلت: كأنَّ البلادي لم يطَّلِع على روايـــة عروة، والزهري، موسى بن عقبة عند البيهقي، وعند ابن حجر، حيث حددوا مكانها بالبلقاء، والبلقاء كما هو معروف عند الجغرافيين والبلدانيين، ومنهم البلادي نفسه(٢)، أنَّها من أرض الشام.

قال أحمد عادل كمال: ذات أطلاح موقع بأطراف الشام من وراء وادي القرى لم نستطع تحديد مكانه بدقَّة على الخريطة، غير أنـــَّـه بلا ريب كان في نواحي مؤتـــة كما يُفْهَم من الأحداث(٣).

قلت: وهو كذلك، حيث ذكر بعض المؤرخين أنَّ هذه السرية كانت من الأسباب المباشرة لغزوة مؤتـــة، ورُبَّما كان المكان الذي التقى به أصحاب السرية بجمع قضاعة، وكانت عنده تلك الملحمة التي راح ضحيتها أولئك الدُّعاة الأبرار، أقول ربَّما كان المكان غير مأهول قديماً، أو رُبَّما تغيَّر اسمه مع الزمن، فأصبح لا يُعْرَف بالاسم القديم. والله تعالى أعلم.

---

(١) معجـــم ٣١.

(٢) يقول البلادي في (المعجم ٤٩): البلقاء، إقليم من أرض الشام في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو الإقليم الذي تتوسطه مدينة عمان عاصمة الأردن، ومن أشهر مدن هذا الإقليم: عمان، والسَّلْط ومادبا والزرقاء والرصيفة، يتَّصِل بـــه في الجنوب إقليم الشراة الذي قاعدته معان، وفي الشمال إقليم حوران.

(٣) الطريق إلى دمشق ١٤٤.

المطلب الثاني: تاريـــخ السريـــة:

أرَّخها الواقدي، وابن سعد، بشهر ربيع الأوَّل سنة ثمانٍ من الهجرة(١).

وتبعهما في ذلك نقلاً عنهما كُلٌّ من: ابن سيد الناس، والذهبي، والشامي(٢).

وذكرها الطبري نقلاً عن الواقدي في أحداث السنة الثامنة، ولكن دون تحديد الشهر(٣).

وذكرها ابن كثير ــ أيضاً ــ عن الواقدي دون تحديد تاريخها، ولكنَّه ذكرها قبل غزوة مؤتـــة مباشرةً(٤).

أمَّا البلاذري، والقسطلاني، فتبعا الواقدي، وابن سعد، ولكن دون الإشارة إلى مصدر معلوماتهما(٥)، وإن كانت في الغالب نقلاً عنهما.

والله تعالى أعلم.

---

(١) مغازي ٢/٧٥٢، طبقات ٢/١٢٧.

(٢) عيون ٣/١٩٧، تاريخ – قسم المغازي ٤٧٧، سبل ٦/٢٢٧.

(٣) تاريخ ٣/٢٩.

(٤) بدايـــة ٤/٢٤٠ – ٢٤١.

(٥) أنساب ٣٨٠، المواهب ١/٥٤٨.

ولم يذكر عروة، والزهري، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق لها تاريخاً، كونهم ذكروها عرضاً في سياق أخبار السرايا والبعوث، ورتَّبها ابن إسحاق بعد غزوة مؤتـــة مباشرةً[١].

وشذَّ خليفة بن خياط مِن بين أهل المغازي، فذكرها ضمن السرايا والبعوث التي كانت في سنة ستٍ من الهجرة[٢].

(١) انظر: ابن هشام: سيرة ٦٢١/٤، البيهقي: دلائل ٤٦٨/٥.

(٢) تاريخ ٧٩.

المطلب الثالث: سـبب السريـة:

قال الحلبي: لم أقف على السبب الذي اقتضى البعث إلى ذلك المحل[١].

قلت: لم تُصَرِّح الروايات التي نقلت خبر هذه السرية بالسبب الذي مِن أجله أُرسلت إلى تلك المنطقة التي تقع في عمق المناطق الخاضعة لنفوذ القبائل الحليفة والموالية للروم من قضاعة وغيرها.

ولكن يمكن أن نستشِفَّ السبب من خلال بعض أحداثها: فمثلاً ما ورد في الروايات حول قوَّة السرية، وأنَّها كانت بقوَّة خمسة عشر رجلاً فقط، يثير لدينا تساؤلاً مفاده: **كيف تكون سرية قتالية مبعوثة إلى تلك المناطق البعيدة عن قاعدة المسلمين، ومناطق نفوذهم بقوة خمسة عشر رجلاً فقط؟!**

إلاَّ إذا كانت لغرضٍ آخر غير القتال، **إذاً ما هو ذلك الغرض؟**.

قال في الخبر: ((**فوَجَدُوا جَمْعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم... الخ**))[٢].

فقوله: ((**فدعوهم إلى الإسلام**))، يعطينا دلالة قوية أنَّ السرية كانت عبارة عن بعثة دعوية لأهل تلك المنطقة، وربَّما يقول قائل: ((**إنَّ مِن سُنَّة القتال في الإسلام أن تكون الدَّعوة قبل القتال**)). وذلك

(١) السيرة ٣/١٩٨.

(٢) انظر: الواقدي: مغازي ٢/٧٥٣، ابن سعد: طبقات ٢/١٢٧.

اعتراضٌ وجيهٌ يمكن أن نُسَلِّم به، لولا القرينة التي ذكرناها سابقاً، وهي عدم التسليم بفرضية بعث النَّبيِّ ﷺ سرية قتالية إلى ذلك العمق من أراضي العدو بهذه القوَّة الضئيلة جداً، لأنَّ ذلك يعد مغامرة عسكرية غير محسوبة، وهو الأمر الذي لم نعهده من الرسول ﷺ وهو القائد العسكري المُحَنَّك الذي كانت خطواته العسكرية ضد أعدائـــه على اختلاف نوعياتهم محسوبةً بدقـــةٍ، ومنَظَّمَةٌ ومُخَطَّطٌ لها تخطيطاً مسبقاً ﷺ.

إذاً كانت البعثة دعويـــة بحتة، ولكن الأعراب الذين كانت تمتلئ قلوبهم غِلاًّ وحِقْداً ضد المسلمين، لم يكونوا ليدعوا هذه الفرصة بالبطش والفتك بالمسلمين تفلت من أيديهم، فاستفزُّوهم وألجأوهم للقتال، دفاعاً عن أنفسهم، ليكون في ذلك ذريعةً للفتك بهم وهم قِلَّة، وحَدَثَ ما حَدَثَ، والله تعالى أعلم.

يقول أحمد عادل كمال: «ولم يكن بَعْث كعب وأصحابه للغزو، وإنَّما كان للدعوة، وقُوبِلَ الدُّعاة بالسيف والنبل حتى استُشْهِدُوا»[1].

(١) الطريق إلى دمشق ١٤٥.

المطلب الرابـــع: ســـير الأحـــداث:

[١] «في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ»(١).

[٢] «بعث النَّبيُّ ﷺ كعب بن عمير الغفاري(٢)، نحو ذات أطلاح من البلقاء»(٣) في بعثة دعوية، مكونة من:

[٣] «خمسة عشر رجلاً، حتَّى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً»(٤).

[٤] «وكانوا من قضاعة(٥)، ورأسهم رجل يُقال له: سدوس»(٦).

---

(١) من رواية ابن سعد (طبقات ١٢٧/٢) عن شيخه الواقدي بسنده عن الزهري.

(٢) كعب بن عمير الغفاري. قال أبو عمر: من كبار الصحابة، بعثه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مرَّة بعد مرَّة أميراً على السرايا. وذكر ابن إسحاق أنــَّه أُصيب هو وأصحابه في سريته إلى ذات أطلاح. وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة.
(انظر:ابن عبد البر:استيعاب،هامش الإصابة٢٩٢/٣،وابن حجر:إصابـــة ٣٠١/٣).

(٣) من رواية موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأبي الأسود عن عروة.
(انظر: ابن حجر، الإصابـــة ٣٠١/٣).

(٤) من رواية ابن سعد عن الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٥) قُضَاعة - بضم القاف وفتح الضاد المعجمة - قال الجوهري: هو قضاعة بن مالك ابن حمير، هذا هو المشهور في نسبه أنــَّه من قحطان، وعليه جرى ابن الكلبي، وابن إسحاق، وغيرهما. وذهب بعض النَّسَّابين إلى أنَّ قُضَاعة من عدنان دون قحطان، وقال: هو قُضَاعة بن معد بن عدنان. قال ابن عبد البر: وعليه الأكثرون. وقُضَاعة قبيلة كبيرة البطون المشهورة من قبائل العرب.(القلقشندي:قلائد الجمان٤١-٤٢).

(٦) من رواية الواقدي عند الطبري (تاريخ ٢٩/٣).

[٥] **«فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبال»**(١) استفزازاً لهم، واستدراجاً للقتال غير المتكافئ بين الطرفين، نظراً لكثرة القضاعيين، واستعدادهم المبكر(٢).

ولكن الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ اضطروا في النهاية للدِّفاع عن أنفسهم، فقاتلوا قتالاً شديداً مريراً، ولكن كثرة القضاعيين لم تتح لهم الفرصة في قتالٍ متكافئٍ فسقطوا شهداء على أرض ذات الطلح بعد أن سطَّروا بدمائهم الزكية ملحمة جهادية رائعة.

[٦] **«وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلمَّا برد عليه الليل تحامل(٣) حتَّى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشقَّ ذلك عليه، وهمّ بالبعث إليهم، فبلغه أنَّهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم»**(٤).

---

(١) من رواية الواقدي (مغازي ٢/٧٥٣) بسنده عن الزهري.

(٢) يذكر الواقدي في رواية أخرى، أنّــه حينما دنا كعب وأصحابُه من القوم، رآهم عيناً لهم، فأخبرهم بقلّة أصحاب النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فجاءوا على الخيول فقاتلوهم (مغازي ٢/٧٥٣).

(٣) تحامل: تكلّف ما لا يطيق. (القاموس: حمل).

(٤) من رواية ابن سعد عن الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم [١].

المطلب الخامس: الدروس المستفـــادة:

لقد كشفت هذه السرية عمَّا تخبئه الوثنية مِن غِلٍّ وحقدٍ دفينٍ على الإسلام وأهله، غِلّ عصف بكُلِّ المبادئ، وحقد ألغى القِيَم الإنسانية.

فهؤلاء قوم هداة جاءوا لنشر الخير والسلام بين مَن قتلوهم، فكان جزاؤهم الغدر بهم، وقتلهم جميعاً بلا هوادة ولا رحمــــة.

وقد يقول القائل: إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ لَمْ يتوقَّف النَّبيُّ ﷺ عن دعوة الأعراب إلى الإسلام، طالما أنَّهم لا يحترمون القيم والمبادئ، ولا يمكن الوثوق بهم؟.

قلنا: الدعوة إلى الله لا يمكن أن تقف في أرضٍ ما، أو تتعثر بسبب ما يعترض طريقها من بعض الحوادث التي تعيق تقدمها.

وهناك حقيقة يجب ألاّ تغيب عن أذهاننا، وهي أنَّ طريق الدعوة إلى الله تعالى منذ بدأت حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، لم يكن في يومٍ من الأيام مفروشاً بالورود، فكان لابُــدَّ من تقديم التضحيات في طريقها الطويل الشاق.

وقد وضَّح النَّبيُّ ﷺ هذه الحقيقة للصحابة ــــ رضي الله تعالى عنهم ــــ حاثّاً إياهم على الصبر والتحمُّل، وتقديم التضحيات، وذلك منذ فترة مبكرة جداً، وبالتحديد في مكـــَّة حينما أثقلت قريش من وطئتها على المسلمين المستضعفين في مكـــَّة، فجاءوا يستنجدون بالنَّبيِّ ﷺ.

يقول خبَّاب بن الأرت ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ: أتيت النَّبيَّ ﷺ وهو متوسِّد بردَةً وهو في ظِلّ الكعبة - وقد لقينا من المشركين شِدَّة - فقلت:

يا رسول الله ! ألا تدعو لنا؟ فقعد وهو محمَّرٌ وجهه، فقال: «**لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاطِ الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق اثنتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمَّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلاَّ الله**»(١).

وقد عرف الصحابة ـــ رضي الله تعالى عنهم ـــ فيما بعد هذا الأمر، وفقهوه جيداً، لذلك نجدهم كانوا يتسابقون للانخراط في البعثات الدعوية كما في الرجيع، وبئر معونة، وغيرها من البعثات والسرايا النبوية التي كانت أهدافها جميعاً نشر الدعوة إلى الله ـــ عزَّ وجلَّ ـــ، وذلك دون خوف أو وجل من العواقب التي كانوا يتوقعونها، بل كانوا يتحرَّقون لملاقاتها باندفاعٍ أدهش الأعداء قبل الأصدقاء، مِمَّا كان له أكبر الأثر في نجاح مسيرة الدَّعوة وانتشارها بسرعة مذهلة فاقت كُلّ التوقعات، وصدق الله القائل في مُحْكَمِ كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. [سورة الصّف، الآية: ٩].

(١) أخرجه البخاري (انظر: فتح الباري ٧/١٦٥).

وهكذا فقد بيَّنت هذه السرية مقدار ضخامة التضحيات الجِسَام التي كان يُقَدِّمها سلفنا الصالح ــ رضي الله تعالى عنهم ــ، في سبيل نشر الدعوة إلى الله ــ عزَّ وجلَّ ــ، تلك التضحيات العظيمة تكرَّرت في أكثر من مناسبة، وعلى أكثر من موقع، فبالأمس فقدت الدَّعوة فرساناً لها أبراراً في الرجيع، وبئر معونــة، واليوم في ذات أطلاح، وغداً في مكانٍ آخر.. وهكذا دواليك دون أن تتوقَّف الدَّعوة، إذ لابُــدَّ من تبليغ الدَّعوة إلى الله ــ عزَّ وجلَّ ــ مهما كانت التضحيات.

والله تعالى أعلم.

الباب الثاني: غـــزوةُ مؤتـــــــــــــة

ويحتـــوي على سبعة فصول:

الفصـــــل الأوَّل: اسم المعركـــة، وموقعهـــــا.

الفصـــل الثاني: أسباب المعركـــة، وتاريخها.

الفصـــل الثالث: حشـــد القـــوات الإسلاميـــة.

الفصل الرابع:حشد القوات الرومانية،وحلفائهامن القبائل العربية المتنصرة.

الفصل الخامس: ســـير الأحـــداث.

الفصل السادس: نتائـــج المعركـــة.

الفصل السابع:الأحكام المستنبطة،والدروس المستفادة من الغزوة.

الفصـــل الأوَّل: اسم المعركــة، وموقعهـــا

وفيـــه مبحثــــان:

المبحث الأوَّل: اســم المعركــة.

المبحث الثانــي: موقــعــهـا

المبحـــث الأوَّل: اســـم المعركـــة:

اختلف الرواة والإخباريون والمؤرِّخون، ومَن نَقَلَ عنهم من المتأخرين مِمَّن كتب عن مؤتة في هذه المعركة العظيمة: هل هي غزوة، أو سرية؟ فبينما وردت تسميتها في بعض الروايات بغزوة جيش الأمراء(١)، أطلق عليها بعضهم وقعة مؤتة(٢)، فيما تردَّد آخرون بين كونها غزوة أو سرية(٣)، على أنَّ أكـثر أهل المـغازي والسيـر(٤)، ومَن تبعهم مـن

(١) قال الزرقاني (شرح ٢/٢٦٧): وفي بعض الروايات تسميتها غزوة جيش الأُمراء، وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها، وما لاقوه من الحرب الشديدة مع الكُفَّار.
قلت: وردت هذه التسمية في رواية أبي قتادة رضي الله عنه التي أخرجها أحمد، وغيره، وسوف يتم تخريجها لاحقاً إن شاء الله تعالى، كما عنْوَن ابن خلدون للمعركة بذلك في تاريخه ٢/٤٥٥.

(٢) انظر (ابن خياط: تاريخ ٨٦، الذهبي: العبر ١/٩).

(٣) قال البنا (الفتح الرباني ٢١/١٣٦) باب ما جاء في سرية زيد بن حارثة إلى مؤتـــة، من أرض الشام، في جمادى الأولى سنة ثمان، ويقال لها غزوة مؤتـــة.
وعنْوَن لها ابن كثير (البداية ٤/٢٤١) بغزوة مؤتـــة، ثُمَّ قال: وهي سرية زيد بن حارثة... الخ.

(٤) انظر(ابن هشام: سيرة ٢/٣٧٣، الواقدي: مغازي ٢/٧٥٥، الطبري: تاريخ ٣/٣٦، ابن عبد البر:درر٢٢٢ ،أبونعيم:دلائل٢/٥٢٨، البيهقي:دلائل٤/٣٥٨، ابن الأثير: الكامل٢/٢٣٤، ابن سيد النَّاس: عيون ٢/١٩٨، ابن حزم: جوامع ٢٢٠، السهيلي: الروض ٧/٣١، ابن القيم: زاد ٢/١٥٥، الأشخر اليماني: بهجة ١/٣٩٠).

المحدِّثين[١] جزموا بأنَّها غزوة.

ربَّما لأنَّ الجيش الذي شارك فيها أكبر بكثير من العدد المتعارف عليه في مصطلح السرية[٢]، أو لأنَّ بعض شهود العيان من الصحابة الذين شاركوا فيها سموها بذلك[٣].

وورد في بعض الروايات تسميتها بالسرية[٤]،وجزم بذلك الحلبي[٥].

قلت: وتسميتها بالوقعة، أو جيش الأُمراء، يُعدّ خروجاً من النِّزاع، وحلاً وسطاً، إذ أنَّ تسميتها بالغزوة مخالف لاصطلاح أهل السير والمغازي، واللغة في ذلك،لأنَّه لم يحضرها النَّبيُّ ﷺ،كذلك تسميتها بالسرية لا يتَّفِق مع اصطلاحهم في العدد المتعارف عليه فيها[٦].

والله تعالى أعلم.

---

(١)انظر(ابن أبي شيبة:المصنَّف١٤/٥١٢،البخاري:الصحيح٥/٨٦،الهيثمي:مجمع٦/١٥٦).

(٢) انظر (ابن الأثير: النهاية ٢/٢٦٣، بريك أبو مايلة: السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكـــّة ٤٤).

(٣) وقع ذلك في حديث عوف بن مالك الأشجعي عند مسلم (الصحيح ٤/٢٤)، وعند أبي داود (السنن ٣/١٦٣)، وفي حديث أُمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها عند الحاكم (المستدرك ٣/٤٥).

(٤) انظر: ابن سعد: طبقات ٢/١٢٨، البلاذري: أنساب ١/٣٨٠.

(٥) قال الحلبي (سيرة ٢/٧٩٣): والحق أنَّها ليست من الغزوات، بل من السرايا، لأنـــّه صلَّى الله عليه وسلَّم لم يكن فيها.

(٦) انظر: ابن الأثير: النهاية ٢/٣٦٣، الثعالبي: فقه اللغة ٢١٩ – ٢٢٠، يحي بن علي الخطيب: كتر الحُفَّاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت ٥٠، ابن حجر: فتح ٨/٥٦، اللسان والقاموس، مادَّة (سرا).

المبحث الثاني: موقع المعركة:

قال ابن حجر: مُوْتة - بضم الميم وسكون الواو بغير همز لأكثر الرواة -، وبه جزم المبرد[١]، ومنهم من همزها، وبه جزم ثعلب، والجوهري، وابن فارس، وحكى صاحب الوافي الوجهين، وأمَّا الموتة التي ورد الاستعاذة منها وفُسِّرَت بالجنون فهي بغير همز[٢].

وقال في الروض: مؤتة - مهموزة الواو - قرية من أرض البلقاء بالشام، وأمَّا الموتة -بلا همز- فضربٌ من الجنون، وفي الحديث: أنه ﷺ كان يقول في صلاته: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه)، وفسَّره الراوي فقال: نفثه الشعر، ونفخه الكبر، وهمزه الموتة[٣].

وقال ابن حجر: قال ابن إسحاق: هي بالقرب من البلقاء، وقال غيره: هي على مرحلتين من بيت المقدس[٤].

وقال ابن سعد: هي بأدنى البلقاء، والبلقاء دون دمشق[٥].

وقال البرهان: موضع معروف عند الكرك[٦].

---

(١) قال مغلطاي (الزهر الباسم: الجزء الثاني والعشرين ص ٢٢) قال ابن قرقول: أكثر الرواة لا يهمزونها، وفي أمالي الأخفش: قال أبو العباس المبرد: لا يهمز موتة. وفي الكتاب الوافي، والجامع: يهمز ولا يهمز.

(٢) فتح الباري ٧/٥١٠ - ٥١١.

(٣) السهيلي: الروض ٧/٣١.

(٤) فتح الباري ٧/٥١١.

(٥) الطبقات ٢/١٢٨.

(٦) الحلبي: سيرة ٢/٧٩٣.

وقال ياقوت: ومؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: مؤتـــة من مشارف الشام، وبها كانت تطبع السيوف، وإليها تنسب المشرفية من السيوف[١].

قال الشامي: مَشَارِف- بفتح الميم، وبالشين المعجمة المخفّفة وبعد الألف راء مكسورة، ثُمَّ فاء-،وظاهر كلام ابن إسحاق أنَّها غير مؤتة[٢].

وقال في الزَّهر: وليس كذلك، بل هما اسمان على مكانٍ واحدٍ[٣].

وقال المبرّد: المشرفية سيوف نسبت إلى المشارف من أرض الشام، وهو الموقع الملقَّب بمؤتة الذي قُتِلَ به جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-[٤].

قال ابن السكيت في تفسير قول كثير:

إذا النَّـــاس ساموكم من الأمـــر خطـــّة

لـــها خطمـــة فيها السمـــام المتمثّـــلُ

---

(١) معجم البلدان ٥/٢٢٠.

(٢) قال ابن إسحاق في أثناء حديثه عن المعركة (ابن هشام: سيرة ٣٧٧/٤): فمضى الناس حتَّى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء، يُقال لها: مَشَارِف، ثُمَّ دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يُقال لها: مؤتـــة، فالتقى النَّاس عندها.

(٣) **قلت**: قول ياقوت: قيل مؤتة من مشارف الشام، وبها كانت تطبع السيوف، حلّ الإشكال، فهو يوضِّح أنّ اسم المكان العلم (مؤتـــة)، ولأنـــّه مكان مشرف مرتفع دُعِي بأَحَد مشارف الشام. والله تعالى أعلم.

(٤) الشامي: سبل ٢٥٧/٦.

أَبَى اللهُ للشُمِّ الأنوف كأنَّهم
صوارم يجلوها بمؤتة صيقلُ

قال المهلَّبي: مآب، وأذرح: مدينتا الشراة، وعلى اثني عشر ميلاً من أذرح ضيعة تعرف بمؤتة بها قبر جعفر بن أبي طالب... الخ(١).

ومؤتة اليوم بلدة أردنية معروفة تقع على بُعد اثني عشر ميلاً جنوب الكرك إذا سرت من معان إلى عمَّان كانت مؤتة على يسارك إذا كنت في منتصف المسافة، ويبلغ عدد سكانها (حسب تعداد عام ١٤٠٦ هـ) حوالي ستة آلاف نسمة.

وقربها مكان يُدْعى المزار، فيه قبور القادة الثلاثة الذين استشهدوا بمؤتة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم أجمعين.

والمزار بلدة عامرة، وقد بلغ تعداد سكانها (حسب إحصائية عام ١٩٧٩ م: ٤١٤٨ نسمة. وبلدة المزار لا يتعدَّى عمرها مائتي سنة، وكان أهلها عرباناً يتجولون مع أنعامهم ثُمَّ يعودون إلى أرضها حيث يخلدون إلى مضاربهم، ومِن ثَمَّ لم يعرفوا الاستقرار إلاَّ منذ خمسة وسبعين عاماً تقريباً(٢).

(١) ياقوت: معجم ٥/٢٢٠.

(٢) الدكتور على العتوم: تجربة مؤتة ٧٣.

ومؤتـــة من قرى مدينة الكرك في جنوب البلقاء، وتبعد الكرك قرابة مائة وخمسة عشر ميلاً جنوب عمَّان مع ميـــلٍ إلى الغرب يمر بها طريق يصل العقبة بعمان ولا يمر بمعان، والمسافة بين المدينة النّبويّة ومؤتـــة حوالي مائة وألف كيلو متر تقريباً.

والبلقاء إقليم من أرض الشام في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو الإقليم الذي تتوسَّطه مدينة عمان عاصمة الأردن، ومن أشهر مدن هذا الإقليم: عمَّان، والسلط، ومادبا، والزرقا، والرصيفة. ويتَّصل به في الجنوب إقليم الشراة الذي قاعدته معان، وفي الشمال إقليم حوران، ويشرف إقليم البلقاء على الغور الأردني غرباً، ويتَّصل ببادية الشام وصحراء العرب شرقاً ومنطقته جبلية عالية.

هذا وقد اختُلِف في تحديد المكان الذي وقعت فيه المعركة، ففي رواية ابن إسحاق قال:

[١] «**فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم(١) البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يُقال لها مشارف، ثُمَّ دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يُقَال لها مؤتـــة، فالتقى الناس عندها**»(٢).

وفي رواية الزهري، وموسى بن عقبة:

---

(١) التخوم: الحدود الفاصلة بين أرض وأرض، وهي جمع تخم. (اللسان: تخم).

(٢) ذكره ابن هشام(سيرة٣٧٧/٤)عن ابن إسحاق الذي ذكره بلاسند، فهو معضل.

ولكن أخرجه الطبري (تاريخ ٣٨/٣ – ٣٩) بسنده عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر، أنـــّه حُدِّث عن زيد بن أرقم، وفيه عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلّس، وفيه جهالة شيخ عبد الله.

[٢] «**فانطلقوا حتى لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتـــة، وبها جموع من نصارى العرب والروم، وبها تنوخ وبهراء**[١]**، فأغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام، ثُمَّ خرجوا، فالتقوا على زرعٍ أخضر...**»[٢]. وقال ابن سعد في روايته:

[٣] «**فمضوا إلى مؤتة، ووافاهم المشركون**»[٣].

وهكذا نجد هنا اتفاقاً بين غالبية أهل المغازي على أنَّ المعركة كانت في مؤتـــة، وتوضِّح رواية الزهري، وابن عقبة أنَّ القتال كان في منطقة زراعية مُحَصَّنة. ويوافقهم الواقدي في إشارته إلى أنَّ مقتل أحد قادة المسلمين في المعركة كان بالقرب من كرم عنب[٤].

---

(١) في الأصل بهرام، وهو تحريف.

(٢) ذكره الهيثمي (مجمع ١٦٠/٦) وعزاه للطبراني، وقال عنه: رجاله ثقات، وبنفس السياق، واللفظ أخرجه البيهقي (دلائل ٣٦٤/٤ - ٣٦٥) بسنده من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة. وسنده حسن إلى موسى. لأن ابن أبي أويس صدوق، كما ذكر الحافظ (تقريب ١٠٨)، وكذلك أخرجه ابن عساكر: تاريخ دمشق (المجلّدة الأولى ص ٣٩٢-٣٩٣)،بسنده عن موسى بن عقبة نحوه.

(٣) أخرجه ابن سعد (طبقات ١٢٩/٢) عن شيوخه.

(٤) الواقدي (مغازي ٧٦١/٢) في حديثه عن مقتل جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين، فوقع أحد نصفيه في كرم.

ولكن محمَّد بن عائذ يخالف هذا الإجماع برواية أسندها إلى رجلٍ من بني سلامان[١]، عن غير واحد من كبراء قومــه، وقال فيها:

[٤] «فمضى زيد ومَن معه حتى لقوا عدوهم بين قريات ثلاثة، بين مؤتــة، والعمقــة[٢]، وزقوقيــن، فصــافُّــوهم هــنــاك. وقــال الــســلامــيّــون: هــم إلــى زقــوقــيــن[٣]

(١) سلامان: بطن في عذرة بن سعد بن هذيم، منهم بنو معاوية بن سلامان، وهم بالشام (انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٤٧).

(٢) لم أعثر على ترجمتها في كتب البلدان القديمة.

ويذكر الدكتور علي العتوم (تجربة مؤتــة ٧٢) أنّها قرية خَرِبَة من قُرى بلدة المزار الأردنية، وتبعد عنها نصف كيلو متر باتجاه الجنوب الشرقي.

(٣) هكذاوردت هنا بالزاي،وفي شعر قتادة الذي رواه ابن إسحاق(رقوقين)بالراءالمهملة.

قال أبي ذرشارح السيرة (٣٥/٤): رقوقين: اسم موضع. وَيُرْوَى (مرقوفين) بالفاء في الثاني.

هذا وقد ذكر علي العتوم (تجربــة مؤتــة ٤٤، ١٤٤) أنّ ذلك خطأً طباعياً، وأنــّه يقصد (رقوقين) كما ذكر عن بعضهم أنــّه يرى أنّ قرية رقوقين القديمة قد تحرَّف اسمها إلى قرية راكين الحديثة، التي تبعد بضة عشر كيلاً إلى الشمال من بلدة الكرك، وتبعد أكثر من عشرين كيلاً إلى الشمال من مؤتــة.

قلت: هذا افتراض مبني على تحرُّف اسم القرية، وبما أنّ لفظ (راكين) قريب من (رقوقين)، افترض أنّها ربما تكون هي، ولكن يبقى الأمر محتملاً قد يُبْعِده بُعْد المسافة بينها وبين مؤتــة، لأنــّه ذكر في الرواية أنّ المعركة كانت بين (قريات ثلاث: مؤتــة، والعمقة، ورقوقين)، وبما أنّ العمقة تبعد نصف كيل عن قرية المزار، فأعتقد =

أقـــرب»[(١)].

وكان من الممكن أن نحكم على هذه الرواية بالشذوذ لمخالفتها إجماع أهل المغازي، ولكن يشهد لها شعراً رواه ابن إسحاق عن أحد المشاركين في المعركة، يصوِّر فيه مقتل مالك بن زافلة، قائد العرب المتنصرة في المعركة، فيقول:

[٥] «وقد كان قطبة بن قتادة العذري، الذي كان على ميمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة، فقتله، فقال قطبة بن قتادة:

طعنت ابن زافلة بن الأراشي برمحٍ مضى فيه ثُمَّ انحطـــم
ضربته على جيده ضربـــةً فمال كما مال غصن السلم
وسُقْنا نساء بني عمِّـــــه غداة رقوقين سوق النعم»[(٢)].

=

أن رقوقين تبعد نفس البُعْد أو قريب منه، وربما تكون هي الجعفرية التي يذكر الدكتور على العتوم (تجربة مؤتـــة ٧٢) أنَّها تبعد عنها نصف كيل إلى الشمال، أو الطور، وهي قرية خربة ليست بعيدة أيضاً عن المزار، وهي من قرى مؤتـــة، كما ذكر ابن شدَّاد في الأعلاق الخطيرة: ٢٧٧.

(١) أخرجه ابن عساكر: تاريخ دمشق (المجلدة الأولى ص ٣٩٧) بسنده عن ابن عائذ، عن الوليد بن مسلم.

وقال عنه ابن حجر (فتح ٧/٥١٤): سنده منقطع.

قلت: وفيه جهالة السُلامي راوي الخبر.

(٢) ذكره ابن هشام(سيرة٤/٣٨١)عن ابن إسحاق الذي ساقه بلا سند، فهو معضل.

فرواية ابن عائذ السابقة، والشعر الذي رواه ابن إسحاق عن قطبة، يشيران إلى أنّ المعركة وقعت في قرية رقوقين.

وهكذا فإنّه نتيجة هذا الخلاف لم يستطع أحد الجزم بالمكان الصحيح الذي حدثت فيه المعركة، حتّى الذين زاروا المنطقة ووقفوا على مواقعها[1].

وقد حاول بعض الباحثين المعاصرين الجمع بين الروايتين، حيث يرى عبد الله النسور، أنّ المسلمين، بعد أن دحروا الروم في مؤتة، لحقوا بفلولهم، بعد أن تفرّقوا في الوديان المحيطة بقرية مؤتة إلى بلدة راكين التي يرى أنّها تحريف عن رقوقين القديمة[2].

---

(١) انظر: (الدكتور علي العتوم: تجربة مؤتة ٥٤).

(٢) المصدر السابق ١٤١، نقلاً عن عبد الله النسور (أضواء على نتيجة مؤتة، الرأي الأردنية، السنة الثامنة في ١٩٨٢/٣/١٣م، ص ١٠).

قلت: مستنده في ذلك: هو رأيه في نتيجة المعركة، وهو رأي مرجوح كما سنبينه في حينه إن شاء الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصـــل الثاني: أسباب الغزوة، وتاريخها

وفيـــه مبحثـــــان:

المبحـــث الأول: أسباب الغـــزوة.

المبحث الثاني: تاريـــخ الغـــــزوة.

المبحث الأول: أسباب الغــزوة:

«ينفرد الواقدي بذكر السبب المباشر لهذه الغزوة، وهو أنَّ شرحبيل بن عمرو الغساني قَتَل صبراً الحارث بن عمير الأزدي[١] الذي أرسله الرسول ﷺ إلى ملك بصرى بكتابه، وكانت الرسل لا تُقْتَل، فغضب رسول الله ﷺ ، وأرسل الجيش إلى مؤتـــة، والواقدي ضعيف لا يُعْتَمَد عليه وبخاصّةً إذا انفرد بالخبر»[٢].

وقد تبعه في ذكر ذلك نقلاً عنه كُلٌّ من: ابن سعد[٣]، وابن سيد الناس[٤]، والقسطلاني[٥]، وابن القيم[٦]، والذهبي[٧]. وذكره ابن حجر

---

(١) الحارث بن عمير الأزدي، ثُمَّ اللِهْبِي - بكسر اللام، وسكون الهاء. روى الواقدي عن عمرو بن الحكم قال: بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ملك بصرى بكتابه، فلمَّا نزل مؤتـــة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطاً، وضرب عنقه... الخ. وذكره ابن شاهين من طريق محمَّد بن يزيد، عن رجاله بغير هذه القصة. (ابن حجر: إصابـــة ١/٢٨٦).

(٢) د. أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٦٧.

(٣) الطبقات ٢/١٢٨.

(٤) عيون الأثر ٢/١٩٨.

(٥) المواهــب ١/٥٤٩.

(٦) زاد المعاد ٣/٣٨١.

(٧) تاريخ الإسلام، قسم المغازي ٤٧٩. هذا وقد وقع تصحيف في رواية الذهبي في اسم أَحَد رواة الخبر، وهو شيخ ابن سعد، حيث ورد اسمه عنده محمَّد بن عثمان، =

بصيغة التمريض[١].

وقد اعتمد معظم المؤرخين المعاصرين هذه الرواية جازمين أنَّها هي سبب وقعة مؤتـــة[٢]، ومع أنَّ بعضاً منهم[٣] ذكر لها سبباً آخر، وهي النتيجة التي آلت إليها سرية ذات أطلاح، بينما يستند بعضهم على رواية أُخرى ضعيفة[٤]، مفادها أنَّ صاحب مدينة بصرى[٥] رفض ما جاء في

=

مِمَّا يوهم بصحة الخبر، بينما هو في الحقيقة محمَّد بن عمر الواقدي شيخ ابن سعد المعروف، كما ورد في أصل الخبر في (الطبقات ٣٤٣/٤).

(١) فتح الباري ٥١١/٧.

(٢) انظر: (با شميل: غزوة مؤتـــة ٢٥٢، خطَّاب: الرسول القائد صلَّى الله عليه وسلَّم ٣٠٤-٣٠٥، وخالد بن الوليد ٧٠، ياسين سويد: معارك خالد بن الوليد ١٦٧-١٦٨، الجنرال أكرم: خالد بن الوليد ١٠٣، أبو زيد شلبي: سيف الله خالد ٦٢، الدويدار: صور من حياة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ٥١٥-٥١٦، عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٢٩٤، الغزالي: فقه السيرة ٣٦٥، البوطي: فقه السيرة ٣٥٠ ، الشريف: مكـــةّ والمدينة ٥٣٣، أبو زهرة: خاتم النبيين صلَّى الله عليه وسلَّم ٢/ ١١٣٩).

(٣) انظر: (با شميل: غزوة مؤتـــة ٢٥٣، ياسين سويد: معارك خالد ١٦٨، احمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق ١٤٥).

(٤) أخرجها الطبري (تاريخ ٦٥٢/٢) عن الواقدي.

(٥) مدينة بصرى: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، وهي في منتصف المسافة بين عمَّان ودمشق، وبصرى اليوم آثار قرب

=

رسالة النَّبيّ ﷺ له، وهدَّد بالمسير إلى المسلمين بجيوشه وغزوهم في عقر دارهم «فتهديده بالمسير إلى المسلمين يقتضي ردّاً على مستوى التحدي، فكانت غزوة مؤتـــة»[١].

ويذكر أبو زهرة، عن شيخ الإسلام ابن تيمية، أنـــه ذكر في رسالة القتـــال[٢]: أنَّ النَّبيّ ﷺ ما بعث إلى حرب الروم في مؤتـــة إلاَّ بعد أن قَتَل الوالي الروماني مَن أسلم في الشام[٣].

«والحق أنَّ البحث عن الأسباب المباشرة لغزو القبائل العربية في أطراف الشام لا يؤثر على تفسير الأحداث كثيراً، لأنَّ تشريع الجهاد يقتضي الاستمرار في إخضاع القبائل العربية وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية بصرف النظر عن الأسباب المباشرة»[٤].

فهذه الغزوة كما يقول ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى - كانت إرهاصاً لِمَا بعدها من غزو الروم، وإرهاباً لأعداء الله ورسوله ﷺ[٥].

=

مدينة درعة التي احتلت محلها، حتى ظنَّ بعض الناس أنَّها هي، وبصرى، ودرعة، داخل حدود الجمهورية السورية على أكيال من حدود المملكة الأردنية الهاشمية.

(انظر: ياقوت: معجم ٤٤١/١، البلادي: معجم ٤٣ - ٤٤).

(١) انظر: (منير غضبان: فقه السيرة ٥٤٤).

(٢) لم أعثر على هذه الرسالة.

(٣) خاتم النبيين ١١٣٩/٢.

(٤) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٤٦٧/٢.

(٥) الفصول في سيرة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ١٩٥.

فقد كانت غزوة مؤتـــة، مقدمة تبوك، وما كان بعد وفاة النّبيّ ﷺ من فتح الشام[١].

ويرى بعض المستشرقين ومَن سار في فلكهم من القوميين العرب، أنَّ مؤتـــة كانت لإشعار العرب المتنصرة في الشام بقوة المسلمين، قوة تحفزهم على الانضمام إليهم بدافع العروبة، مِمَّا يوحّد العرب جميعاً، وضمهم إلى الدولة العربية، وإدخالهم في نطاقها.

كما أنَّ زوال ما كان لبيزنطة من الهيبة في نفوس العرب، هيأ الفرصة لقيام الوحدة بينهم، ثُمَّ مهاجمة الممتلكات البيزنطية فيما بعد[٢].

وتلك استنتاجات بُنِيَت على أساس الفكر القومي الذي ساد الكتابات العربية وغيرها في السِّتِّينات، ذلك الفكر الذي أطلق شرارته الأولى أعداء الأُمــَّـة الإسلامية منذ نهاية القرن الأوَّل الهجري، وما زالوا يُغَذُّونه ويتلقَّفونه خَلَفاً عن سَلَفٍ.

ولقد كان هذا الفكر العقيم ولا زال معول هدم لتفتيت وحدة الأُمــَّـة الإسلامية، تلك الوحدة العظيمة التي كان الجهاد لإعلاء كلمة الله — عزَّ وجلَّ — في الأرض، ونصرة الحق، والقضاء على الظُّلْم والظَّالمين، هو الوقود الذي يؤجِّجها ويحافظ عليها متماسكة قويـــة، وهو الأمر الذي

(١) هيكل: حياة محمَّد (صلَّى الله عليه وسلَّم) ٤١١.

(٢) انظر: (العريني: الدولة البيزنطية ١١٩، الشريف: مكَّة والمدينة ٥٣٣) ونقله العريني عن: Vasiliev, A, The Byzantin, Empire: P: ١٩٥».

فطن له أعداء الأمـــة فسارعوا إلى ترويج مثل هذه الأفكار المنحرفة لإبعاد المسلمين عن مصادر عزّهم ومجدهم.

وما كانت غزوة مؤتـــة إلاّ استجابة لنداء الباري ــ عزَّ وجلَّ ــ لقتال أهل الكتاب وإخضاعهم لسلطان المسلمين، إمَّا بالدخول في الإسلام، أو أداء الجزية عن يد وهم صاغرون، قـــال الله تبارك وتعالـــى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. [سورة التوبة، الآية: ٢٩]. لأنـــه اتَّضح بما لا يدع مجالاً للشَّك، من خلال الأحداث أنَّهم كانوا حجر عثرة في وجه نشر الدَّعوة الإسلامية، وأنَّهم شكَّلوا بقواهم السياسية والعسكرية، تهديداً للمسلمين، وفتنةً لأتباعهم، جرَّدتهم من الحرية الكاملة في اعتناق ما يُحبُّون، واتِّباع ما يريدون، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. [سورة التوبة، الآية:٣٣،٣٢].

والعرَب المتنصرة في الشام كانوا جزءاً لا يتجزأ من تلك القوى المعادية للإسلام، بدليل مشاركتهم الفعَّالة في جيش الحلفاء في مؤتـــة ضد المسلمين، وكأنَّهم يريدون إظهار استعدادهم وجاهزيَّتهم للقضاء على قوَّة المسلمين المتنامية في الجزيرة العربية، وهذا يفسِّره ذلك العدد الكبير من المتطوعين من القبائل العربية المتنصِّرة في جيش الروم في مؤتـــة، بل إنَّ

بعض الروايات أشارت إلى أنّ الذين حاربوا المسلمين في مؤتة هم القبائل العربية النصرانية فقط، وربَّما شاركهم بعض الرُّوم[1].

فكيف يُقال بعد ذلك أنّ مؤتـــة حفَّزت على قيام الوحدة العربية بين المسلمين والقبائل العربية المتنصِّرة في الشام؟!.

(١) ذكر ذلك الزهري انظر:(الهيثمي، مجمع ٦/١٦٠)، وذكره موسى بن عقبة انظر: (البيهقي: دلائل ٤/٣٦٤-٣٦٥).

المبحث الثاني: تاريـــخ الغـــــزوة:

يُكاد يتَّفِق أهل المغازي، وأهل الحديث - مِمَّن روَى منهم أحداث وقعة مؤتـــة - على أنَّ تاريخ الوقعة كان في جمادى الأولى من السَّنة الثامنة من:

[٦] مهاجر النَّبِيِّ ﷺ(١).

[٧] ويختلف معهم ابن عبد البر بجعلها في جمادى الثانية من نفس السنة(٢).

---

(١) ذكر ذلك عروة بن الزبير في روايته عن المعركة. (انظر: ابن هشام: سيرة ٣٧٣/٤، الطبري: تاريخ ٣٦/٣، البيهقي: دلائل ٣٥٨/٤، ابن حجر: فتح ٥١١/٧)، والزهري في روايته التي أخرجها الهيثمي (مجمع ١٦٠/٦) وعزاها للطبراني، وأخرجها الواقدي.(انظر:الشامي:سبل٢٢٨/٦)،وموسى بن عقبة(انظر:البيهقي:دلائل ٣٦٤/٤ - ٣٦٥)، وابن إسحاق (انظر: ابن هشام: سيرة ٣٧٣/٤،الطبري: تاريخ ٣٦/٣).
وذكره الواقدي (مغازي ٦/١) مجملاً مع تواريخ الغزوات والسرايا، وابن سعد (طبقات ١٢٨/٢).
وذكره بقية أهل المغازي نقلاً عنهم (انظر: ابن سيد الناس: عيون ١٩٨/٢، القسطلاني: المواهب ٥٤٩/١، ابن حزم: جوامع ٢٢٠، ابن القيم: زاد ٣٨١/٣، العامري: بهجة المحافل ٣٩٠/١، الحلبي: سيرة ٧٨٦/٣).
وذكره من المحدِّثين: أحمد بن حنبل (انظر: البنا: الفتح الرباني ١٣٦/٢١).
هذا وقد نقل ابن حجر (فتح ٥١١/٧) اتفاق أهل المغازي على ذلك، ما عدا خليفة ابن خياط.

(٢) ابن عبد البر: درر ٢٢٢.

[٨] بينما وردت عن خليفة بن خياط في ذلك روايتان، خالف في إحداهما أهل المغازي بجعلها في السَّنة السَّابعة[١]، ووافقهم في الرواية الثانية[٢].

وقد احتجَّ ابن حجر على الترمذي – الذي ذكر أنَّ مؤتـــة كانت قبل عمرة القضاء[٣]– مستغرباً ذهول الترمذي عن بعض الأحداث التي تتعارض مع ذلك[٤].

---

(١) ذكر ابن حجر (فتح ٥١١/٧) وتابعه الزرقاني (شرح ٢٦٨/٢)، والشامي (سبل ٦ /٢٢٨): أنَّ خليفة بن خياط ذكر في تاريخه أنَّها كانت سنة سبع، ولم أجد ذلك في كتاب التاريخ، وإنَّما وجدته في كتاب الطبقات له (في ترجمة عبد الله بن رواحة ٩٣) فلعلَّ ابن حجر ومتابعيه يقصدون ذلك. والله تعالى أعلم.

(٢) انظر: تاريخ خليفة ٨٦-٨٧.

(٣) ذكر ذلك الترمذي (سنن ٢١٧/٤، كتاب الأدب، باب إنشاد الشعر) حيث قال بعد إيراده حديث أنس رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم دخل مكـــّة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول:

خلوا بني الكُفَّار عن سبيله اليوم نضربكم على تنْزيـــله .. الخ الحديث.

قال: ورُوِيَ في غير هذا الحديث: أنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم دخل مكـــّة في عمرة القضاء، وكعب بن مالك بين يديه.وهذا أصح عند بعض أهل الحديث، لأنَّ عبد الله ابن رواحة قُتِلَ يوم مؤتـــة، وإنَّما عمرة القضاء بعد ذلك.

(٤) قال الحافظ (فتح ٥٠٢/٧): وهو ذهول شديد، وغلط مردود، وما أدري كيف وقع الترمذي في ذلك مع وفور معرفته، ومع أنَّ في قِصَّة عمرة القضاء اختصام جعفر وأخيه علي، وزيد بن حارثة في بنت حمزة، وجعفر قُتِل هو وزيد، وابن رواحة في موطنٍ واحدٍ، وكيف يخفى عليه – أعني الترمذي – مثل هذا؟! ثُمَّ وجدت عن

=

[٩] هذا وقد وقع في بعض الروايات أنَّ فصول الجيش[١] من المدينة كان في يوم جمعة[٢].

=

بعضهم أنَّ الذي عند الترمذي من حديث أنس: أنَّ ذلك كان في فتح مكـــَّة، فإن كان كذلك اتجه اعتراضه، لكن الموجود بخط الكروخي راوي الترمذي ما تقدَّم، والله أعلم. وقال الشامي (سبل ٣٠٠/٥) أيضاً: وكذلك رأيته في عِدَّة نسخ من جامع الترمذي.

قلت: الترمذي رحمه الله تعالى لم يعترض من نفسه، وإنَّما أورد اعتراض بعض أهل الحديث على الرواية فهو بذلك يعتبر ناقلاً لا معترضاً - سيِّما وأنـــَّه وُجِدَ في بعض مخطوطات السُّنن (٤٩/٢/٢): قيل: إنَّ عمرة القضاء كانت في سنة سبع، وكانت مؤتة في سنة ثمان، والله أعلم وأحكم.

وربَّما أنَّ الحافظ رحمه الله تعالى احتجَّ على عدم تعليق الترمذي على ذلك مع ما عُرِفَ عنه من العقلية الناقدة. والله تعالى أعلم.

(١) فصل من البلد، فصولاً: خرج منه. (القاموس: مادة الفصل).

(٢) أخرج الترمذي (انظر: تحفة الأحوذي٣٣/٦٥-٦٦)، وأحمد (المسند ٢٦٥/١) من حديث أبي معاوية عن الحجاج عن الحكم عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية، فوافق ذلك يوم الجمعة، قال فقدم أصحابه، وقال: أتخلَّف فأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة، ثُمَّ ألحقهم. قال: فلما صلَّى رسول الله ﷺ. رآه فقال: ما منعك أن تقدو مع أصحابك؟ قال: «أريت أن أُصلِّي معك الجمعة ثُمَّ ألحقهم. فقال رسول الله ﷺ: «**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوهم**».

قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. قال علي بن المديني: قال يحيى بن سعيد: قال شعبة: لم يسمع الحكم بن مقسم إلاّ خمسة أحاديث وعدَّدها

=

=

شعبة. وليس هذا الحديث فيما عدّها شعبة. وكأنّ هذا الحديث لم يسمعه الحكم من مقسم».

وقال الهيثمي (المجمع ١٥٦/٦): «فيه الحجاج بن أرطأة وهو مدلّس، وبقية رجاله رجال الصحيح». وقال ابن كثير (البداية ٢٤٢/٤: «الحجاج بن أرطأة في روايته نظر».

وقال المباركفوري (التحفة ٦٦/٣): «قال البيهقي: انفرد به الحجاج بن أرطأة، وهو ضغيف». انتهى. كذا في التلخيص. قلت: وحجاج بن أرطأة مدلّس، وورد هذا الحديث عن الحكم بالعنعنة».

قلت: ويخشى أيضاً من تدليس الحكم؛ لأن عنعنه عن مقسم، وهو ثقة كما ذكر الحافظ في التقريب ص ١٥٢، إلاّ أنه ربما دلّس. والله تعالى أعلم.

قال ابن كثير: (البداية ٢٤٢/٤): «والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضي أنّ خروج الأمراء إلى مؤتة كان في جمعة». والله أعلم.

الفصل الثالث: حشد القوات الإسلامية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عدد الجيش، وتولية القيادة.

المبحث الثاني: الوصايا التي تزوَّد بها الجيش، وتوديعه.

المبحث الأول: عدد الجيش، وتولية القيادة:

[١٠] «**ندب رسول الله ﷺ الناس إلى مؤتة**». كما يذكر الواقدي، وابن سعد[1]، فاستجاب له حوالي ثلاثة ألاف من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ، وذلك حسب:

[١١] ما ذكره بعض أهل المغازي[2].

وهو أكبر جيش إسلامي يتم حشده حتى ذلك الوقت، فإنَّ جيش المسلمين في الحديبية، ثُمَّ في خيبر - وهما الغزوتان اللتان سبقتا مؤتة - لم يتجاوز حاجز الألفين[3]، مِمَّا دلَّل على نجاح صلح الحديبية عملياً، وأنَّ قوة المسلمين في تنامي وتزايد مستمر.

[١٢] بل إنَّ بعض الروايات ذكرت أنَّه تمَّ حشد ستَّة آلاف من المهاجرين والأنصار[4].

---

(١) أخرجه الواقدي (مغازي ٧٥٥/٢)،وأخرجه ابن سعد.وقد سبق تخريجه برقم [٣].

(٢) ذكر ذلك عروة (انظر: ابن هشام: سيرة ٣٧٣/٤، الطبري: تاريخ ٣٦/٣، البيهقي: دلائل ٣٥٨/٤) وذكره ابن سعد (طبقات ١٢٨/٢).

(٣) انظر: عوض الشهري: مرويات غزوة خيبر ٢٠٦-٢٠٨، والحكمي: مرويات غزوة الحديبية ٥١.

(٤) أخرجه ابن عساكر: تاريخ دمشق (المجلدة الأولى ص ٣٩٠) عن محمَّد بن عائذ، الذي رواه بسند منقطعٍ، كما أنَّ في متنه شذوذاً، فالمحفوظ عن أهل المغازي أنَّهم كانوا ثلاثة آلافٍ. والله تعالى أعلم.

وفي الجرف[1]، عسكر الجيش الإسلامي كالعادة، وكان القائد الأعلى رسول الله ﷺ قد أصدر أوامره الشريفة بإسناد قيادة الجيش لمولاه وحِبِّه زيد بن حارثة ـــ رضي الله عنه ـــ، وقال:

[١٣] ((إنْ قُتِلَ زيد، فجعفر، وإن قُتِل جعفر، فعبد الله بن رواحة))[2].

وفي مرسل عروة عند البيهقي:

[١٤] ((فإن أُصيب فليرتض المسلمون رجلاً، فليجعلوه عليهم))[3].

قال أبو قتادة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ:

---

(١) الجُرْف - بالضم ثُمَّ السكون - ما تجرَّفته السيول فأكلته من الأرض، وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة، به كانت أموال لعمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه، ولأهل المدينة. وقيل: سُمِّيَ الجُرْف، لأنَّ تُبّعاً مرَّ به، فقال: هذا جرف الأرض، وكان يُسَمَّى: العرض، وكان الجرف في عهد النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمثابة معسكر للجيوش النبوية. والجُرف اليوم من أحياء المدينة الشمالية الكبيرة، يمتد من مزارع العيون شرقاً، حتَّى طريق المدينة تبوك غرباً.

(انظر: ياقوت: معجم ١٢٨/١، السمهودي: وفاء: ١١٧٥/٤).

(٢) أخرجه البخاري (الصحيح ٨٧/١).

(٣) أخرجه البيهقي (الدلائل ٣٥٩/٤) بسنده من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق حدَّثنا محمَّد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير.

قلت: سنده حسن إلى عروة، ولكنَّه مرسل، وقد تفرَّد يونس بن بكير بهذه العبارة من بين الرواة عن ابن إسحاق، وقد ذكر نحوه الواقدي (المغازي ٧٥٦/٢)، وابن سعد (الطبقات ١٢٨/٢) عن شيوخه.

[١٥] «فوثب جعفر، فقال: يا رسول الله! ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ زيداً، فقال: امض فإنَّك لا تدري أي ذلك خير»[١].

ويبدو أنَّ بعض الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ قد تكلَّم في إمرة زيد وتقديمه على غيره:

[١٦] فوضَّح لهم رسول الله ﷺ مكانة زيد ــ رضي الله تعالى عنه ــ وأحقيته بالإمارة،وأنَّه مِن أحبّ الناس إليه[٢]،فسمعوا وأطاعوا.

ولكن يبدو أن رواة الشيعة لم يرق لهم ذلك، ولم يقتنعوا بــه، وأخذوا كعادتهم يتلاعبون بالروايات، يُقَدِّمون ويُؤخِّرون حسب أهوائهم، ويفاضلون بين الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ وفق ميولهم ونزعاتهم، ويظهر ذلك جلياً هنا من خلال:

---

(١) أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود، حديث ٤٣٤)، وأحمد (المسند ٥/٣٧٦-٣٧٧)، والنسائي (السنن الكبرى ٥/٩٦)، وابن حبان (انظر: الإحسان في ترتيب صحيح بان حبان، حديث ٧٠٠٨)، والبيهقي (الدلائل ٢/٣٧٦)، والطبري (التاريخ ٣/٤٠)، كلّهم من طرق عن خالد بن سمير عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة ﷺ. قال الهيثمي (المجمع ٦/١٥٦): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة».

قلت: قال الحافظ: هو صدوق يهم قليلاً. (التقريب ص ١٨٨)، إذاً فالإسناد حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: البخاري (الصحيح ٤/٢١٣)، وينصُّ ابن حجر (فتح ٧/٨٧) على أنَّ ذلك كان في مؤتــة.

[١٧] محاولاتهم الحطّ من قدر زيد ــ رضي الله تعالى عنه ــ، وتقديم جعفر رضي الله عنه - باعتباره من آل البيت - حتى في سياق الوقعة(١).

ومكانة زيد بن حارثة ــ رضي الله تعالى عنه ــ عظيمة في الإسلام لا تؤثر فيها تلك المحاولات الفاشلة، ويكفي في فضله ومكانته ذكر الباري عزَّ وجلَّ لاسمه صريحاً في القرآن، يُتْلَى في المحاريب، وبيوت الله عزَّ وجلَّ إلى يوم القيامــــة(٢).

كما صحَّ عن الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق ــ رضي الله تعالى عنهما ــ أنَّها قالت:

[١٨] «ما بعَثَ رسولُ الله ﷺ زيد بن حارثة في جيشٍ قَطُّ، إلاَّ أمَّره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه»(٣).

---

(١) انظر حديث ثابت بن دينار (رافضي، ضعيف) عند الطبراني (معجم ١٩/١٦٧)، وحديث علي بن زيد التيمي (قال عنه ابن عدي: كان يغالي في التشيع) عند عبد الرَّزَّاق (مصنف ٥/٢٦٦).
وانظر: اليعقوبي (تاريخ ٢/٥٤)، وقد ضاهوا بذلك المستشرقين، إذ يقول أحدهم (إدوارد جيبون: إضمحلال الإمبراطورية ٧٥)، متحدِّثاً عن جيش مؤتــــة: «وقد بلغت دقة النظام، وشدَّة الحماس في هذا الدين الصَّاعِد، أن أنبل الزعماء عملوا دون تردُّدٍ كجنود تحت إمرة رجل كان مولى للنَّبيِّ».

(٢) وذلك في الآيــة ٣٧، من سورة الأحزاب.

(٣) أخرجه النسائي (سنن ٥/٥٢) وقال عنه ابن كثير (البداية ٤/٢٥٤): إسناده جيد على شرط الشيخين، وهو غريب.

ذلك هو مبلغ تقدير النَّبِيِّ ﷺ لكفاءة زيد القيادية، وثقته الكاملة به، وهو تقديرٌ عظيمٌ، وثقةٌ بالغةٌ، واعتمادٌ هائلٌ استحقَّه زيد بمزاياه القيادية أولاً وقبل كل شيء، فما كان النَّبيُّ ﷺ يولي ثقته الكاملة إلاَّ لمن يستحقها بجدارة، وقد لمسنا شجاعة زيد في الغزوات التي شهدها مع النَّبيِّ ﷺ، وفي سراياه التي قادها، ولمسنا شجاعته في الواجبات الأُخرى التي ألقاها على عاتقه النَّبِيُّ ﷺ في استصحاب بناته وزوجته في الهجرة، في وَسَطٍ يعُجّ بالأعداء والحاقدين والموتورين من المشركين.

لقد قضى الإسلام مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهلية، على الأنفة من تأمير مَن لم تُقَدِّمه السن، والاستمساك بِعُرَى التَّفاضُل بالأنساب والأحساب والعشائر والقبائل.. إنَّ التَّفَاضُلَ في الإسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال، بالإضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب، وقد رفعت مزايا زيد القيادية، وإيمانه الراسخ العميق إلى الإمارة[1].

كما أنَّ مكانة جعفر ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ وفضله لا تحتاج إلى كل ذلك التهويل، ومحاولة لَيّ النُّصوص، واختراع فضائل له لكونه من آل بيت النَّبيّ ﷺ، فالعواطف الزائدة، والمحبَّة لآل البيت لا تجعلنا نعطيهم قدراً أكبر مِمَّا جعله الله تبارك وتعالى، ورسوله ﷺ لهم، ويكفي جعفراً رضي الله تعالى عنه فخراً ومكانةً أنـــَّه ابن عمّ المصطفى ﷺ، وقد قال له النَّبيّ ﷺ:

---

(١) خطّاب: القادة الشهداء في مؤتـــة: ٦٠ — ٦٤.

[١٩] «أَشْبَهْت خَلْقِي وخُلُقِي»[(١)]، «وحسبه بذلك دليلاً على أنــّه كان على خُلُقٍ عظيم»[(٢)].

ولّما قدم ــ رضي الله تعالى عنه ــ في جماعة من المسلمين من أرض الحبشة بأثر فتح خيبر، التزمه رسول الله ﷺ وقبَّل ما بين عينيه واعتنقه، وقال:

[٢٠] «والله ما أدري بأيهما أنا أُسَرّ!! أبقدوم جعفر، أم بفتح خيبر؟!»[(٣)].

[٢١] وكان ــ رضي الله تعالى عنه ــ أحد السابقين الأولين، وكان أَحَد أصحاب الهجرتين[(٤)].

وقد وصفته زوجه أسماء بنت عميس ــ رضي الله عنها ــ بقولها:

[٢٢] «ما رأيت شابّاً من العرب خيراً من جعفر»[(٥)].

وقال عنه أبو هريرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ:

---

(١) أخرجه البخاري (الصحيح ٤/٢٠٩).

(٢) خطّاب: القادة الشهداء ١٢١.

(٣) أخرجه ابن سعد (طبقات ٤/٣٥) عن الشعبي، وهو مرسل.

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح ٧/٤٨٤-٤٨٥).

(٥) أخرجه ابن سعد: (الطبقات ٤/٤١). من حديث زكريا ابن أبي زائدة. عن العامر، وسنده رجاله ثقات، لكه منقطع.

[٢٣] «**كان خير النَّاس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إنَّه إن كان ليخرج لنا العكة[١] التي ليس فيها شيء فنشقّها ونلعق ما فيها**»[٢].

وتجدرُ الإشارة أنَّه لأوَّل مرَّة في تاريخ غزوات النَّبيّ ﷺ وسراياه يتم تولية أُمراء بالترتيب، «وما ولَّى النَّبيّ ﷺ قبل وقعة مؤتة ولا ولَّى بعدها ثلاثة قادة أو قائدين على سرية واحدة، ولكن بُعْد نظره-عليه الصلاة والسَّلام-وتقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يولِّي ثلاثة قادة على سرية واحدة، مرَّة واحدة فقط في حياته العسكرية كلها»[٣].

وربَّما كان ذلك احتياطاً منه ﷺ لما «كان متوقعاً أن تحُفَّ الأخطار هذه الحملة لوجهتها البعيدة، ولعدم وقوع احتكاك سابق بمناطق تخضع لنفوذ دولة قوية كالامبراطورية البيزنطية التي كانت قبائل الشام وأطرافها موالية لها سياسياً»[٤].

«ومِنَ السَّذاجة أن يتبادر إلى الأذهان أنَّه ﷺ كان يعلم مُسَبَّقاً المصير الذي كان ينتظر أعزَّ أصحابه[٥]، فلم يُعرف عنه أبداً أنَّه ساق

(١) العكة: زق صغير للسمن. وجمعه عكاك.

(٢) أخرجه البخاري (الصحيح ٢/٢٠٩).

(٣) خطَّاب: القادة الشهداء ١١٤-١١٥.

(٤) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيح ٢/٤٦٧.

(٥) ذكر الواقدي في روايته (مغازي ٢/٧٥٥-٧٥٧) أنَّ يهودياً يُدْعى النعمان بن فنحص قال للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو يعهد لأمراء الجيش بالقيادة -: أبا =

أتباعه إلى حتوفهم، أو رمى بهم في عمليات ينتحرون فيها، كُلُّ ما هنالك أنَّ كثرة مشاغله منعته من قيادة الجيش بنفسه»[1].

وبما أنَّ الجيش لم يكن تحت قيادة النَّبيّ ﷺ، فقد جرت العادة أن يكون الانخراط فيه تطوعياً حسب الاستطاعة، وذلك وفق التعليمات النبوية الكريمة، درءاً منه ﷺ للمشقة الحاصلة للمجاهدين وأُسَرِهِم، وإذا لم يكن الأمر نفيراً عامّاً كان عليه الصَّلاة والسَّلام يأمرهم بالتناوب في الخروج للجهاد، فكان يقول:

[٢٤] «ليخرج من كُلِّ رجلين، رجل، والأجر بينهما»[2].

[٢٥] بل كان يحُضُّ على تخلُّف البعض لرعاية أُسَر المجاهدين، وأنَّ مَن يقوم بذلك له مثل أجر المجاهد والغازي[3].

وكان ﷺ بأبي هو وأُمِّي يعتذر عن الخروج على رأس بعض السرايا والبعوث حتى لا يشق على المسلمين.

=

القاسم، إنْ كُنْتَ نبياً فسمَّيْتَ مَن سَمَّيت قليلاً أو كثيراً أُصيبوا جميعاً... الخ. وقد تفرَّد الواقدي بهذه الرواية،والواقدي ضعيف متروك عند المحدثين،خاصّةً إذا انفرد.

(١) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٢٩٥.

(٢) أخرجه مسلم (الصحيح، حديث رقم ١٣٨، ورقم ١٨٩٦).

(٣) أخرج البخاري (فتح الباري ٦/٤٩)، ومسلم (الصحيح ٣/١٥٠٣)، عن زيد بن خالد رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «**مَنْ جَهَّزَ غازِياً في سبيل الله فقد غزا، ومَن خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخيرٍ فقد غزا**».

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال:

[٢٦] «**سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولا أن أشُقَّ على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي**»[١].

وهكذا فقد خلت قائمة الجيش من كبار الصحابة أمثال أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي عبيدة، رضي الله تعالى عنهم، وغيرهم، بينما كان من المشاركين غير القادة الثلاثة: عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو قتادة، وخالد ابن الوليد، وعوف بن مالك، وجابر بن عبد الله، وثابت بن أقرم، وأبو موسى الأشعري، وواقد بن عبد الله التميمي، وأبو سلمة بن هشام، وعقيل ابن أبي طالب، وعبد الرحمن بن سمرة، ويعلى بن منية، وأبو اليسر[٢]،

(١) أخرجه مسلم (الصحيح ٤/١٤٥).

(٢) ترددت هذه الأسماء في الروايات التي تحدَّثت عن المعركة في المصادر المختلفة. كما ذكر ابن الأثير (أُسْد الغابة ٤/٣٣١)، وابن حجر (إصابة ٣/٥٥) في ترجمة عُيَيْنة بن عائشة المري: أنـــّه كان مِمَّن شارك في مؤتـــة، وذلك نقلاً عن ابن ماكولا.

وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وكان معهم بعض المسلمين من اليمن من أمداد حمير(١).

ويذكر ابن سعد أنَّ رسول الله ﷺ عقد لهم:

[٢٧] «**لواءً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة**»(٢)، فتجهَّز الناس، وتهيأوا للخروج.

---

(١) أمداد حمير: قال في النهاية (٣٠٨/٤): الأمداد: جمع مدد، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمُدُّون المسلمين في الجهاد.

قلت: وربَّما كان أولئك من الذين استنفرهم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم للحديبية، أولخيبر، أو كانوا من بقايا الوفود الذين قرَّروا البقاء في المدينة بجوار النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، حيث لم تذكر الروايات في جميع المصادر أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم استنفر القبائل لغزوة مؤتـــة. والله تعالى أعلم.

(٢) سبق تخريجه برقم [٣].

المبحث الثاني: الوصايا التي تزوَّد بها الجيش، وتوديعه:

وخرج معهم رسول الله ﷺ حتَّى بلغ ثنية الوداع(١)، وهناك أوصاهم قائلاً:

[٢٨] «اخرجوا باسم الله، فقاتلوا في سبيل الله عدوّ الله وعدوّكم، إنَّكم ستدخلون الشام فستجدون رجالاً في الصَّوامِع(٢) معتزلين النَّاس فلا تعرضوا لأحدٍ منهم إلاَّ بخيرٍ، وستجدون آخرين للشياطين في رؤوسهم مفاحص(٣)، فافلقوا هامهم(٤) بالسيوف، لا تَقْتُلُنَّ كبيراً ولا فانياً، ولا صغيراً ضرعاً(٥)، ولا تَقْتُلُنَّ امرأةً،

(١) ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ – بفتح الواو – وهي اسم من التوديع، وهي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها مَن يريد الشام، واختلف في سبب تسميتها بذلك، والأشهر والصحيح أنَّه اسم جاهليّ قديم سُمِّيَ لتوديع المسافرين، وكان اسمها قديماً ثنية الركاب، وكانت هذه الثنية بين مسجد الراية، وقبر النَّفْس الزكية جوار سلع، وقد هُدِمَت اليوم وأُزِيلَت بكاملها مع المسجد، وأُقِيمَ مكانها مدخل نفق المناخة من جهة الشمال. (العباسي: عمدة الأخبار ٢٨٣).

(٢) جمع صومعة، وهي مكان عبادة الرهبان من النصارى.

(٣) أي أنَّ الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مفاحص، كما تستوطن القطا مفاحصها. (ابن الأثير: النهاية ٣/٣٨٥).

(٤) الهامة: رأس كُل شيء. والمعنى: اضربوا رؤوسهم بالسيوف.

(٥) أي الصغير الضعيف.

ولا تُعْزِقُنَّ[١] نخـــــلاً))[٢].

لقد تضمَّنت تلك الوصية أرقى قانون للحرب العادلة، قانون عجزت حتى الآن كُلّ النُّظُم والتشريعات أن تصل إليه من حيث الإنصاف في معاملة الأعداء، واجتناب الأعمال اللاإنسانية من التعرُّض للنساء والأطفال والعَجَزَة، ورجال الدين المعتَزلين بأي نوعٍ من أنواع الأذى، لقد

---

(١) أي: لا تقطعن. والعزق: القطع.

(٢) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق: المجلدة الأولى ص ٣٩١) من حديث ابن عائذ بسنده عن العطاف بن خالد المخزومي، وعن العطاف بن خالد، عن واقد بن محمَّد ابن زيد.

كما رواه الواقدي (مغازي ٧٥٨/٢) من طريق العطاف، عن خالد بن يزيد.

وأخرجه ابن عساكر: تاريخ دمشق (المجلدة الأولى ص ٣٩١) عنه، وقال تعليقاً على الخبرين: هذان إسنادان مرسلان، والمحفوظ أنَّ هذه وصية أبي بكر رضي الله عنه.

قلت: وإن كان الخبران مرسلين، فإنَّهما يتعاضدان فيما بينهما بالمتابعة، وإن كان الخبر الثالث من طريق الواقدي، لكنَّه تابع فيه الثقات، ولا يمنع أن تُشابه وصيَّة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه، وصيَّة صاحبه ومعلّمه الأوَّل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فالصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه تلميذٌ نجيبٌ مِن مدرسة المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم.

وقد أورد هاتين الوصيتين - وصية الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ووصية أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه - ابن الأثير في (النهاية ٤١٥/٣) في موضعٍ واحدٍ، ممَّا يدُلُّ على كونهما حديثين متشابهين كما ذكرنا. كما يشهد للخبرين السابقين الأحاديث الصحيحة في وصايا النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم للسرايا التي يبعث بها لتقاتل مَن كَفَر بالله. والله تعالى أعلم.

كانت توصيات في الآداب الحربية، ودروس في الشرف العسكري، وأُسُس راسخة في المعاملة الإنسانية، والرأفة بغير المحاربين من النساء والشيوخ والأطفال، وتربيات عالية شريفة ما سمعت ولا دعت أُمَّة مثلها منذ فجر التاريخ حتى اليوم من غير سيد البشر محمَّد ﷺ.

إنَّ أرقى الأُمم في العصر الحاضر لا تزال في مجال محاولاتها الالتزام بقانون الشرف العسكري، لا تزال تحبو حبواً إذا ما قِسْنَا محاولاتها بما وضعه الرسول ﷺ في خطبته هذه من قواعد راسخة لقانون الشرف العسكري[1].

[٢٩] «**ثُمَّ ودَّع النَّاس أمراء رسول الله ﷺ، وسلَّموا عليهم، فلمَّا ودَّعوا عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حُب للدُّنيا، ولا صبابة إليها، ولكني سمعت الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾.** [سورة مريم، الآية: ٧١]. **فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟!**

فقال المسلمون: صحبكم الله، وردَّكم إلينا صالحين، ودفع عنكم.

قال ابن رواحة:

لكنَّني أسأل الرحــمن مغفرةً ... وضربةً ذات فرغ تقذف الزبدا[2]

(١) با شميل: غزوة مؤتــة ٢٦٢-٢٦٤.

(٢) ذات فرغ: يعني ذات سعة. الزبدُ: رغوة الدم. (شرح السيرة للخشني ٣٥٤).

أو طعنـــةً بيدى حـــران مجهزة بحربة تنفـــذ الأحشاء والكبدا[١]

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشده الله من غازٍ وقد رشـــدا[٢]

ثُمَّ أتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودَّعه، فقال:

وثبَّـــــــت الله ما آتـــاه من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرا

إني تفرَّسْـــــــــتُ فيـــك الخير نافلة

والله يعـــــلم إني ثابت البصرا

أنت الرســـــــــول فمن يحرم نوافله

والوجه منك فقد أزرى به القدرا[٣]

---

(١) رجل حرَّان: عطشان، أي متعطِّش للقتل. مجهزة: سريعة القتل. (المصدر السابق).

(٢) الجدث: القبر. (المصدر السابق).

(٣) نافلة: هبة من الله. وأزرى به القدرا: أي قصد بـــه. (شرح السيرة للخشني ٣٥٤)
وهذا الخبر من رواية عروة عند البيهقي، وقد سبق تخريجها برقم [١٤].
كما أخرج حادثة بكاء عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه، وسببها: أبو نعيم في (الحلية ١/١١٨) من طريق محمَّد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب الزهري أيضاً.

الفَصْـــلُ الرَّابِـــع: حشد القوات الرومانية وحلفائها من القبائل العربية المتنصرة

وفيــــه مبحثــان:

المبحـــــث الأوَّل: الخـــلاف في عددهم

المبحـــث الثانـــي: الخـــلاف في قادتـــهم

المبحـــث الأوَّل: الخـــلاف في عددهم:

تحرَّكت القوات الإسلامية من المدينة صوب الشام في مسير اقترابي حَذِر.

[٣٠] ويذكر الواقدي أنَّهم نزلوا وادي القرى في طريقهم إلى الشام، وأقاموا أيَّاماً(١)، **«ولكن أنباء حركتهم وصلت إلى الروم قبل وصول المسلمين إليهم»**(٢)، فنذروا وجمعوا لهم جموعاً كثيرة من الروم وحلفائهم من القبائل العربية الشامية المتنصرة.

هذا وقد اختلفت الروايات فيهم، وفي عدَّهم، ففي مرسل عروة: ذكر أنَّهم كانوا مائة ألف من الروم:

[٣١] «وانضم إليهم من لخم(٣)**، وجذام، والقين**(٤)**، وبَهْرَاء**(٥)**، وبليّ،**

---

(١) الواقدي: مغازي ٢/٧٦٠.

(٢) خطَّاب: الرسول القائد صلَّى الله عليه وسلَّم ٣٠٥، ٣٠٧.

(٣) لَخْم - بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة - وهم من بني كهلان بن سبأ، وكان لهم مُلْك بالحيرة، ثُمَّ كان لبقاياهم مُلك بأشبيلية، ومن لخم بني الدار، ومنهم تميم الداري الصحابي. (القلقشندي: قلائد الجمان ٦٩).

(٤) بنو القين قبيلة كبيرة من قضاعة، ينسبون إلى القين بن جسر، ووهم ابن التين، فقال: بنو القين قبيلة من تميم.(ابن حزم: جمهرة أنساب العرب٤٢٤، ابن حجر: فتح ٨/٧٤).

(٥) بَهْرَاء - بفتح الباء الموحدة، وسكون الهاء، وفتح الراء المهملة - وهم بنو بهراء بن الحافي بن قضاعة، والنسبة إليهم بَهْرَائي، ومنهم جماعة من الصحابة منهم المقداد بن =

مائة ألف منهم»(١).

وتابعه في ذلك ابن إسحاق في رواية يونس عنه(٢)، وابن الأثير(٣)، والطبري، والبيهقي، كلاهما بسنديهما إليه(٤)، وتابعه من المتأخرين كُلٌّ من: ابن عبد البر، وابن سيد الناس، وابن القيم، وابن كثير، وابن حزم، والعامري، والحلبي، والذهبي(٥).

[٣٢] وذكر السهيلي حكايـــةً عن ابن إسحاق: أنَّهم كانوا خمسين ومائة ألف(٦).

[٣٣] بينما يذكر الواقدي في روايته: أنَّهم كانوا مائة ألف من القبائل العربية المتنصرة(٧).

= الأسود رضي الله تعالى عنه، وكان بينهم وبين اللخميين ملوك الحيرة حروب. (القلقشندي: قلائد الجمان ٤٩).

(١) ذكره ابن هشام(سيرة٤/٣٧٥)من حديث ابن إسحاق عنه،وسنده حسن إلىعروة.

(٢) ذكر ذلك ابن كثير (البدايـــة ٤/٢٤٢ – ٢٤٣).

(٣) ابن الأثير: الكامل ٢/٢٣٥.

(٤) الطبري: تاريخ ٣/٣٧، البيهقي: دلائل ٤/٣٦٠.

(٥) انظر: (ابن عبد البر: درر ٢٢٢، ابن سيد الناس: عيون ٢/١٩٨، ابن القيم: زاد ٣/٣٨١، ابن كثير: البدايـــة ٤/٢٤٣، ابن حزم: جوامع ٢٢٠، العامري: بهجة ١/٣٩٠، الحلبي: سيرة ٢/٧٨٦، الذهبي: تاريخ، قسم المغازي ٤٨١).

(٦) السهيلي: الروض ٧/٤١.

(٧) المغازي ٢/٧٦٠.

وتابعه القسطلاني، إلاَّ أنّــه ذكر أنَّهم كانوا مائة ألف من المشركين[١]، وكذلك المسعودي، إلاَّ أنــَّه ذكر أنَّهم جموع الروم[٢].

وكان هنالك اضطراب في رواية ابن سعد حيث ذكر أولاً أنَّ شرحبيل بن عمرو الغساني جمع أكثر من مائة ألف، ثُمَّ يعود فيذكر:

[٣٤] «أنَّ هرقل قد نزل مآباً من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء... الخ»[٣].

ووردت أقوال أخرى حكاها بعض أهل المغازي، دون نسبتها إلى قائليها، حيث قال السهيلي: وقيل: كان العدو مائتي ألف من الروم، وخمسين ألفاً من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين[٤]. ونقل ذلك الحلبي أيضاً[٥].

وقال الزرقاني، والشامي: كانوا أكثر من مائتي ألف[٦].

وقال ابن حجر: قيل: أكثر من مائة ألف[٧].

---

(١) القسطلاني: مواهب ٥٤٩/١.

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف ٢٦٥.

(٣) سبق تخريجها برقم [٣].

(٤) السهيلي: الروض الأنف ٤١/٧.

(٥) الحلبي: سيرة ٧٨٧/٢.

(٦) انظر: (الزرقاني: شرح ٢٧١/٢، الشامي: سبل ٢٥١/٦).

(٧) ابن حجر: فتح ٥١٣/٧.

[٣٥] ولم تُحَدِّد روايات الزهري، وموسى بن عقبة، ومحمَّد بن عائذ العدد، وإنَّما ذكرت أنَّهم جموع كثيرة من الروم، ونصارى العرب من قضاعة،وتنوخ،وبهراء،وغيرهم من نصارى العرب(١).

ووقع مثل ذلك في رواية أبي قتادة ــ رضي الله تعالى عنه ــ(٢).

ويصفهم خليفة بن خياط بأنَّهم جموع هرقل(٣) دونما تحديد.

ويرى العقَّاد صعوبة جمع تلك الجيوش الجرَّارة وتسييرها في مثل تلك السرعة، ويرجِّح أنَّ «هرقل إنَّما كان في جموعه هنالك في زيارة الشكر التي نذر لله أن يؤدِّيها إذا هو ظفر بالفرس، وردَّ منهم صليب الكنيسة الكبرى الذي حملوه معهم يوم أَنْ فتحوا بيت المقدس، وربَّما كان هرقل قد بارح بيت المقدس في ذلك الحين، وتخلَّفت جيوش ركابه لأداء هذه الفريضة معه أو القيام بمراسم الحفاوة في تلك الزيارة التاريخية»(٤).

وذلك استنتاجٌ مبنيٌّ على رواياتٍ ضعيفة، فقد ذكرت المصادر أنَّ هرقل كان في الشام قبل مؤتة بخمسة أشهر على الأقل، حينما استقبل دحية الكلبي ــ رضي الله تعالى عنه ــ سفير رسول الله ﷺ إليه، ثُمَّ من بعده أبا سفيان بن حرب ومَن معه الذين سألهم عن النَّبيّ ﷺ أسئلةً دقيقةً وشخصيةً، وقد أظهر هرقل حينها احتراماً بالغاً للنَّبيِّ ﷺ، بل وصدَّق

---

(١) سبق تخريجها برقم [٢].

(٢) سبق تخريجها برقم [١٥].

(٣) سبق تخريجها برقم [٨].

(٤) محمود عباس العقاد: عبقرية خالد بن الوليد ٥٢-٥٣.

بـــه، ولكنّه لم يُسلم خوفاً على ملكه، وكان ذلك بعد الحديبية، كما ذكر أبو سفيان راوي الخبر[١].

وذهب الدويدار أبعد من ذلك حينما أكـــّد على أنّ الروايات تكاد تجمع على تلك الأعداد الضخمة التي استقبل بها الرومان المسلمين في مؤتـــة[٢].

وتلك مبالغة لا تقل عن مبالغة بعض الروايات التي ذكرناها في تحديدها لعدد جيش الروم وحلفائهم في مؤتـــة.

ولا ريب أنّ المبالغات التي أعقبت هذه المعركة، كثّرت من عدد العدو وجعلته يبلغ هذا الرقم الخيالي[٣]، وإن كان بمستطاع القبائل العربية الضاربة في المنطقة أن تؤلّف مع الجيش الروماني قوةً ضخمة، ولكنّ الأمر لم يكن على تلك الدرجة البالغة من الخطورة، «فإنّ الحملة الإسلامية كانت مكوَّنة من ثلاثة آلاف، وأنّ أنباء مسيرها كانت معروفة، فلا يمكن أن يوجه إليها الروم مثل هذا العدد الحاشد من الجيوش، على أنّ هذه الأعداد الضخمة لم تستخدمها بيزنطة في قتالها مع الفرس»[٤].

---

(١) انظر: البخاري (الصحيح ١/٥)، وانظر: (أحمد عادل: الطريق إلى دمشق ١٣٠-١٣١، ١٤٨).

(٢) الدويدار: صور من حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم ٥١٧.

(٣) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٢٩٦.

(٤) الشريف: مكـــّة والمدينة ٥٣٤.

[٣٦] فقد ذكرت المصادر أنَّ جيش هرقل الذي أعاد به كرامة الإمبراطورية البيزنطية عندما هزم جيوش كسرى، حتى استطاع دخول المدائن، كان لا يزيد عدده عن سبعين ألفاً[١].

«ولم يستخدم الروم هذه الأعداد، إلاَّ فيما بعد عندما اشتبكوا مع الدولة الإسلامية اشتباكاً حقيقياً خطيراً»[٢].

لذلك فإنَّه من الأصوب الأخذ بروايات الزُّهري، وابن عقبة، وابن عائذ، التي لم تُحَدِّد القوَّات بعددٍ معيَّنٍ، وإنَّما ذكرت أنَّهم جموع كثيرة «وكُلّ ما يمكن تصوُّره أنَّ قوَّة العدو كانت أكبر من قوَّة المسلمين، أو أنَّها كانت أضعافها»[٣].

ويعتقد الجنرال أكرم أنَّها ربَّما كانت تتراوح بين عشرة آلاف، وخمسة عشر ألفاً[٤].

إنَّ التحديد الذي ورد في بعض الروايات التي ذكرناها بتلك الأعداد الضخمة، ربَّما كان اجتهاداً من بعض الرواة والإخباريين، أو حتى بعض شهود العيان الذين ربَّما نقل عنهم عروة وغيره من المؤرِّخين.

---

(١) انظر: (الطبري: تاريخ ١٨٣/٢، الكندي: فتوح مصر ٣٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق: المجلدة الأولى ٥٣١، أحمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق ٣٩).

(٢) الشريف: مكّة والمدينة ٥٣٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الجنرال أكرم: سيف الله خالد بن الوليد ١٠٥.

كما لم تزودنا المصادر البيزنطية بمعلوماتٍ وافرة عن الأحداث التي كانت بين بيزنطة والمسلمين، بما في ذلك أحداث معركة مؤتـــة، فنستطيع من خلالها معرفة عدد الجيش البيزنطي والحلفاء فيها، حيث كان الاعتماد على المصادر الإسلامية في ذلك، والتي نادراً ما تخطيء في وصف الأحداث، لاعتمادها على الإسناد الذي يصل في كثيرٍ من الأحيان إلى شهود العيان، أو حتَّى المشاركين في تلك الأحداث، وتلك عملية دقيقة ومرتَّبة لم يُسْبَق المسلمون فيها أبداً، بل لم تعرفها أُمـــَّة من الأُمم على الإطلاق، غير الأُمـــَّة الإسلامية.

ولكن حتَّى شهود العيان والمشاركون في صميم الأحداث لا يستطيعون في بعض الأحيان التعرُّف بدقة على عدد جند العدوّ[1].

بل يعتمدون أحياناً على الحدس والتخمين في إحصاءاتهم لجيوش الأعداء، لأنـــَّه لم تكن هنالك إحصاءات دقيقة معلومة عن عدد الجند والجيوش، كما هو الحال اليوم[2].

---

(١) في غزوة بدر العظمى ابتكر النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم طريقة ذكية عَرَفَ من خلالها عدد جيش قريش، حيث سأل الأسرى الذي أمسك بهم المسلمون: كم ينحرون؟ قالوا: يوماً عشرة، ويوماً تسعة. قال القوم: ما بين الألف والتسعمائة.
(أخرجه أحمد: المسند ١٩٣/٢، والواقدي: مغازي ٥٣/١).
وانظر: (العليمي: مرويات غزوة بدر ٩٩).

(٢) بل إنَّ الكثير من دول العالم اليوم لا تُعْطِي إحصاءات دقيقة وصحيحة لجيوشها لاعتبارات أمنية.

ورُبَّما أنَّ بعض شهود معركة مؤتـــة من المسلمين شاهدوا تلك الكثافة العَدَدِيَّة والعُدَدِيَّة من الجند الروماني المجهَّز بأحدث الأسلحة والعتاد، فهالهم ذلك المنظر الذي لم يتعوَّدوه من قبل، فقدَّروا عددهم اجتهاداً، ذلك التقدير الضخم.

روى الواقدي بسنده عن أبي هريرة ــــ رضي الله تعالى عنه ــــ قال:

[٣٧] ((**شهدت مؤتـــة، فلمَّا رأينا المشركين، رأينا ما لا قِبَل لنا به من العدد والسلاح والكراع، والديباج، والحرير، والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم**[١]**: يا أبا هريرة، مالك؟! كأنَّك ترى جموعاً كثيرة، قلت: نعم. قال: إنَّك لم تشهد بدراً معنا، إنَّا لَم نُنْصَر بالكثرة**))[٢].

((ومهما قيل في مبالغة الذين سجَّلوا تعداد الروم وحلفائهم، فإنَّ الحقيقة تبقى واضحة للدارسين بأنَّ الرُّوم وحلفاءهم كانوا أضعاف تعداد المسلمين، كما أنَّهم يقاتلون في بلادهم دفاعاً عنها، بينما يقاتل المسلمون بعيداً عن قاعدهم الرئيسية المدينة، وبذلك تكون المزايا العسكرية في التفوُّق العَدَديّ والعُدَدِيّ، وفي قرب قواعد الروم إلى قوَّاهم المقاتلة، هذه المزايا مع الروم على المسلمين بلا مراء))[٣].

(١) في الأصل (أرقم)، والتصحيح من الإصابـــة.

(٢) الواقدي: مغازي ٢/٦٧٠.

(٣) خطَّاب: القادة الشهداء ١٨٠.

المبحـــث الثاني: الخـــلاف في قادهم:

وكما اختلفوا في عددهم، اختلفوا أيضاً في قوّادهم.

[٣٨] ففي رواية عروة - وهي الرواية الأكثر شهرة بين روايات أهل المغازي في هذه الغزوة - يذكر أنّ الروم كانوا بقيادة ملكهم هرقل، والحلفاء من القبائل العربية المتنصرة، كانوا بقيادة رجلٍ من بلى، ثُمَّ أحد أراشة يُقال له: مالك بن زافلة[١].

[٣٩] أمَّا رواية الواقدي فيشوها بعض الاضطراب، حيث ذكر أنَّ الذي حشد الجموع رجلٌ من الأزد، يُقال له: شرحبيل بن عمرو[٢]، وأنـــّه قدَّم الطلائع أمامـــه بقيادة أخيه سدوس، فقتله المسلمون، فخاف شرحبيل وتحصَّن[٣]، وبعث أخاً له آخر، يُقال له: وبر بن عمرو، ثُمَّ يذكر بعد ذلك أنَّ هرقل نزل مآب، من أرض البلقاء في بهراء، ووائل، وبكر، ولخم، وجذام، في مائة ألف، عليهم رجل من بلى، يُقال له: مالك[٤].

(١) من رواية عروة عند ابن هشام، وقد سبق تخريجها برقم [٣١].

(٢) شرحبيل بن عمرو هذا هو أحد أمراء هرقل على الشام، وهو الذي قَتَل الحارث بن عمير الأزدي رضي الله تعالى عنه رسول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فكان ذلك سبب وقعة مؤتة، كما ذكر الواقدي ومتابعيه.

(٣) تحصَّن: أي دخل موضعاً حصيناً لا يوصل إلى جوفـــه.

(٤) المغازي ٢/٧٦٠.

وتابعه في ذلك تلميذه ابن سعد، كما مرَّ في المبحث السابق(١).

[٤٠] ويذكر الزهري، وموسى بن عقبة في روايتهما أنـــّه كان عليهم ابن أبي سبرة الغساني(٢).

[٤١] أمَّا ابن عائذ فلم تحدِّد روايتـــه اسم القائد(٣).

[٤٢] وكان للمسعودي رأي آخر، حيث يذكر أنَّ هرقل أنفذ الجيوش للقاء المسلمين من مكان إقامته في أنطاكية، وكان على الروم تيادوقس البطريق(٤)، وعلى متنصرة العرب من غسَّان وقضاعة وغيرهم شرحبيل بن عمرو الغساني(٥).

---

(١) سبق تخريجها برقم [٣].

(٢) أعتقد - والله تعالى أعلم - أنَّ ذلك تصحيف (ابن أبي شمر الغساني) ملك بصرى والجولان، واسمه الحارث بن جبلة، حيث لم تذكر المصادر الأُخرى أنَّ هنالك حاكم آخر في المنطقة اسمه (ابن أبي سبرة)، كما أنَّ مشاركة ابن أبي شمر في الأحداث من حيث أنـــّه هو الذي هدَّد بالمسير إلى المسلمين حينما وصله كتاب النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ترجِّح ما ذكرناه. والله تعالى أعلم.

(٣) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق، المجلدة الأولى ص ٣٩٦) من حديث ابن عائذ عن الوليد بن مسلم، ولكنه منقطع.

(٤) البطريق: رتبة عسكرية بيزنطية تُمَاثل أمير الجيش عند المسلمين في ذلك الوقت. وهي تساوي رتبة لواء في الجيوش العربية الحديثة.

انظر: (مجلة الأزهر، رقم ٤٣، الجزء السابع، ص ٦٤٤).

(٥) المسعودي: التنبيه والإشراف ٢٦٥.

ويؤكِّد بروكلمان ما ذهب إليه المسعودي، مُصَحِّحاً اسم القائد البيزنطي وأنــه (ثيودورس)[١].

وأعتقد أنَّ ما ذهب إليه المسعودي، وأكَّده بروكلمان من قيادة ثيودورس أخي الأمبراطور هرقل لجيوش الحلفاء في مؤتة هو الأصوب، لأنــه لم يرد ذكر هرقل في أحداث المعركة رغم شهرته ومعرفة المسلمين له جيداً، فلو كان هو القائد فعلاً لما أغفلت المصادر الإسلامية - ومنها التي ذكرت قيادته لجيوش الروم - أخباره في ميدان المعركة وأحداثها.

كما أنَّ القول بقيادته للمعركة يتعارض مع ما هو مألوف في نظام الحكم في بيزنطة في ذلك الحين، حيث لم يسبق لإمبراطور بيزنطي قاد جيشاً إلاَّ مرَّتين: الأولى حينما قاد الإمبراطور موريس حملة لمحاربة الآفــار، والثانية حينما قاد هرقل نفسه الجيش البيزنطي في محاولة منه لاسترداد هيبة الإمبراطورية البيزنطية التي فُقِدَت حينما دحرت القوات الفارسية القوات الرومانية في معركة فحل الفاصلة - التي ورد ذكرها في القرآن[٢]- ثُمَّ خرَّبت بيت المقدس، واحتلَّت شطراً كبيراً من أرض الإمبراطورية، حتى أحدقت بالقسطنطينية، وقد قُوبِل كُلٌّ من الإمبراطورين

---

(١) انظر: عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٢٩٦، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٥٩.

وثيودورس: هو أخو الإمبراطور هرقل، وقد قُتِلَ في معركة اليرموك علي يد المسلمين (الطبري: تاريخ ٣/٤٠١).

(٢) في الآيتين ٢ - ٣ من سورة الروم.

بمقاومـــة عنيفة ومعارضة شديدة من مستشاريهما حين قرَّرا قيادة جيشهما آنذاك(١).

والأهم من ذلك كُلِّه هو أنَّ هرقل، بعد أن وصله كتاب النَّبيّ ﷺ بعد الحديبية، وعرف صدق نبوءته ﷺ، أصبح غير متحمسٍ للقاء المسلمين في ميادين القتال، لمعرفته التامَّـــة بأنَّهم سيظهرون على غيرهم من الأُمَم بما فيهم الرومان(٢)، عَرَفَ ذلك من خلال كُتُب النصارى التي بشَّرت بنبي الإسلام أحمد ﷺ(٣)، ومن خلال المنجّمين الذين حذروه من أمة الختان التي ستسلب مكّة منه.

وهكذا، فإنـــَّه في معارك أُخرى جرت بعد ذلك بين المسلمين والبيزنطيين، لم يتولّ هرقل قيادة أي معركة منها، حتى المعارك الحاسمة الضخمة، كاليرموك مثلاً، والتي تُعدّ من حيث حشد القوَّات فيها مِن قِبَل الطرفين، والاستعدادات المبكرة لها، واستشعار الروم وملكهم بخطر المسلمين المستفحل عليهم(٤)، وما كان سيترتب عليها من نتائج في حال ظفر أو هزيمة أيٍّ من الفريقين، أكبر بكثر من مؤتة. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكر ذلك (الباز، العريني: الدولة البيزنطية ١٢٤) نقلاً عن:

Ostrogarowski. G. History of Byzantine State: ٩٠ .

(٢) في حديث أبي سفيان الذي أخرجه البخاري (الصحيح ١/٥) قال هرقل: «فإن كان ما تقول حقّاً، فسيملك موضع قدميَّ هاتين...» الخ.

(٣) انظر: سورة الصف، الآيـــة: ٦.

(٤) بدليل أنَّ هرقل ودَّع بعد المعركـــة سوريـــة الوداع الأخير.

الفصل الخامس: سَيْرُ الأَحْدَاثِ

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: أحداث الطريق إلى مؤتة

المبحث الثاني: وصف المعركة

المبحـــث الأوَّل: أحداث الطريق إلى مؤتـــــة

وفيه مطلبـــان:

المطلب الأول: تشاور المسلمين في معان.

المطلب الثاني: التحرُّشات العدائية التي تعرَّض لها المسلمون في طريقهم إلى مؤتـــة.

المطلب الأول: تشاور المسلمين في معان:

وفي مآب من البلقاء[١]، احتشدت جيوش الحلفاء من الروم والقبائل العربية المتنصرة، فلمَّا علم المسلمون بأمر جموعهم المتفوقة عليهم فواقاً ساحقاً، أقاموا على معان[٢] ليلتين يفكرون في أمرهم، واستشار زيد بن حارثة ــ رضي الله تعالى عنه ــ أصحابه، فقال له بعضهم:

---

(١) مآب - بعد الهمزة المفتوحة ألف، وباء موحدة - وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، افتتحها أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سنة ثلاث عشرة، وجاء في تقويم البلدان: أنَّ مآب مدينة قديمة قد بادت، وصارت قرية تُسَمَّى الربـّـة، وهي من معاملة الكرك على أقل من نصف مرحلة إلى الشمال منها، وهي اليوم قرية صغيرة حيّة من محافظة الكرك.
(انظر: الحموي: معجم ٣١/٥، الملك المؤيد: تقويم البلدان ٤٧، علي العتوم: تجربة مؤتــة ٣٩).

(٢) معان - بالفتح، وآخره نون - وهي مدينة في أطراف الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، وهي عاصمة إقليم الشراة، ومفترق طرق. ومعان اليوم إحدى مدن الأردن المزدهرة، ويبلغ عدد سكانها حوالي خمسةً وعشرين ألف نسمة، وجديرُ بالذِّكر أنَّ معان تبعد عن المدينة المنورة حوالي (٨١٠) كيلاً، وعن مؤتــة حوالي (١٥٠) كيلاً.
(انظر: البكري: معجم ١١٧٢/٤ - ١٢٤١، الحموي: معجم ١٣٥/٥، البلادي: معجم ٣٠٠، رحلات في بلاد العرب ١٤٧، علي العتوم: تجربة مؤتــة ٢٨ نقلاً عن الدستور الأردنية ١٩٨٤/٩/١٠م ص ٧).

[٤٣] «**نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإمَّا أن يُمدَّنا بالرجال، وإمَّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له**»(١).

ويذكر الوليد بن مسلم(٢) أنَّ بعض المسلمين نصح زيد بالانصراف، مكتفياً بما حقَّقه من مكاسب معنوية، قائلاً له:

[٤٤] «**قد وطئت البلاد، وأخفت أهلها، فانصرف، فإنـه لا يعدل العافية شيء، وعبد الله بن رواحة ساكت، فسأله زيد عن رأيـه فقال: إنَّا لم نسر إلى هذه البلاد ونحن نريد الغنائم، ولكنَّا خرجنا نريد لقاءهم،ولسنا نقاتلهم بعددٍولاعُدَّة،فالرأي المسير إليهم**»(٣).

[٤٥] «**فشجَّع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إنَّ التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة وكثرة، ما نقاتلهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنَّما هي إحدى الحسنيين، إمَّا ظهور، وإمَّا شهادة، قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس**»(٤).

وقبل زيد رأيه وسار إليهم.

---

(١) من مرسل عروة عند ابن هشام، وقد سبق تخريجه برقم [٣١].

(٢) الوليد بن مسلم القرسي، مولاهم، أبو العباس الدمشقي (ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية) من الثامنة. مات آخر سنة أربع، أو أوَّل سنة خمس وتسعين. (تقريب ٥٨٤).

(٣) من رواية ابن عائذ عن الوليد بن مسلم، وقد سبق تخريجها برقم [٤١].

(٤) من مرسل عروة عند ابن هشام، وقد سبق تخريجه برقم [٣١].

«إنَّ تشجيع عبدالله بن رواحة المسلمين على قتال الروم وحلفائهم، واستجابة المسلمين لهذا التشجيع، له دلالة لا يُمكن أن يختلف فيها اثنان، هي أنــّه كان يثق ثقةً عالية برجاله، وأنَّ رجاله كانوا يثقون به ثقةً مُطْلَقة، والثقة المتبادلة بين القائد ورجاله من أهمِّ مزايا القائد المتميِّز، ولا يمكن أن يثق الرجال بقائدهم ثقةً مُطلَقة عفواً وبدون أسباب، كما أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لا يولي المراكز القيادية إلاَّ لأشخاص لهم مؤهلات عالية، ومزايا واضحة المعالم، فقد كان ـــ عليه الصَّلاة والسَّلام ـــ يحرِصُ أعظم الحِرْص على تولّي الرجل المناسب للعمل المناسب، تطبيقاً لتعاليم الإسلام في الولاية، وثقة النَّبيّ ﷺ بعبد الله بن رواحة، وثقة رجال عبد الله بن رواحة به، أسبابها وحوافزها واحدة، وهي تَمتُّع عبد الله بن رواحة بالإضافة إلى عمق إيمانه، بمزايا قيادية أهَّلته لأن يكون أحد قادة النَّبيّ ﷺ[1]».

ويعتقد بعض المحلِّلين والمنَظِّرين العسكريين، وغيرهم من المؤرِّخين المعاصرين، أنَّ تشجيع عبد الله بن رواحة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ للمسلمين، واندفاعه بهم نحو العدوّ، رغم تفوقهم العددي، وقُرْب قواعدهم، كان مغامرة خطرة، ومجازفة مهلكة، وخطأً عسكرياً فادحاً، وذلك بموجب المقاييس الماديـــة[2].

(١) خطّاب: القادة الشهداء ١٨٢-١٨٣.

(٢) انظر: خطّاب: القادة الشهداء ١٨١، الغزالي: فقه السيرة ٣٦٦، باشميل: غزوة مؤتـــة ٢٨٤-٢٨٥.

ولكن المقاييس المادية تُطَبَّق على الذين يعتمدون الوسائل المادية وحدها في حروبهم، أمَّا الذين يحاربون حرباً عقديَّة، جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن عقيدهم، وعن حُرِّيَّة انتشارها، فلا تُطَبَّق عليهم المقاييس المادية وحدها، التي تُطَبَّق على غيرهم في حروبٍ استثماريَّةٍ أو توسُّعيَّةٍ من أجل أمجادٍ شخصية، وأحقاد عنصرية أو طائفية، وعلى ذلك فلا تُطَبَّق هذه المقاييس المادية على أمثال عبد الله بن رواحة، لأنَّهم كانوا يخوضون حرباً عقديَّة لا دخل للمادَّة فيها من قريبٍ أو بعيد، وإلاَّ فماذا يمكن أن يُقال في غزوة بدر الكبرى الحاسمة، بالنسبة للمقاييس المادية وحدها، وكان تفوُّق المشركين على المسلمين بنسبة ثلاثة على واحد في الأشخاص، وبنسبة مائة على واحد بالخيل، والخيل أنجح سلاح في الحروب القديمة؟!

لقد حرَّض عبد الله بن رواحة المسلمين على القتال لأغراضٍ عقديَّة، فكان تحريضه خطأً بالنسبة للمقاييس الماديَّة، ولكنَّه كان عين الصَّواب بالنسبة للجهاد والحرب العادلة التي كان يخوضها المسلمون حينذاك[1].

ولكي نعرف مدى اندفاع عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ وحماسه لخوض حرب عقائدية إيمانية هدفها إعلاء كلمة الله عزَّ وجلَّ، وإعزاز دينه، وأقصى ما يتمناه فيها هو نيل شرف الشهادة، وبذل روحه رخيصة في سبيل الله عزَّ وجلَّ، يحدِّثُنا زيد ابن أرقم ــ رضي الله تعالى عنه – وكان من المشاركين في مؤتة – قال:

---

(١) خطّاب: القادة الشهداء ١٨٢-١٨٣.

[٤٦] «كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنــّه ليسير ليلة إذ سمعته وهو يُنشِد أبياته هذه:

إذا أويتنــي وحملت رحلــي   مسيرة أربــعٍ بعــد الحســاء[١]

فشأنك أنعــم وخــلاك ذم   ولا أرجــع إلى أهلي ورائــي[٢]

وجاء المسلمون وغادرونــي   بــأرض الشام مشتهــى الثواء[٣]

في أبيات... قال: فلمَّا سمعتهنَّ منه بكيت. قال: فخفقني بالدرة[٤]، وقال: ما عليك يا لُكع[٥] أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي الرحل[٦]»[٧].

---

(١) الحساء: جمع حسى، وهو ماء يغور في الرمل، وإذا بُحِثَ عنه وُجِد. (شرح السيرة للخشني ٢٨).

(٢) قوله: ولا أرجع، فهو مجزوم على الدعاء، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله. (المصدر السابق).

(٣) الثواء: الإقامـــة. (المصدر السابق).

(٤) خفقني: أي ضربني. والدرة: السوط. (أبو ذر: شرح السيرة ٢٩).

(٥) اللكع: اللئيم. (المصدر السابق).

(٦) شعبتا الرحل: طرفاه المقدّم والمؤخّر. والحقيبة: ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب. (المصدر السابق).

(٧) ذكره ابن هشام (سيرة ٣٧٦/٤) من حديث ابن إسحاق، حدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث عن زيد بن أرقم وسنده فيه مبهم. وقد أخرج ابن عساكر (تاريخ دمشق، عبد الله بن جابر، وعبد الله بن زيد ص ٣٤٨) بسنده عن الزهري بعضه.
=

وكما اندفع عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ بفورة حماس إيمانية زخمة، اندفع ــ أيضاً ــ بفورة حماس شاعرية رائعة، راح يُصَوِّر فيها مقام المسلمين في معان، ثُمَّ انطلاقهم بقوة وحماس إيماني نحو عدوهم المتربص في مآب:

[٤٧] جلبنا الخيل من أجام قرح(١) تغر من الحشيش لها العكوم(٢)

حذوناها من الصوان سبتاً(٣) أزل كأنَّ صفحته أديم(٤)

أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم(٥)

فرحنا والجياد مسومات تنفس في مناخرها السموم(٦)

فلا وأبي مآب لنأتينها وإن كانت بها عرب وروم

=

وأخرج البعض الآخر بسنده عن ابن إسحاق موصولاً ومختصراً، إلى زيد، وسنده حسن.

(١) قرح: هو موضع كان بوادي القرى من صدره، فغلب عليه اسم العُلا لأنّه أعلى الوادي، وكان سوقاً مشهورة في الجاهلية، وهو اليوم مدينة العُلا.
(البلادي: معجم المعالم ٢٥٠، ومرداد: مدائن صالح ٦٤).

(٢) العكوم: جمع عكم. وهو الجنب. (أبو ذر: شرح السيرة ٢٧).

(٣) حذوناها: أي جعلنا لها حذاءً وهو النَّعل. والصوان: حجارة مُلْس، واحدها: صوانة. والسبت: النعال التي تُصنَع من الجلود المدبوغة.

(٤) أزل: أملس. صفحته ظاهرة. والأدم: الجلد. (المصدر السابق).

(٥) الجموم: استراحة الفرس. (المصدر السابق).

(٦) مسومات: أي مرسلات. والسموم: الريح الحارَّة. (المصدر السابق).

عبـــأنا أعنتـــها فجـــاءت عوابس والغبـــــــار لها بريم[١]

(١) البريم: الحزام. وأصل البريم خيط تنظمه المرأة ثُمَّ تشده على وسطها. (المصدر السابق).

وهذا الشعر ذكره ابن هشام (سيرة ٤/٣٧٥-٣٧٦) عن ابن إسحاق الذي رواه معضلاً بلا سند.

المطلب الثاني: التحرُّشات العدائية التي تعرَّض لها المسلمون في طريقهم إلى مؤتـــة:

ومضى زيد ــــ رضي الله تعالى عنه ــــ بالجيش، فسار بهم في مناطق تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية، فكان من الطبعي أن يتعرَّضوا لبعض التحرُّشات العدائية من أهل تلك البلاد الذين كانوا يدينون بولائهم سياسياً، وعقائدياً، للدولة البيزنطية، وإن كانت بينهم خلافات مذهبية متأصلة[١]، ولكنَّهم اتَّحدوا ضد المسلمين.

فيذكر ابن عائذ بسندٍ منقطعٍ ساقه إلى بعض أهل تلك المنطقة من بني سلامان أنَّ زيد بن حارثة ــــ رضي الله تعالى عنه ــــ سار بالمسلمين:

[٤٨] **«على جبال بين الشراة والبلقاء، على ريفها وعمارتها، فمر بقرية من قرى الجبال، يُقال لها: أكثب[٢]، فشدَّ أهلها على ساقة[٣] المسلمين فأصابوهم بجراحة، وقتلوا رجلاً من المسلمين، فبلغ ذلك جماعة الجيش، فاستأذنوا زيد بن حارثة في الرجعة إليهم والانتقام منهم، فقال زيد: لا أرى ذلك، لأنَّ عدوَّكم أمامكم قد جمعوا لكم، ودنوا منكم، فأكره أن تفلّوا حدَّكم[٤] ونشاطكم**

(١) كان نصارى الشام يعاقبة، ونساطرة، وهم يخالفون مذهب الدولة البيزنطية الملكاني.

(٢) لم أجد لها ترجمة في كتب البلدان.

(٣) الساقـــة: مؤخرة الجيش.

(٤) أي تضيِّعوا نشاطكم وقوَّتكم.

بقتال غيرهم، ثُمَّ لا آمن أن يجمعوا لكم فيكونوا من ورائكم، فتكونوا بين عسكرين»[١].

لقد كان رأي زيد ــ رضي الله تعالى عنه ــ: المضي قُدُماً، وعدم استنْزاف قوة المسلمين في قتالٍ قد يُعيق تقدُّمهم نحو عدوّهم، وربَّما كان ذلك سبباً لوقوع المسلمين بين فكَّي كمَّاشة.

وقد مرَّ بنا سابقاً في روايتي الواقدي، وابن سعد، تلك التحرُّشات العدائية التي قام بها شرحبيل بن عمرو الغساني - الذي جمع جموع العرب المتنصرة - وذلك بإرساله الطلائع لتعيق تقدم المسلمين، ولكن محاولاته باءت بالفشل الذريع، حيث قَتَل المسلمون أخاه سدوس، قائد الطليعة الأولى، مِمَّا أثار الذُّعْر والهلع في قلب شرحبيل، فتحصَّن[٢].

---

(١) أي تضيِّعوا نشاطكم وقوَّتكم.

(٢) سبق تخريجهما برقمي [٣]، [١٠].

المبحـــث الثاني وَصْـــفُ الْمَعْرَكَـــةِ

وفيـــه مطالب:

المطـــلب الأول: تعبئة المسلمين

المطلب الثاني: وصف حي لقتال القادة الثلاثة واستشهادهم

المطلب الثالث: اشتعال المعركة بين الجيشين

المطلب الرابـــع: تولي خالد بن الوليد ﷺ القيادة وانسحابه بالمسلمين

المطلب الأول: تعبئة المسلمين:

تحرَّك المسلمون نحو جيوش الروم، وحلفائهم من القبائل، فحصل التماس الأوَّل في تخوم البلقاء «ولكن المسلمين رأوا أنَّ منطقة قرية مؤتـــة، بين الكرك[١] والطفيلة[٢]، أنسب لقبول المعركة فيها، وذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصُّن بها، نظراً لقلَّة قوتهم بالنسبة إلى الأعداء»[٣].

فما «مِن شكٌّ أنَّ قوة العدو كانت أضخم كثيراً من قوة الجيش الإسلامي، وإن لم تبلغ العدد الذي ذكره الإخباريون، وكان التكافؤ منعدماً بين القوتين من حيث العدد، ومن حيث عُدَّة الحرب»[٤].

---

(١) الكَرَك - بفتح أوَّله وثانيه، وهي مدينة تاريخية تقوم على مجموعة من الجبال التي يتخلَّلها واد عميقٍ، وفيها القلعة الحصينة المشهورة، وهي على سن جبل عالٍ تحيط بها أودية إلاَّ من جهة الربض، وكان الصليبيون احتلُّوها فأخافوا الحجَّاج المارِّين بهذا الطريق، وقد هاجمها صلاح الدِّين حتَّى فُتِحَت صُلْحاً عام ٥٨٤ هـــ، وهي اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية.

انظر: (ياقوت: معجم ٤٥٣/٤، البلادي: رحلات ١٥١-١٨٥، لانكستر هاردنج: آثار الأردن ١٢٩-١٣٠).

(٢) بلدة الطفيلة بلدة رائعة الجمال ببساتينها ومناظرها الخلاَّبـــة، تبعد خمسين كيلاً عن مؤتـــة، ولها طريق يذهب جنوباً إلى أذرح، فمعان، وطريق يذهب شمالاً إلى مؤتـــة، فالكَرَك. (علي العتوم: تجربة مؤتـــة ٨٥، البلادي: رحلات ١٥١).

(٣) خطَّاب:الرسول القائد ﷺ ٣٠٧، وانظر: ابن هشام: سيرة ٣٧٧/٤.

(٤) الشريف: مكـــَّة والمدينة ٥٣٥.

وفي مؤتة تعبأ المسلمون، ونظَّموا صفوفهم، كما يذكر ابن إسحاق:

[٤٩] «**فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة، يُقال له: قطبة بن قتادة[١]، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار، يُقال له: عباية بن مالك[٢]، ثُمَّ التقى الناس**»[٣].

وقد لاحظ المسلمون تفوّق الروم وحلفائهم عليهم، ولكنَّهم لم يكترثوا بذلك[٤].

---

(١) قطبة بن قتادة العذري. ذكره ابن إسحاق فيمن شهد مؤتة، وأنشد له فيها شعراً، وجوَّز ابن الأثير أن يكون هو قطبة بن قتادة السدوسي، وفيه بُعْد (ابن حجر: إصابة ٢٣٨/٣).

(٢) قال ابن هشام (سيرة ٣٧٧/٤): ويُقَال: عبادة بن مالك. و لم أعثر على ترجمته.

(٣) من رواية ابن إسحاق، وقد سبق تخريجها برقم [١].

(٤) خطَّاب: الرسول القائد صلَّى الله عليه وسلَّم ٣٠٧.

المطلب الثاني: وصف حي لقتال القادة الثلاثة واستشهادهم:

وبدأ هجوم المسلمين باندفاع قائدهم زيد بن حارثة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ بلواء رسول الله ﷺ نحو صفوف العدو «فحارب مستقتلاً مستميتاً حتَّى مزَّقته رماح العدو»[١] وذلك وفق وصف رواية عروة:

[٥٠] «حتى شاط في رماح القوم»[٢].

إنَّ ذلك الوصف يدل على قوة اندفاع زيد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ واستماتته في القتال، مع عدم اكتراثه بقوة العدو، وكثافته العَدَدِيَّة والعُدَدِيَّة، وهو أمر يدل على فرط شجاعته وجرأته واستهانته بالموت ما دام في سبيل الله ـــ عزَّ وجلَّ ـــ.

وكلمة (شاط)[٣] تعطي عمقاً بعيداً عن مدى شراسة الحملات التي قام بها ذلك البطل المغوار في العمق داخل صفوف العدو، وما تمزيق جسده الطَّاهر برماحهم إلاَّ نتيجة حتمية لتلك الجرأة العظيمة التي كان يتمتع بها، ويحمل بها على العدو، معطياً من نفسه القدوة الصالحة لجنده، وما ذلك إلاَّ لعلو نفسه، وقوة رباطة جأشه.

---

(١) خطَّاب: الرسول القائد صلّى الله عليه وسلّم ٣٠٧.

(٢) سبق تخريجها برقم [٣١].

(٣) أصل الإشاطة: الإحراق، أي كأنــه احترق برماح الأعداء من شدَّة تمزيقها له، وكأنَّهم حنقوا عليه نتيجة الحملات الشرسة والقويــة التي كان يحمل بها عليهم في العُمْق.

نعم! لَمَّا كانت نفس زيد بن حارثة الكلبي ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ حِبِّ رسول الله ﷺ كبيرةً توَّاقةً للمعالي، دفَعَ جسده الطاهر الزكي الثَّمَن غالياً في أحضان رماح العدو وحرابهم[(١)]، وما كاد يسقط القائد البطل شهيداً في سبيل الله تعالى، حتَّى تلقَّف منه اللواء، ومِن ثَمَّ خلفه في القيادة - حسب أمر القائد الأعلى رسول الله ﷺ - بطل آخر شاب من آل بيت النَّبيّ ﷺ موئل البطولات، وأركان الشجاعة، ولا غَرْوَ في ذلك، فهو جعفر ابن أبي طالب ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ، ابن عمّ رسول الله ﷺ بطل الأبطال، وقائد الشجعان.

وتقدَّم البطل الشاب بفرسه يصول ويجول براية رسول الله ﷺ ، حتى إذا ما ألحمه القتال، ترجَّل عن فرسه، كما يذكر أَحَد شهود العيان:

[٥١] «والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرسٍ له شقراء، فعقرها، ثُمَّ قاتل القوم»[(٢)]، راجلاً، وهو يرتجز:

---

(١) يذكر ابن دريد (الاشتقاق ٥٥١) أنَّ الذي باشر قتل زيد رضي الله تعالى عنه، هو مالك بن رافلة قائد العرب المتنصِّرة. و لم أر أحداً قال به غيره.
والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (السنن ٣/٦٢-٦٣)، وذكره ابن هشام (السيرة ٤/٣٧٨)، من حديث ابن إسحاق، قال: حدَّثني ابن عبَّاد، عن أبيه عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، حدَّثني أبي الذي أرضعني، وهو أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة.
وقال أبو داود: «هذا الحديث ليس بالقوي».
وقال الزرقاني (شرح المواهب ٢/٢٧٢) مُعَقِّباً: وكأنــه يريد ليس بصحيح، وإلاَّ فهو حسن، كما جزم به الحافظ، وتبعه المصنِّف.

=

يا حبَّـــذا الجنَّة واقترابها   طيبـــة وبـــارد شرابـــهـــا
والروم روم قددنا عذابها   كافـــرة بعيـــــــدة أنسابهـــا
عليَّ إذا لاقيتها ضرابهـــــا

ثُمَّ اندفع يقاتل بشجاعة نادرة، وجرأة لا مثيل لها، ورباطة جأش عظيمة، والضربات تنهال عليه من كُلِّ جانبٍ ما بين طعنة رمح، وضربة سيف، ورميل نبل، دون أن تثنيه عن الاستمرار، أو تعيق تقدمه بلواء رسول الله ﷺ الذي كان يمثل رمزاً عظيماً للمسلمين في معاركهم، لأجل ذلك كان تركيز العدوّ على إسقاطها شديداً، فلمَّا أعياهم البطل جعفر ــ رضي الله تعالى عنه ــ بقوة تماسُكه، ورباطة جأشه العظيمة، ورأوا أنَّ الضربات على جسده لم تزده إلاَّ إمعاناً وتقدُّماً نحو صفوفهم، عندها حوَّلوا ضرباتهم إلى اليد العظيمة التي كانت تمسك اللواء بقوة، وتقاتل به

=

وقال مغلطاي (الزهر الباسم، الجزء الثاني والعشرين ص ٢٤): على أنَّ لقائلٍ أن يقول: ليس الحديث بضعيف، بل هو صحيح على رسم مسلم في ابن إسحاق، ومحمَّد بن سلمة، وأمَّا يحي بن عباد فوثَّقه غير واحد، وأبوه حديثه في الصحيحين، وجهالة اسم الصحابي لا تضر.

وقال أحمد شاكر (حاشية سنن أبي داود ٦٣/٣): صرَّح ابن إسحاق بسماعه من يحي بن عباد، والإسناد صحيح.

قلت: الإسناد حسن كما جزم بذلك الحافظ (فتح٥١١/٧)، والقسطلاني (المواهب ٥٥١/١)، والألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٨٩/٢) وذلك لأنَّ ابن إسحاق صدوق. والله تعالى أعلم.

بلا هوادة، فقطعوها، وظنَّ الأعداءُ أنَّها النهاية، وأنَّ اللواء سوف يسقط، فتسقط معه معنويات المسلمين، ولكنَّ القائد العظيم تلقَّفه:

[٥٢] ((**بشماله، فقُطِعَت، فاحتضنه بعضديه**))[١]، **ولكن** ((**ورغم استبسال جعفر وثباته هذا، فقد انتهى صموده الرائع بأن سقط شهيداً بعد أن اعتورته سيوف الرومان، وهو يحتضن اللواء في إصرارٍ وتصميمٍ، حتَّى صعدت روحه الطاهرة، ليأخذ مكانه بين الصِّدِّيقين والشُّهداء**))[٢].

بل بين الملائكة:

---

(١) ذكره ابن هشام (السيرة ٣٧٨/٤) روايةً عن مبهم، ولكن له شاهد، أخرجه الحاكم (المستدرك ٢٣٢/٣) من حديث عطاء، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقال فيه حكايةً عن جعفر رضي الله تعالى عنه: ((**ثُمَّ أخذت اللواء بيدي اليُمنى فقُطِعَت، ثُمَّ أخذت بيدي اليُسرى فقُطِعَت...**)) الخ. وقد سكت عنه الحاكم، والذهبي، وأخرجه الطبراني كما في (المجمع للهيثمي ٢٧٣/٩) وقال عنه الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، وأحدهما حسن. وقال عنه ابن حجر (فتح الباري ٧٦/٧): إسناده جيد. وقال ابن كثير (البداية ٢٤٦/٤): وممَّا يشهد لِمَا ذكره ابن هشام مِن قطع يمينه وهي مُمْسِكة باللواء، ثُمَّ شماله، ما رواه البخاري: ثنا محمَّد بن أبي بكر ثنا عمر ابن علي، عن إسماعيل بن أبي خلاَّد، عن عامر قال: ((**كان ابن عمر إذا حيَّا ابن جعفر قال: السَّلام عليك يا ابن ذي الجناحين**)).

(٢) با شميل: غزوة مؤتة ٢٩٦.

[٥٣] «**فقد صحَّ أنَّ الله قد عوَّضه من يديه جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة**[1]**، ويأكل من ثمارها حيث شاء، فلذلك سُمِّيَ**

---

(١) أحاديث الجناحين كثيرة، منها الصحيح، والحسن، والضعيف. وهي بمجموعها تُدلِّل و تؤكِّد صحَّة الخبر:

أ - أخرج البخاري (الصحيح ٥/٨٧) حديث ابن عمر من طريق الشعبي قال: «**كان ابن عمر إذا حيًّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين**». قال ابن حجر (فتح الباري ٧/٧٦): كأنَّـه يشير إلى حديث عبد الله بن جعفر.

ب- قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء». أخرجه الطبراني بإسنادٍ حسنٍ. انتهى.

ج- وأخرج الطبراني، كما في (مجمع الزوائد ٩/٢٧٣) بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حديثاً طويلاً عن المعركة، قال في آخره: «**ذا جناحين يطير بهما حيث شاء، مخضوبة قوادمه بالدماء**». قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن.

د- وأخرج ابن سعد (الطبقات ٤/٣٩) بسنده من حديث حمَّاد بن زيد، عن عبد الله ابن المختار قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**مرَّ بِيَ جعفر بن أبي طالب الليلة في ملأٍ من الملائكة له جناحان...** ». وقد وصله الحاكم بإسناده عن محمَّد بن سيرين، عن أبي هريرة، فذكر نحوه. وقال الحاكم (المستدرك ٣/ ٢٣٤): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص. وابن حجر (فتح الباري ٧/٧٦).

هـ- وأخرج ابن سعد أيضاً (الطبقات ٤/٣٩) بسنده عن الحسن البصري أنَّـه قال: «**إنَّ لجعفر جناحين يطير بهما في الجنَّة...**». وسنده إلى الحسن لا بأس به، إلاَّ أنَّـه مرسل. أخرجه ابن سعد (الطبقات٤/٣٩) من حديث حسين بن عبد الله

=

=

ابن ضمير، عن أبيه، عن جده، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ. فذكر مثله مرفوعاً. وحسين كذَّبه مالك وغيره.

و- وأخرج الترمذي (انظر: تحفة الأحوذي، مناقب جعفر بن أبي طالب، حديث رقم ٣٨٥٢) بسنده عن أبي هريرة-رضي الله تعالى عنه-قال: قال رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-: «**رأيت جعفراً يطير في الجنَّة مع الملائكة**». قال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلاَّ من حديث عبد الله بن جعفر، وقد ضعَّف يحي بن معين وغيره عبد الله بن جعفر، وهو والد علي ابن المديني.

وأخرجه الحاكم (المستدرك ٢٣١/٣) بسنده من طريق علي بن عبد الله بن جعفر المديني بـــه نحوه، إلاَّ أنـــَّه قال فيه: «**ملكاً يطير مع الملائكة بجناحين**».

وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي في التلخيص: المديني واهٍ. وقال ابن حجر (فتح الباري ٧٦/٧) في إسناده ضعف.

وصحَّحه الألباني في ثلاثة مواضع (الأحاديث الصحيحة ١٢٢٦، ومشكاة المصابيح ٦١٥٣، وصحيح سنن الترمذي ٢٩٦٣).

قلت: والصحيح أنـــَّه ضعيف لضعف عبد الله بن المديني، كما ذكر الذهبي، وابن حجر. والله تعالى أعلم.

ز- وأخرج الطبراني (المعجم ١٠٧/٢)، والحاكم (المستدرك ٢٣١/٣) بسنديهما من طريق زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**دخلت البارحة الجنَّة فرأيت فيها جعفراً يطير مع الملائكة**». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال مصطفى عبد القادر عطا (حاشية المستدرك ٢٣١/٣) حذفه الذهبي من التلخيص لضعف سلمة بن وهرام. قال أحمد: روى مناكير أخشى أن يكون ضعيفاً. وقال أبو داود: ضعيف.

=

=

قلت: ولكنَّ ابن حجر (التقريب ٢٤٨) قال عنه: صدوق، وقال في التهذيب ٢/٣٨٤: وثَّقه أبو زرعة، وابن معين. وقال ابن عدي: أرجو أنَّــه لا بأس برواياته الأحاديث التي يرويها عنه غير زمعة. انتهى.

ولكن في إسناده زمعة ابن صالح، قال عنه ابن حجر (التقريب ٢١٧): ضعيف، وحديثه عند مسلم مقرون.

ح – وأخرج ابن عساكر: تاريخ دمشق (عبد الله بن جابر – عبد الله بن زيد ص ٢٧) بسنده من طريق عمر بن هارون البلخي، عن عبد الملك بن عيسى الثقفي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «**لَمَّا جاء نعي جعفر بن أبي طالب دخل النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم على أسماء بنت عميس، فوضع عبد الله ومحمَّداً ابني جعفر على فخذه، ثُمَّ قال: إنَّ جبريل أخبرني أنَّ الله عزَّ وجلَّ استشهد جعفراً، وإنَّ له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنَّة...**».

وأخرجه الطبراني كما ذكر الهيثمي (المجمع ٩/٣٧٣) وقال عنه: فيه عمر بن هارون، وهو ضعيف، وقد وُثِّق، وبقية رجاله ثقات.

قلت: عمر بن هارون قال عنه ابن حجر (تقريب ٤١٧): متروك.

ط – وقال السيوطي (الخصائص ٧٤): أخرج الدارقطني في غرائب مالك عن ابن عمر قال: «**كُنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فرفع رأسه إلى السماء فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقال الناس: يا رسول الله ما هذا؟ قال: مرَّ بي جعفر بن أبي طالب في ملإٍ من الملائكة فسلَّم عليَّ**». قال عنه ابن حجر (الإصابة ١/٢٣٨): ضعيف.

ي – وأخرج ابن سعد (الطبقات٤/٣٩) بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد، عن رجلٍ، أنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**لقد رأيته في الجنَّة – يعني جعفراً – له جناحان مضرجان بالدماء مصبوغُ القوادم**».

=

الطيَّار في الجنَّة»(١).

=

قلت: سنده ضعيف لجهالة الراوي عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ولانقطاع السند إسماعيل بن أبي خالد من الرابعة. والله تعالى أعلم.

ك - وأخرج ابن سعد أيضاً (الطبقات ٣٩/٤) من حديث حسين بن عبد الله بن ضميرة، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «إنَّ لجعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما في الجنَّة مع الملائكة».

قلت: سنده ضعيف، حسين بن عبد الله بن ضميرة، كذَّبه مالك وغيره، ولجهالة أبيه. والله تعالى أعلم.

ل - كما أخرج الطبري (التاريخ ٤١/٣)بسنده من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر قال: لَمَّا أُتِيَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مصاب جعفر، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «قد مرَّ جعفر البارحة في نفرٍ من الملائكة له جناحان مختضب القوادم بالدم، يريدون بيشة أرضاً باليمن».

قلت: سنده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق، ولإرساله، عبد الله بن أبي بكر، من الخامسة، كما أنَّ في متنه نكارة. والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه الحاكم (المستدرك ٢٣٢/٣) من حديث سعدان بن الوليد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، وسكت عنه.

وأخرجه الطبراني في الأوسط، كما ذكر (الهيثمي: مجمع ٢٧٣/٩) وقال الهيثمي: وفيه سعدان بن الوليد لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

قلت: قال عنه ابن حجر (فتح ٧٦/٧): إسناده جيِّد. انتهى. أمَّا سعدان بن الوليد، فهو سعيد بن يحي، ولقبه سعدان،كما تبيَّن في رواية الحاكم الثانية للخبر (٢٣٤/٣-

=

«ويكون أوَّل من حاز على لقب طيَّار في التاريخ الإسلامي، ويتفرَّد به دون النَّاس أجمعين»[١]. ولكنَّه في ذات الوقت ليس طيَّاراً عادياً، أو حتى رائد فضاء، بل طيَّاراً في الجنَّة مع الملائكة المقرَّبين، يطير مع جبريل، وميكائيل، وقد ميَّزه الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ عن الملائكة بأن جعل جناحيه مضرجين، مخضوبةً قوادمه بالدماء[٢]. وذلك علامة على أنَّهما وسام شرف علوي مُنِحَ له مكان يديه اللتين ضحَّى بهما بإصرارٍ في سبيل الله تعالى، وهو يقاوم بقوة وعنادٍ عجيبين ألاَّ تسقط راية رسول الله ﷺ أرضاً.

نعم! سقط القائد الشاب شهيداً، وفي جسده بضعٌ وتسعون ما بين طعنة ورمية، منها:

[٥٤]«خمسون بين طعنةوضربة ليس منهاشيء في دبره،يعني في ظهره»[٣].

وفي ذلك «بيان فرط شجاعته وإقدامـــه»[٤].

=

٢٣٥) وهو صدوق، له حديث واحد عند البخاري (تقريب ٢٤٢)، وبذلك يستقيم قول ابن حجر في إسناده.والله تعالى أعلم.

كما أخرجه الطبراني، كما في (المجمع) وقال عنه الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن.

(١) منير غضبان (فقه السيرة ٥٤٨).

(٢) سبق تخريجه برقم [٥٣]. انظر الحديث رقم (ج).

(٣) أخرجه البخاري (الصحيح ٨٦/٥).

(٤) ابن حجر (فتح ٥١٢/٧).

فلمَّا قُتِلَ جعفر، أخذ عبد الله بن رواحة الرايــة، ثُمَّ تقدَّم بها، وهو على فرسه، وكان لمقتل صاحبيه الواحد تلو الآخر على ذلك النحو المؤثِّر، أثره في نفسه، فيذكر ابن إسحاق بسندٍ حسنٍ عن شاهد عيان من بني مرة، أنــه:

[٥٥] «**جعل يستنْزل نفسه ويتردَّد، بعض التردُّد، ويرتجز:**

أقسمــت يا نفس لتنــزلنَّــه لتـنــزلــن أو لتكرهنَّــه

إن أجلب الناس وشدُّوا الرنَّة[١] **مالــي أراك تكرهيــن الجنَّة**

قد طــال ما كنت مطمئنــة هل أنت إلاَّ نطفة في شنَّــة[٢]

وقال أيضاً:

يا نفس إلاَّ تُقْتَلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيتِ فقد أُعْطِيــتِ إنْ تفعلي فعلهما هُدِيــتِ

يريد صاحبيه زيــداً، وجعفراً، ثُمَّ نزل، فلمَّا نزل أتاه ابن عم له بعرق[٣] **من لحم، فقال: شُدَّ بهذا صُلبك، فإنَّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده، ثُمَّ انتهس منه نهسة**[٤]**، ثُمَّ سمع الحطمة**[٥] **في**

---

(١) أجلب الناس: يُقَال: أجلب القوم إذا صاحوا واجتمعوا. والرَّنــة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

(٢) النطفة: الماء القليل الصافي. والشَّنة: القربــة القديمــة.

(٣) العرق: العظم الذي عليه بعض لحم.

(٤) انتهس: أي أخذ منه بفمه يسيراً.

(٥) الحطمة: الكسرة. والمراد بها هنا اشتداد القتال بين الطرفين.

ناحية النَّاس، فقال: وأنت في الدُّنيا! ثُمَّ ألقاه من يده، ثُمَّ أخذ سيفه، فتقدَّم، فقاتل حتَّى»[1].

[٥٦] «طُعِنَ، فاستقبل الدم بيده، فدلك به وجهه، ثُمَّ صُرِعَ بين الصَّفين، فجعل يقول: يا معشر المسلمين، ذُبُّوا[2] عن لحم أخيكم، فجعل المسلمون يحملون حتَّى يحوزوه[3]، فلم يزالوا كذلك حتَّى مات مكانه»[4].

وينفي بعض المعاصرين روايـــة تردُّد عبد الله بن رواحة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ، كونها تتعارض مع موقفه قبل ذلك من تشجيعه للمسلمين لملاقاة الروم، وتحرُّقه للشهادة في سبيل الله[5].

بينما يربط بعضهم هذا الموقف بما عُرِفَ من تقلبات نفسية الشُّعراء وحساسيتهم[6].

---

(١) سبق تخريجه برقم [٥١].

(٢) الذَّبُّ: الدفع، والمنع. (القاموس: ذَبَّ).

(٣) الحوز: الجمع وضم الشيء، كالحيازة والاحتياز. (القاموس: الحوز).

(٤) أخرجه ابن عساكر: تاريخ (عبد الله بن جابر، عبد الله بن زيد ص ٣٥٧) من طريق أبي إسحاق الفزاري بسنده عن مصعب بن شيبة.

وكذلك ذكره الذهبي (تاريخ الإسلام، قسم المغازي ٤٩٧-٤٩٨)، وابن الأثير (أُسْد الغابة ٣/٢٣٨) تعليقاً عن مصعب.

قلت: وهو منقطع، مصعب بن شيبة العبدري لم يدرك الوقعة.

(٥) انظر: (الدويدار: صور من حياة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ٥٢١-٥٢٣).

(٦) انظر: (عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٢٩٧).

بينما ما حدث من عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ لا يعدو كونه أمراً طبعياً، وموقفاً من مواقف ضعف النفس البشرية يعتريها أوقات الشدة والأزمات، وهو بالتالي لا يُدلِّل على خَوَرِ عبد الله رضي الله تعالى عنه وجُبْنَه، كما يفهمه البعض من ظاهر الرواية، فذلك أمرٌ مفروغٌ منه، فعبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ مشهودٌ له بالشجاعة، والجرأة، ورباطة الجأش، وليس اختيار النَّبيّ ﷺ - وهو الخبير في أصحابه - له قائداً من قوَّاد هذه الموقعة العظيمة التي كانت في عمق الأراضي الخاضعة لنفوذ الدولة البيزنطية، وبعيداً عن قاعدة المسلمين، وانتدابه له سابقاً في أقوى سراياه وبعوثه، وأصعبها مهمّة وجُرأة، وهي سرايا المغاوير، إلاَّ دليلاً من الأدلة القاطعة على ذلك.

والصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ، وإن كانوا مشهورين بالشجاعة والجرأة وحُب الموت في سبيل الله تعالى، فهم في النهاية ليسوا ملائكة، بل بشر يعتريهم الخوف والضَّعْف في مواطنهما، بل ربَّما مغادرة ميدان المعركة، كما حدث من بعضهم في بعض المواقع، وقد سوَّغ لهم الشرع التحيُّز إلى فئــة، وعدم الاستقتال.

إنَّ ما حدث من عبد الله بن رواحة-رضي الله تعالى عنه-أمرٌ طبعي يمكن أن يحدث لكُلِّ إنسان في مثل تلك الظروف الصعبة والمواقف المحرجة.

ولكن معالجة الموقف بمثل تلك القوة، والشجاعة، ورباطة الجأش، لا تحدث من كُلِّ إنسان، فما قام به عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ، لا يقوم به إلاَّ رجال أبطال مؤمنون أمثاله، ولو كان غير ذلك لأطلَقَ لنفسه العنان، ولما استطاع مصابرتها والتغلُّب على فلتاتها.

وكان يمكن أن يمر ذلك الموقف دون أن يحس به أحــــد من الناس، ولكنَّ رجلاً شجاعاً، شاعراً، مؤمناً، مرهف الحسّ، صادقاً مع نفسه، كعبد الله بن رواحة ــــ رضي الله تعالى عنه ــــ، لا يمكن أن يدعه يمر عليه هكذا بسهولة، دون أن يُصَوِّر أحاسيسه تجاهه تصويراً صادقاً قوياً، ويُعَبِّر عن خلجات نفسه نحوه تعبيراً دقيقاً رائعاً بصوتٍ عالٍ مرتفعٍ، استطاع معه شهود العيان، ومِن ثَمَّ الرواة تسجيله بمدادِ العزَّةِ والكرامة، لتتطلَّع عليه الأجيال الإسلامية تلو الأجيال، فتعتبر، ولعلَّه أراد ذلك فعلاً، وبالإضافة إلى ما ذكرناه، فإنَّ سند الرواية التي نقلت الخبر، ساقه ابن إسحاق بطريق حسن إلى شاهد عيان[1]، شارك في المعركة، وقد يعتضد بالمتابعات إلى درجة أعلى، كما أنــــّه لم يصح حديث السرير الذي ذكره ابن إسحاق بلاغاً بلا سند

[٥٧] وذُكِرَ فيه أنَّ النَّبيّ ﷺ رأى في المنام أنَّ منْزلة عبد الله بن رواحة-رضي الله تعالى عنه-دون منْزلة صاحبيه في الجنَّة نتيجة تردُّده»[2].

---

(١) سبق تخريجها برقم [٥٥].

(٢) أخرجه الهيثمي (مجمع ٦/١٥٩-١٦٠) وعزاه للطبراني من حديث ابن إسحاق، وقال عنه: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

قلت: أُدْخِل هذا الحديث في حديث عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، الذي رواه عن أبيه الذي أرضعه من بني مرّة.والدليل على ذلك أنَّ ابن إسحاق روى هذا الحديث بلاغاً، ووقع ذلك في السيرة عند ابن هشام (٤/٣٨٠)، وعند البيهقي (دلائل ٢/ ٣٦٨)،وعند ابن عساكر:تاريخ (عبد الله بن جابر،عبد الله بن زيد ص ٣٤٩).

وقد حكم عليه ابن كثير رحمه الله تعالى بالانقطاع، وعارضه بحديث الصحيح[١].

[٥٨] كما أنَّ الأحاديث الأُخرى المماثلة، جاءت من طُرُق واهية لا يُعْتَدُّ بها[٢].

(١) ابن كثير (البداية ٤/٢٤٥).

(٢) أخرج عبد الرزَّاق (المصنَّف ٥/٢٦٦) عن ابن عيينة، عن ابن جدعان، عن ابن المسيب قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «**مثّلوا لي في الجنَّة في خيمة من دُرّ، كُلّ واحد منهم على سرير، فرأيت زيداً، وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، وأمَّا جعفر فمستقيم ليس فيه صدود... الخ**».

قلت: سنده ضعيف آفته ابن جدعان علي بن زيد التيمي، ضعَّفوه. وذكر ابن أبي حاتم، والعجلي أنَّه يتشيَّع. وقال ابن عدي: كان يغالي في التشيُّع. وذكر حمَّاد بن زيد أنَّه كان يقلب الحديث.

قلت: وهذه الرواية التي ذكرها تفوح منها رائحة التشيُّع بقوَّة. والله تعالى أعلم.

كما أخرج الطبراني (معجم ١٩/١٦٧-١٦٨) من طريق ثابت بن دينار، عن أبي اليسر، حديث أبي عامر الأشعري الذي ذكر فيه عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**دخلت الجنَّة فرأيت جعفراً ذا جناحين مضرجين بالدماء، وزيد مقابله، وابن رواحة معهما، كأنَّه يعرض عنهما، وسأخبركم عن ذلك، إنَّ جعفراً حين تقدَّم فرأى القتل لم يصرف وجهه، وزيد كذلك، وابن رواحة صرف وجهه**».

قال الهيثمي (مجمع ٦/١٦١): فيه ثابت بن دينار، أبو حمزة، وهو ضعيف. وقال عنه ابن حجر (تقريب ١٣٢): رافضيٌّ ضعيف.

قلت: ويظهر التشيُّع في روايته بذكره حديث جعفر رضي الله تعالى عنه فقط من بين أُمراء الوقعة في بداية حديثه عنها. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: اشتعال المعركة بين الجيشين:

هذا وقد أشعلت الحملات والاختراقات البطولية - التي قام بها القادة الثلاثة في العمق داخل صفوف العدو رغم تفوقه العَدَدِي والعُدَدِي - أشعلت حماس المسلمين جميعاً، واشتعل القتال على طول الجبهة، وأبدى المسلمون من صنوف البطولات الجماعية، والفردية، أسوة بقوّادهم ما أذهل الروم وحلفاءَهم.

[٥٩] **فهذا عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه - كما يذكر الأوزاعي في رواية - وفي مجلس من مجالس الأنصار في المدينة، ومعهم نفر منهم، حين نزل قول الله ــ تبارك وتعالى ــ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾.** [سورة الصّفّ، الآية ٤:]. **يعاهدون الله ــ تبارك وتعالى ــ على الجهاد في سبيله حتى الموت، فلمَّا أخذ عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ الرايــة، فصاح بأولئك النَّفر الذين حضروا ذلك المجلس، فتلا عليهم الآيــة وقال لهم: إنَّ ما كنتم عاهدتم الله عليه قد جاء مصداقه، «اصدقوا الله يصدقكم، فجاءوا يخُبُّون[١] كأنَّهم**

---

(١) الخَبَب - محرَّكة - ضرب من العدو، أو كالرمل، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً، وأياسره جميعاً، أو أن يراوح بين يديه، والسرعة خب خباً وخبيباً وخبباً. (القاموس: خبب).

بقر نُزِعَت من تحتها أولادها، فتقدَّموا بين يديه، فلمَّا شدَّ على الروم شدُّوا معه حتى شُدِخُوا[١] جميعاً»[٢].

وهذا عوف بن مالك الأشجعي[٣] -رضي الله تعالى عنه-، أحد شهود العيان والمشاركين في مؤتة، يُحَدّثنا عن إحدى تلك البطولات، فيقول:

---

(١) الشدخ: الكسر في كل شيء رطب أو يابس، وقيل: هو التهشيم. وقال الليث: الشدخ كسرك الشيء الأجوف، كالرأس ونحوه. وفي الحديث: **فشدخوه بالحجارة**. (اللسان، والقاموس: شدخ).

(٢) أخرجه ابن عساكر: تاريخ (عبد الله بن جابر – عبد الله بن زيد ص ٣٥١-٣٥٢) من حديث ابن عائذ بسندٍ صحيحٍ عن الأوزاعي، لكنَّه منقطع، الأوزاعي من السابعة، والمجلس الذي ورد ذكره في الحديث أخرجه ابن عساكر (تاريخ ٥/٣١٤-٣١٥) من طريق ابن المبارك، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢-٤]، نزلت في نفرٍ من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلسٍ من المجالس: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عزَّ وجلَّ لعملنا به حتى نموت. قال ابن رواحة: لا أزال حبيساً في سبيل الله عزَّ وجلَّ حتى أموت، فَقُتِلَ شهيداً رحمه الله.
وأخرجه ابن المبارك في (الجهاد: ١٦) بــه نحوه، وسنده فيه عنعنة ابن جريج، وهو ثقة لكنَّه كان يدلِّس. كما أخرجه الطبري (تفسير ٨٤/٢٨) بسنده عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحـــوه، وفيه أيضاً عنعنة ابن أبي نجيح، وهو ثقة ربَّما دلَّس.

(٣) عوف بن مالك الأشجعي، أبو حمَّاد، ويقال: أبو عبد الرحمن. ذكر ابن حجر في التقريب أنـــَّه من مسلمة الفتح.

قلت: وأظنه سبق قلم منه رحمه الله، حيث ذكر في الإصابة والتهذيب عن الواقدي أنـــَّه شهد خيبر، أو كأنَّ ابن حجر لم يأخذ بقول الواقدي لضعفه، ولكن يشهد له =

[٦٠] «خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، فرافقني مدَدِّيٌّ[١] من أهل اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجلٌ من المسلمين جزوراً[٢]، فسأله المدَدِّيُّ طائفة من جلده[٣]، فأعطاه إيَّاه، فاتَّخذه كهيئة الدرق[٤]، ومضينا، فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب، فجعل الرومي يفري[٥] بالمسلمين، فقعد له المدَدِّيُّ خلف صخرة، فمرَّ به الرومي فعرقب فرسه[٦]، فخرَّ[٧] وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه»[٨].

=

هذا الحديث الصحيح كما جزم بذلك أبو عمر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح وسكن الشام وعمَّر، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ثلاثٍ وسبعين.

انظر: (ابن سعد: طبقات ٤/٢٨٠-٢٨١، ابن عبد البر: الاستيعاب هامش الإصابة ٣/١٣١، ابن حجر: إصابة ٣/٤٣، تهذيب ٤/٤٢٤، تقريب ٤٣٣).

(١) أي: من أمداد اليمن، وقد سبق التعريف بهم.

(٢) الجزور: البعير، أو الناقة المجزورة، أي المنحورة.

(٣) طائفة من جلده: أي قطعة من جلده.

(٤) الدرق: ضرب من الترسة، الواحدة: درقة، تُتَّخذ من الجلود.

(٥) كناية عن المبالغة في القتل.

(٦) عرقب فرسه: أي قطع عرقوبه، وهو عصب غليظ في رجل الدَّابــَّة بمنْزلة الركبة في يدها.

(٧) خرَّ: أي سقط من علو.

(٨) أخرجه مسلم (الصحيح ٤/٢٤)، وأبو داود (سنن ٣/١٦٣) وهذا لفظه. وأحمد (المسند، حديث رقم: ٢٣٩٩٦٠). كلّهم من حديث الوليد بن مسلم، حدَّني

=

[٦١] ويتصدَّى عقيل بن أبي طالب[١] ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ لرجلٍ آخر فيقتله بعد مبارزة بالسيوف[٢].

ولكن، ومع تلك البطولات التي أبداها المسلمون قُوَّاداً وأفراداً، إلاَّ أنـــَّـه بمقتل عبد الله بن رواحة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ، آخر قائد مُعَيَّن في المعركـــة، انفرط عِقد المسلمين و«صار المسلمون لا قائد لهم يحفظ نظامهم»[٣].

«وأصبح الموقف الآن خطيراً، ومن الممكن أن يتحوَّل بسهولة إلى ما هو أسوأ، ويؤدي إلى هزيمة تامـــَّـة للمسلمين»[٤].

=

صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك ﷺ. كما أخرجه ابن حبان (انظر: الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان حديث ٤٨٢٢) به نحوه. إلاَّ أنـــَّـه قال فيه: «**إنَّ مَدَدِيّاً في غزوة تبوك رافقهم...**» فذكر باقي الحديث نحوه.

قلت: قوله: «في غزوة تبوك» وهم، فالثابت أنَّ ذلك كان في غزوة مؤتـــة كما مرَّ. والله تعالى أعلم.

(١) عقيل بن أبي طالب الهاشمي، أخو عليّ وجعفر، وكان الأسنّ. (صحابي، عالمٌ بالنّسب)، مات سنة ستّين. وقيل: بعدها. (تقريب ٣٦٩).

(٢) ذكره الطبراني في (المعجم الأوسط ١/٢٦٥-٢٦٦) من حديث جابر بن عبد الله، وقال عنه الهيثمي: فيه عبد الله بن محمَّد بن عقيل، وهو حسن الحديث، وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

قلت: قال عنه ابن حجر: (تقريب ٣٢١): صدوق، في حديثه لين.

(٣) أبو زيـــد، شلبي: سيف الله خالد بن الوليد ٦٣.

(٤) الجنرال أكرم: سيف الله ١٠٥.

المطلب الرابع: تولي خالد بن الوليد ــ رضي الله تعالى عنه ــ القيادة وانسحابه بالمسلمين:

ويدرك ثابت بن أقرم، أخو بني العجلان ــ رضي الله تعالى عنه[١] ــ هذه الحقيقة، فيحاول تدارك الموقف، ويحتوي خطورته قبل تفاقمها، فيخطف اللواء من يد عبد الله بن رواحة ــ رضي الله تعالى عنه ــ قبل أن يسقط أرضاً:

[٦٢] «**ثُمَّ سعى به حتى إذا كان أمام الناس ركزه، ثُمَّ قال: إليَّ أيـــُّها الناس فاجتمع إليه الناس**»[٢].

[٦٣] «**فقال: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجلٍ منكم. قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد**»[٣] ــ رضي الله تعالى عنه ــ.

---

(١) ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي، حليف الأنصار، ذكره موسى ابن عقبة في البدريين، واتَّفق أهل المغازي على أنَّ ثابت بن أقرم قُتِل في عهد أبي بكر قتله طليحة بن خويلد الأسدي. (إصابـــة ١/١٩٠).

(٢) أخرجه ابن سعد (طبقات ٢/١٣٠) من حديث أبي عامر الأشعري رضي الله تعالى عنه. وسنده ضعيف. كما مرَّ في ص ٢٧٢، حاشية رقم: (٣).

(٣) من رواية ابن إسحاق بسندٍ حسن إلى شاهد العيان من بني مرَّة. وقد سبق تخريجها برقم [٥٥].

«وثابت أبى القيادة، لا نُكُوصاً[١] عن الموت، بل شعوراً بوجود الأكفأ منه في الجماعة، وحملانه الراية خشية أن تسقط من آيات الجرأة في هذا الموقف العصيب»[٢].

«ولقد كان خالد عند ظن أصحابه، لمعـــت عبقريته القتالية في لحظة الامتحان الخطير هذه، فجعل هدفه أن ينسحب بالمسلمين»[٣].

فقد «كانت المهمَّة الأساس المنوطة بخالد في تلك الساعة العصيبة من القتال أن ينقذ المسلمين من الهلاك الجماعي، فبعد أن قدَّر الموقف واحتمالاته المختلفة قدراً دقيقاً، ودرس ظروف المعركة درساً وافياً، وتوقع نتائجها، اقتنع بأنَّ الانسحاب بأقل خسارة ممكنة هو الحل الأفضل»[٤].

ولأنَّ «قتال الانسحاب شاق مرهق، وبخصاصة وأنَّ خالد لا يريد إشعار الروم بهذه الخطة»[٥]، «لاحتمال انقلاب الانسحاب إلى هزيمة، والهزيمة كارثـــة تؤدي إلى خسائر فادحة بالمنهزمين»[٦].

من أجل ذلك رأى القائد الذكي المحنَّك، أنـــَّه حتى يؤَمِّن انسحابه من ميدان المعركة بقوَّةٍ وانتظام، وبأقل خسائر، لا بـــُدَّ أن يستخدم

(١) نَكَصَ عن الأمر نُكُوصاً، ونَكْصاً ومنكصا: تكأكأ عنه وأحجم.

(٢) الغزالي: فقه السيرة ٣٦٨.

(٣) خليل: دراسة في السيرة ٢٩٨.

(٤) ياسين سويد: معارك خالد بن الوليد ١٧١.

(٥) الغزالي: فقه السيرة ٣٦٩.

(٦) خطَّاب: الرسول القائد صلَّى الله عليه وسلَّم ٣٠٨.

أُسلوب (**الهجوم أفضل وسيلة للدفاع**)، فبدأ في «تحقيق هدفه، بأن رسم خطَّةً سعى فيها إلى إيهام العدو أنَ المسلمين لازالـــوا في أماكنهم يقاتلون، فدفع مقدمتهم إلى مناوشة العدو»[١]. بينما تحرَّك ببقية الجيش، وأعاد تنظيم قوَّاته،وألَّف مؤخرة قوية لحماية الانسحاب من ميدان المعركة.

«لقد كان خالد قائداً ماهراً، محرِّكاً للجيوش لا نظير له، أُلْهِمَ القيادة إلهاماً، فهو يستعين في مواقفها بكُلِّ ما عرفت الحرب من فنٍّ يستخدمه على السليقة[٢]، وعلى البصيرة الملهمة، فدار بالجيش دورةً ضمَّ بها صفوفه، ثُمَّ قاتل به في غير اندفاع، ومع ذلك في غير تراجع، وكان بذاتـــه قدوةً للمسلمين»[٣].

يقول ــ رضي الله تعالى عنه – واصفاً قوَّة الانسحاب الذي نفَّذه مع المسلمين، وشِدَّة القتال، وضراوتـــه في أثناء الانسحاب، نتيجة ضغط العدوِّ عليهم –:

[٦٤] «**لقد انقطعت في يدي يوم مؤتـــة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلاَّ صفيحة يمانية**»[٤].

ولَّما رأى المسلمون ما يصنعه خالد بن الوليد ــ رضي الله تعالى عنه ــ، ازدادت حميتهم للقتال، واشتعل حماسهم، فهاجموا بعنف على طول

---

(١) خليل: دراسة في السيرة ٢٩٩.

(٢) السليقة: يعني على الفطرة والطبيعة.

(٣) الشريف: مكـــّة والمدينة ٥٣٦.

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح ٥/٨٧).

الجبهة، فالمثل الذي ضربه خالد ــ رضي الله تعالى عنه ــ لهم قد أثار الحميَّة والشجاعة في صفوف المسلمين، وازدادت المعركة عنفاً[1]، لدرجة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: وهو يصف أحداث المعركة للصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ في المدينة:

[٦٥] «**الآن حمي الوطيس**»[2].[3].

نعم! لقد حمي وطيس المعركة بين الطرفين، حتى إنَّ المسلمين نسوا ما أصابهم بفقدان قادتهم الثلاثة في بداية المعركة:

[٦٦] **فيندفع قطبة بن قتادة العذري، قائد ميمنة المسلمين، إلى الأمام، فيطعن مالك بن رافلة الأراشي، قائد العرب المتنصرة، حلفاء الروم في المعركة، برمحٍ مضى فيه ثُمَّ انحطم، كما وصف ذلك في شعره الذي قاله مفتخراً بقتله:**

طعنت ابن رافلة بن الأراشي برمحٍ مضى فيه ثُمَّ انحطــــم
ضربتُ على جِيدِه ضربـــةً فمال كما مـــال غصن السلم[4]

---

(١) الجنرال أكرم: سيف الله ١٠٦.

(٢) الوطيس: الضراب في الحرب، ولم يُسمع هذا الكلام من أحد قبل النَّبيّ ﷺ، وهو من فصيح الكلام عبَّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق.
(الشامي: سبل ٦/٢٥٩-٢٦٠).

(٣) أخرجه ابن عساكر (تاريخ ٥/٥٤٤) من رواية ابن عائذ بسنده عن العطَّاف بن خالد وهو منقطع.

(٤) من رواية ابن إسحاق، وقد سبق تخريجها برقم [٥].

ثُمَّ بدأ خالد بن الوليد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ بعد ذلك عملية الانسحاب الشاملة من ميدان المعركة، عندما قامت مؤخِّرة المسلمين بقتال التعويق لإحباط مطاردة العدو للمسلمين، وإنقاذ القسم الأكبر من قوات المسلمين من التطويق(١).

وانتشرت المؤخِّرة على جبهةٍ واسعة، واستطاع خالد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ قطع التماس القريب مع العدوِّ، ولكنَّـــه لم يكن بعيداً عن مدى النبال، وكان تراجع المسلمين تحت حماية وابلٍ من سهام النَّبَّالة الذين كان على رأسهم النَّبَّال الإسلامي المشهور

[٦٧] «**واقد بن عبد الله التميمي(٢)، وكان من أرمى الناس، وقد كبَّر وقال: ارفعوني على ترس(٣)، فرفعوه، فقال: انظروا إلى مواقع نبلي، فإن رضيتم أخبروني، فرمى المشركين حتَّى ردَّهم الله**»(٤).

---

(١) خطَّاب: الرسول القائد ﷺ ٣٠٨.

(٢) واقد بن عبد الله بن عبد مناف التميمي، حليف بني عدي بن كعب، ذكره موسى وابن إسحاق فيمن شهد بدراً، وكان واقد هو الذي قتل ابن الحضرمي في نخلة، وكانت بنو يربوع تفتخر بذلك. قال ابن أبي حاتم: مات واقد في أوَّل خلافة عمر رضي الله تعالى عنه. (إصابـــة ٣/٦٢٨).

(٣) الترس: الدرقة، جمعها درق، وتُتَّخذ من الحديد أو المعدن، ويستخدمها المحارب في ميدان المعركة كوقاية من ضربات العدو.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور (السنن ٢/٢٩٧-٢٩٨) بسندٍ صحيحٍ عن سعيد بن أبي هلال، الذي رواه بلاغاً، وهو منقطع، سعيد بن أبي هلال لم يدرك الواقعة.

وعندما تراجع المشركون «جمع خالد قوَّاته، وقطع التماس مع العدوِّ، وانسحب مع قوَّاته بعيداً إلى الخلف، وأصبح الجيشان يواجهان بعضهما خارج مدى النبال، وكان كلاهما يلتمس الراحة وإعادة التنظيم»(١).

ويذكر ابن الديبع الشيباني،أنَّ خالد بن الوليد–رضي الله تعالى–عنه:

[٦٨] «**قاتل قتالاً شديداً ودافع عن المسلمين حتى انحاز بهم إلى جبل**»(٢).وكانت تلك فرصة للمسلمين لدفن شهدائهم في المعركة. قال سعيد بن أبي هلال(٣):

[٦٩] «**بلغني أنَّهم دفنوا يومئذ زيداً، وجعفراً، وابن رواحة في حُفْرَةٍ واحدةٍ**»(٤) كما تمَّ تقسيم أسلاب القتلى من العدوِّ على مقاتليهم، إلاَّ أنَّ خالداً ــ رضي الله تعالى عنه ــ استكثر سلب الرومي الذي قتله المَدَدِّيّ، فبعث إليه:

[٧٠] «**خالد بن الوليد، فأخذ من السلب. قال عوف: فأتيته، فقلت: يا خالد! أما علمت أنَّ رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟!.**

(١) الجنرال أكرم: سيف الله ١٠٦–١٠٧.

(٢) وجيه الدين عبد الرحمن بن علي: حدائق الأنوار ٦٥٦/٢.

(٣) سعيد بن أبي هلال الليثي، مولاهم، أبو العلاء المصري، (صدوق، لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفاً، إلاَّ أن الساجي حكى عن أحمد أنــه اختلط)، من السادسة، مات بعد الثلاثين، وقيل: قبلها. (تقريب ٢٤٢).

(٤) سبق تخريجه برقم [٦٧].

قال: بلى، ولكني استكثرته. قلت: لتردَّنــّـه عليه، أو لأُعَرِّفَنَّكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يردَّ عليه»[1].

وهكذا استطاع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، بتوفيقٍ من الله، ثُمَّ بحنكته وتدبيره، أن يحتفظ بتوازن المعركة حتى الليل.

[٧١] «**ثُمَّ أصبح غازياً، قد جعل مقدّمته ساقه، وساقته مقدمة، وميمنته ميسرة، وميسرته ميمنة، فأنكروا ما جاء به من خلاف ما كانوا يعرفون من راياهم وهيئتهم وقالوا: قد جاءهم مدد»**[2].

فرعبوا، ولسان حالهم يقول: «إذا كان المسلمون على قلَّتهم، قد فعلوا ما فعلوا بالأمس، فكيف وهم اليوم قد جاءهم المدد، وازداد العدد؟!.

لقد أحجم الروم عن الهجوم، وكذلك لم يهاجمهم خالد، فقد كان يريد أن يخرج من المعركة غير المتكافئة بجيشه سليماً، ويُرْعِب العدوَّ حتى لا يلاحقه في تراجعه، فلمَّا اطمأنَّ إلى نجاح خطته تراجع بقوَّاتِه، وبَعُدَ بها حتَّى صارت في مأمنٍ»[3].

وهكذا:

[٧٢] «**انحاز الفريقان كُلٌّ عن كُلٍّ قافلاً عن غير هزيمة، فقفل المسلمون على طريقهم التي أبدوا منها، حتَّى مرُّوا بتلك القرية،**

---

(١) من رواية عوف بن مالك الأشجعي، وقد سبق تخريجها برقم [٦٠].

(٢) أخرجه ابن عساكر: تاريخ (المجلد الأول ص ٣٩٧) من رواية ابن عائذ بسندٍ صحيحٍ إلى العطَّاف بن خالد، لكنَّه منقطع.

(٣) الشريف: مكــّـة والمدينة ٥٣٧.

والحصن الذي كانوا شدوا على ساقهم،وقتلوا رجلاً منهم، فحاصروهم في حصنهم حتى فتحه الله عليهم عنوة، فقتل خالد مقاتلتهم في نقيعٍ(١) **إلى جانب حصنهم صبراً فيها، فَسُمِّي ذلك النقيع، نقيع الدم إلى اليوم، وهدموا حصناً هدماً لم يعمر بعده إلىاليوم»**(٢). ثُمَّ رجع خالد رضي الله تعالى عنه بالمسلمين سالمين إلى المدينة.

وبذلك استطاع سيف الله بث الرُّعب في قلوب حلفاء الروم، وأعوانهم من العرب المتنصِّرة، الذين يمرّ المسلمون في طريق عودهم عبر أراضيهم، فلم تذكر الروايات أنَّهم تعرَّضوا للمسلمين بأي أذى كما فعلوا بالأمس.

---

(١) النَّقيع: البئر الكثيرة الماء. (القاموس: نقيع).

(٢) من رواية محمَّد بن عائذ، عن رجلٍ من بني سلامان. وقد سبق تخريجها برقم [٤].

الفصل السادس: نتائـــج المعركـــة

وفيـــه مباحـــث:

المبحـــث الأوّل: نقل النَّبِيّ ﷺ لأصحابه في المدينة أحداث المعركة.

المبحث الثاني: تحرُّك النَّبِيّ ﷺ بالمسلمين سريعاً لإمداد أهل مؤتة.

المبحث الثالث: شهداء المسلمين في المعركة، وقتلى العدو.

المبحث الرابع: الخلاف في نتيجة المعركـــة.

المبحث الخامس: ردة فعل أهل المدينة لنتيجة المعركة.

المبحث السادس: حزن النَّبِيّ ﷺ وأصحابه على قتلى مؤتـــة.

المبحـــث الأوَّل: نقل النَّبِيّ ﷺ لأصحابـــه في المدينة أحداث المعركـــة:

كُلُّ تلك الأحداث كانت تجري على أرض المعركة بعيداً في مؤتـــة، ورسول الله ﷺ ينقلها بتفاصيلها أولاً بأوَّل مباشرةً لمن كان بالمدينة من الصحابة ـــ رضي الله تعالى عنهم ـــ:

[٧٣] «**فقال: أخذ الرايـــة زيد فأصيب، ثُمَّ أخذ جعفر فأُصيب، ثُمَّ أخذ ابن رواحة فأُصيب - وعيناه تذرفان - حتَّى أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله، حتَّى فتح الله عليهم**»(١).

وفي حديث أبي قتادة:

[٧٤] «**ثُمَّ أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأُمراء، هو أمَّر نفسه، ثُمَّ قال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ إنـــَّه سيفٌ من سيوفك فأنت تنصره، فَمِن يومئذٍ سُمِّيَ سيف الله**»(٢).

وتلك كانت معجزة نبويـــة، أطلع الله سبحانه وتعالى من خلالها رسوله الكريم ﷺ على أحداث المعركة، وهو على بُعْد آلاف الكيلومترات عنها عياناً، وكأنـــَّه حاضرٌ معهم.

يذكر موسى بن عقبة في روايته أنَّ رسول الله ﷺ قال:

[٧٥] «**إنَّ الله–تبارك وتعالى–رفع لي الأرض، حتَّى رأيت معتركهم**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (الصحيح ٥/٨٧).

(٢) سبق تخرجه برقم [١٥].

(٣) سبق تخريجها برقم [٢].

وإذا كانت هذه الرواية فيها بعض الضَّعف باعتبار أنَّها مرسلة، فهناك بعض الوقائع المماثلة التي قد تؤيِّد وقوعها، فهذه المعجزة نظير ما وقع في قصَّة الإسراء، حيث قال النَّبيُّ ﷺ:

[٧٦] «**لَمَّا كذَّبتني قريش قمت في الحِجْر، فجلَّى الله لِيَ بيت المقدس، فطفقت أُخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما. انظر (فتح الباري ٨/٣٩١).

المبحـــث الثاني: تحرُّك النَّبيّ ﷺ بالمسلمين سريعاً لإمداد أهل مؤتـــة:

كان الروم وحلفاؤهم قد أحجموا عن مطاردة المسلمين نتيجة تلك المناورة الذكية التي قام بها خالد بن الوليد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ في ميدان المعركة، ولكنَّ الذي زادهم إحجاماً ورعباً، تلك المناورة الأذكى من مبتكر المناورات الذكيـــَّة الذي سمَّى:

[٧٧] «**الحربَ خـــدعــــة**»(١). القائد الأعلى للقوات الإسلامية، رسول الله ﷺ، الذي ما أن وصله الخبر مباشرةً عن أحداث المعركة بواسطة الوحي الإلهي، حتَّى أمر المسلمين في المدينة - بعد أن قصَّ عليهم الخبر - كما أسلفنا - بالتحرُّك سريعاً لإمداد المسلمين في مؤتـــة، حيث قال - كما في حديث أبي قتادة ﷺ -:

[٧٨] «**انفروا، فأمدُّوا إخوانكم ولا يتخلَّفَنَّ منكم أَحَد، فنفروا في حَرٍّ شديد، مشاةً وركبانا، وذلك في حَرٍّ شديد**»(٢).

وإذا كان خبر تحرُّك المسلمين سابقاً من المدينة نحو مؤتـــة، قد وصل إلى مسامع الروم وحلفائهم بسرعة فائقة، مكَّنتهم من الاستعداد لهم

---

(١) حديث صحيح. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، وجابر بن عبد الله، رضي الله تعالى عنهم. انظر: (فتح الباري ٦/١٥٨).

قال النووي (صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٤٥): واتَّفقوا على جواز خداع الكُفَّار في الحرب كيفما أمكن، إلاَّ أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز.

(٢) سبق تخريجه برقم [١٥].

ذلك الاستعداد الجيد، فإنَّ الخبر بمسير رسول الله ﷺ بالمسلمين من المدينة سريعاً لإمداد إخوانهم في مؤتـــة، ربَّما يكون قد وصل إلى مسامع الروم وحلفائهم أسرع مِمَّا كان متصوَّراً في ذلك الوقت:

[٧٩] نظراً للتأييد الإلهي للنَّبِيِّ ﷺ بتلك المعجزة النبويـــة التي خصَّه الله بها دون غيره من الأنبياء، وهي النَّصر بالرُّعب مسيرة شهر[١].

والمسافة بين المدينة وبيت المقدس كانت تساوي مسيرة شهر في ذلك الوقت، فإذا علمنا أنَّ مؤتـــة كانت أقرب للمدينة من بيت المقدس، فإنه لا بُدَّ أن يكون الرعب قد دخل قلوب الروم وحلفائهم منذ اللحظة التي تحرَّك فيها النَّبيّ ﷺ مع المسلمين من المدينة، فآثروا السلامة، مكتفين بما حقَّقوه في بداية المعركة، وتجنَّبوا المغامرة الخطرة في تعقُّب المسلمين، خوفاً من الاصطدام بالمدد النَّبويِّ المتحرِّك سريعاً من المدينة صَوْب منطقة العمليات في مؤتـــة.

و لم توضِّح الرواية، ما حدث بعد ذلك، وإن كان ابن أبي شيبة، قد زاد في روايته للخبر أحداثاً تفرَّد بها حول سير النَّبِيِّ ﷺ بالمسلمين، ولكنَّها قد تكون مدرجة من حديثٍ آخر[٢].

---

(١) أخرج البخاري في الصحيح (فتح الباري ٤٣٦/١) عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: «**إنَّ النَّبيّ ﷺ قال: أعطيت خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعلَت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركته الصَّلاة فليُصَلِّ، وَأُحلَّت لي الغنائم ولم تُحَلّ لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة،وكان النَّبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصّة، وبُعِثْتُ إلى الناس عَامـــَّة**».

(٢) انظر: (المصنَّف ٥١٢/١٤ - ٥١٦).

الشاهدُ أنَّ تلك الحركة من رسول الله ﷺ، قد تكون (مناورة تكتيكية) لإرهاب الأعداء، وإدخال الرُّعب في قلوبهم، وقد أدَّت مهمَّتها على الوجه المطلوب. والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: شهـــداء المسلمـــين في المعركـــة، وقتـــلى العـــدو:

وهكذا أُسدِل الستار على تلك المعركة العظيمة، وفقد المسلمون من رجالهم بضعة عشر شهيداً، بالإضافة إلى القادة الثلاثة ـــ رضي الله تعالى عنهم ـــ أجمعين.

هذا وقد اختلفت المصادر في تسمية بعضهم، بينما اتَّفقت في تسمية الأغلبية منهم، وهذه تسمية مَن اتَّفق عليه أصحاب المغازي منهم: من قريش، ثُمَّ من بني هاشم: جعفر بن أبي طالب ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ، ثُمَّ زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه.

ومن بني عدي بن كعب: مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ.

ومن بني عامر بن لؤي، ثُمَّ من بني مالك بن حسيل: وهب بن سعد بن أبي السرح ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ.

ومن الأنصار، ثُمَّ من بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ، وعباد بن قيس ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ.

ومن بني مازن بن النجار: سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ.

ومن بني غنم بن مالك بن النجار: الحارث بن النعمان بن أسامة بن نضلة بن عبد عوف ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ[1].

---

(١) ذكر ذلك كُلٌّ من:ابن إسحاق(ابن هشام:سيرة٤/٣٨٨)،والواقدي(مغازي٢/٧٦٩)، وموسى بن عقبة (ابن عساكر:تاريخ،السيرة النبويـــة،المجلدة الأولى،ص ٣٩٢).

هؤلاء هم الذين اتفق عليهم أهل المغازي، أمَّا المختلف فيهم فهم كالتالي:

زاد ابن هشام، نقلاً عن ابن شهاب الزهري: أبا كليب، أو كلاب، وأخاه جابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول، وهما لأب وأم. وهما من بني مازن بن النجار.

ومن بني مالك بن أفصى: عمرو، وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعيد بن عامر بن ثعلبة(١).

وزاد موسى بن عقبة(٢)، وابن سعد(٣)، وابن الكلبي(٤)، والزبير بن بكار(٥): هبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي(٦).

---

(١) ابن هشام (سيرة ٣٨٩/٤).

(٢) أخرجه ابن عساكر (تاريخ، السيرة النبوية، المجلدة الأولى ص ٣٩٢).

(٣) ذكره الشامي (سبل ٢٤٥/٦) نقلاً عنه.

(٤) ذكره الشامي (سبل ٢٤٥/٦) وعزاه إليه.

(٥) ذكره الشامي (سبل ٢٤٥/٦) نقلاً عنه.

(٦) قال الشامي (سبل ٢٤٥/٦): وقال عروة، وابن شهاب الزهري، وابن إسحاق، وابن سعد: استشهد بأجنادين. وقال سيف بن عمر: استشهد باليرموك.
وقال ابن عبد البر (الاستيعاب، هامش الإصابة ٦٠٩/٣) قيل: إنــَّه قُتِلَ يوم مؤتــة، وقال الحسن بن عثمان: وقال الواقدي أيضاً: إنــَّه استشهد يوم أجنادين، وهو عندي أشبه، لأنــَّه لم يذكره ابن عقبة فيمن قُتلَ يوم مؤتــة.
قلت: ولكن في الرواية التي أخرجها ابن عساكر عن موسى بن عقبة، ذكره فيمن استشهد بمؤتــة، فليتأمل ذلك. والله تعالى أعلم.

وزاد موسى بن عقبة أيضاً: عبد الله بن الربيع الأنصاري. ومن بني رزيق: معاذ بن ماعص. وقال الشامي: ووقع في نسخة من مغازي موسى بن عقبة: أنَّ الذي استشهد بمؤتـــة، أخاه عبَّاد[١].

وزاد ابن سعد، والعدوي، وابن جرير الطبري[٢]: زيد بن عبيد بن المعلَّى الأنصاري[٣].

[٨٠] وزاد ابن إسحاق، كما في الإصابـــة، وجزم به في الزَّهر[٤]: عبد الله بن سعيد بن العاص بن أُميـــة[٥].

[٨١] وزاد البلاذري، والكلبي: الهوبجة بن بجير بن عامر بن سفيان بن أُسيد بن زائدة بن حصين، الضبِّي[٦].

«أمَّا العدو فلا توجد معلومات عن مقدار خسارته، ولكنَّها لا شكَّ كانت جسيمة، لأنَّ كُلَّ قائدٍ من قادة المسلمين الذين تولَّوا القيادة

(١) هذه النسخة هي التي نقل منها ابن عساكر.

(٢) ذكره الطبري في كتاب الصحابة له، وهو مفقود.

(٣) ذكر ذلك عنهم الشامي (سبل ٦/٢٤٤).

(٤) قال مغلطاي (الزهر الباسم: الجزء الثاني والعشرين، ص ٢٧): قيل: إنَّ اسمه كان قبل الإسلام الحكم، فسمَّاه رسول الله ﷺ لَمَّا أسلم: عبد الله.
وانظر: مصعب الزبيري: نسب قريش ١٧٤.

(٥) انظر: (ابن حجر: إصابة ١/٣٤٤، ٢/٣١٩، ومغلطاي: الزهر الباسم، الجزء الثاني والعشرين، ص ٢٧).

(٦) انظر: (البلاذري: أنساب: اللوحة٢/٤١٤/ أ، والكلبي: جمهرة النسب ٢٩٦) وفيه: فيقال إنَّ جسده فُقِد.

قبل خالد كان شجاعاً، ومقاتلاً بارعاً، كما أنَّ السيوف التي كُسرت بيد خالد، لا شكَّ أنَّها كُسِرت في أجساد الأعداء»[١].

«فماذا ترى قد قَتلَ بهذه الأسياف كُلِّها دع غيره من الأبطال الشجعان من حملة القرآن»[٢].

[٨٢] **ويذكر ابن إسحاق: أنَّ كاهنة من قبيلة حدس[٣]، أنذرت قومها حين قدم جيش المسلمين، فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين لخم، فلم يشاركوا في جيش الحُلَفاء ضد المسلمين،** «**فلم تزل بعد أثرى [٣] حدس، وكان الذين صلوا[٤] الحرب يومئذٍ بنو ثعلبة، بطن من حدس، فلم يزالوا قليلاً بعد**»[٥]. فذلك يعني أنــَّه قُتِل الكثير منهم في المعركة.

والله تعالى أعلم.

---

(١) الجنرال أكرم: سيف الله ١٠٦-١٠٧.

(٢) ابن كثير: البدايــة ٢/٢٥٩.

(٣) حدس: بطن من قبيلة لخم المشهورة.

[٣] أثرى: من الثروة، وهي الكثرة، أي أكثر مالاً وعدداً.

(٤) أي: اصطلوا بنار الحرب.

(٥) رواه ابن إسحاق (ابن هشام: سيرة ٤/٣٨٢) بلا سند، فهو معضل.

المبحث الرابـــــع: الخلاف في نتيجة المعركـــة:

اختلف أهل المغازي حول نتيجة مؤتـــة اختلافاً كبيراً، وثمرة هذا الخلاف ثلاثة أقوال:

[٨٣] القول الأوَّل: إنَّ المسلمين هَزموا الروم هزيمة منكرة في مؤتـــة.

وهذا القول أشار إليه الزهري، فيما رواه عنه الطبراني(١)، ونقله عنه ابن هشام بلاغاً(٢)، وهو اختيار موسى بن عقبة(٣)، ورواه ابن عائذ بسنده عن العطَّاف بن خالد(٤)، ورجَّحه البيهقي(٥)، وابن كثير(٦).

---

(١) سبق تخريج رواية الزهري برقم [٢].

(٢) انظر: (ابن هشام: سيرة ٤/٣٨٣).

(٣) سبق تخريج رواية موسى بن عقبة برقم [٢]، ويلاحظ على رواية موسى أنَّها مطابقة تماماً لرواية الزهري، مِمَّا يُعْطِي انطباعاً أنـــَّه رواها عنه. والله تعالى أعلم.

(٤) سبق تخريجه برقم [٧١].

(٥) قال البيهقي (دلائل ٤/٣٧٥): قد اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم، منهم مَن ذهب إلى ذلك، ومنهم مَن زعم أنَّ المسلمين ظهروا على المشركين وانهزم المشركون، وحديث أنس بن مالك عن النَّبيّ ﷺ: «ثُمَّ أخذها خالد ففتح عليه»، يدل على ظهوره عليهم. والله تعالى أعلم بالصواب.

(٦) قال ابن كثير (البداية ٤/٢٤٩-٢٥٠) بعد أن ساق حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه: وهذا يقتضي أنَّهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم، وقتلوا من أمرائهم، وقد تقدَّم فيما رواه البخاري أنَّ خالداً رضي الله عنه قال: اندقَّت في يدي يوم مؤتـــة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلاَّ صفحة يمانية. وهذا يقتضي أنَّهم أثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلُّص منهم.
=

[٨٤] القول الثاني: إنَّ الروم هم الذين هَزموا المسلمين.

وجزم به الواقدي(١)، وكاتبه ابن سعد(٢)، وقال به طائفة من المستشرقين(٣)، ومن تبعهم من المستغربين وغيرهم من بعض الباحثين

=

هذا وحده دليلٌ مستقلٌ، وقد ذكر ابن إسحاق: أنَّ قطبة بن قتادة العذري – وكان رأس ميمنة المسلمين – حمل على مالك بن زافلة، ويقال: رافلة، وهو أمير أعراب النصارى فقتله، وقال يفتخر بذلك:

طعنت بن رافلة الأراشي   برمحٍ مضى فيه ثُمَّ انحطم

فذكر شعره إلى أن قال:

وسقنا نساء بني عَمِّه   غداة رقوقين سوق النعم

وهذا يؤيد ما نحن فيه، لأنَّ مِن عادة أمير الجيش إذا قُتِلَ أن يفرَّ أصحابه، ثُمَّ إنَّه صرَّح في شعره بأنَّهم سبوا من نسائهم. وهذا واضح فيما ذكرناه. والله أعلم.

(١) ذكر الواقدي (مغازي ٢/٧٦٣-٧٦٤) خمس روايات تُدَلِّل على هزيمة خالد بالناس. ثُمَّ قال – مُعَلِّقاً على روايةٍ ذكرها حول اشتداد المعركة حينما أخذ خالد ابن الوليد رضي الله تعالى عنه الراية-:والأول أثبت عندنا أنَّ خالداً انهزم بالناس.

قلت: وهذا خلاف ما نقله عنه ابن كثير (البداية ٤/٢٤٩) من أنَّه اختار الرأي الأوَّل. والله تعالى أعلم.

(٢) قال ابن سعد (الطبقات ٢/١٢٩) في روايته: «فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ اللواء، وانكشف الناس، فكانت الهزيمة».

(٣) انظر مثلاً ما قاله (لانكستر هاردنج: آثار الأردن ١٣٣، وجان جلوب: الفتوحات العربية ١٣٦). وانظر:

East Of The Jordan, By: Fr.Eng - Enehoade, Page: ١٨٥

المعاصرين[(١)].

[٨٥] **القول الثالث: انسحاب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بالمسلمين – بعد تولِّيه القيادة – من ميدان المعركة بعد قتالٍ قويّ ومرير، ثُمَّ إحجام الروم عن مهاجمة المسلمين بعد خطّته الإيهامية الذكية بتغييره مراكز الجيش، ومِن ثَمَّ انسحاب كُلّ طرف عن الآخر دون قتال.**

وهذا القول وردت بـــه رواية حسنة إلى شاهد عيان من المعركة[(٢)]، وهو اختيار محمَّد بن إسحاق[(٣)]، ورواه ابن عائذ بسنده عن

---

(١) انظر: بولس سلمان: خمسة أعوام في شرق الأردن ٢١٠، وجورجي زيدان: تاريخ التمدُّن الإسلامي ٦١، ومحمَّد لطفي جمعة: ثورة الإسلام ١٠١٦، وإبراهيم العدوي: الامبراطورية البيزنطية ٣٧، وعمر فرُّوخ: تاريخ صدر الإسلام ٦٩، ورشيد الجميلي: تاريخ العرب في الجاهلية ٣٢٤ نقلاً عن الدكتور العتوم، تجربـــة مؤتة: ١٥٩-١٦١.

(٢) من رواية عبَّاد بن عبد الله، عن أبيه من بني مرَّة، وقد سبق تخريجها برقم [٥١].

(٣) استدلَّ ابن إسحاق على رأيـــه بشعر أحد شهود المعركة، وهو قيس بن المسحر اليعمري، الذي قال فيه:

وقفت بها مستجيراً فنافـــذاً ... ولا مانعاً من كان حُمَّ به القتلُ

على أنّني آسيت نفسي بخالـــدٍ ... ألا خالدٌ في القومِ ليس له مثـــلُ

قال ابن إسحاق: فبيَّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أنَّ القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقَّق انحياز خالد بمن معه. انظر (ابن هشام: سيرة ٤/٣٨٣).

رجلٍ من بني سلامان[١]، وابن عبد البر[٢]، وابن حزم[٣]، وابن سيّد النَّاس[٤]، ورجَّحه ابن القيم[٥]، واعتمده معظم المؤرِّخين المعاصرين. وهذا القول وسط بين القولين السابقين، وهو الراجح فيما يبدو لي لعدَّة اعتبارات، فهو قول غالبية أهل المغازي كما رأينا.

كما أنَّ القول بهزيمة المسلمين غير صحيح لثلاثة أُمور:

أولاً: الروايات في ذلك ضعيفة، فهي عن الواقدي، وتلميذه ابن سعد الذي يعدّ في غالب الظَّن ناقلاً عن شيخه، والواقدي متروك خاصّةً إذا انفرد. ورواية أبي موسى التي ذكرها ابن سعد ضعيفة أيضاً.

ثانياً: مخالفة هذه الروايات لرواية الصحيح، وقول النَّبيّ ﷺ فيه: «**ففتح الله عليهم**».

ثالثاً: قلة قتلى المسلمين في المعركة، وعدم وقوع أسرى منهم في أيدي العدو، وكل ذلك يخالف ما يكون عليه المنهزم عادةً في المعركة.

أيضاً القول بهزيمة الروم وحلفائهم في المعركة، غير صحيح، لثلاثة أسباب:

---

(١) سبق تخريجه برقم [٤].

(٢) الدرر ٢٢٣.

(٣) جوامع السيرة ٢٢٢.

(٤) عيون الأثر ٢/٢٠١.

(٥) قال ابن القيم (زاد ٢/١٥٦): والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أنَّ كُلَّ فئة انحازت عن الأُخرى.

أولاً: لو أنَّ المسلمين هَزموا الروم وحلفاءهم في مؤتـــة، لاشتهر ذلك، وذاع صيته، ولتواتر تواتراً يُؤمن بجانبه الكذب، وبخاصّةً أنَّ أوَّل مواجهة قتالية بين المسلمين والروم كما كانت بدر أوَّل مواجهة قتالية بين المسلمين والمشركين، وقد تواترت نتيجتها، وذاع صيتها، وبلغ صداها أرجاء الجزيرة العربية.

ثانياً: وقوع عدد كبير من الأسرى في أيدي المسلمين، وذلك ما لم تذكره الروايات.

ثالثاً: طرد الروم وحلفائهم من المناطق التي كانت خاضعة لسلطانهم في منطقة مؤتـــة، وما حولها، وإخضاعها لنفوذ المسلمين، وذلك لم يحدث، حيث استمر الروم وحلفاؤهم في المنطقة يُشَكِّلون تهديداً للمسلمين، بدليل بَعْث النَّبيِّ ﷺ سرايا وبُعُوث إلى تلك المنطقة بعد مؤتـــة، ثُمَّ مسيره ﷺ بنفسه على رأس جيش العُسْرة إلى تبوك.

إذاً القول الراجح : هو أنَّ سيف الله المسلول، خالد بن الوليد ﷺ قام «بعملية انسحاب بارعة دلَّت على مهارته الحربية الفائقـــة»[1].

ولقد «كانت عملية التراجع والانسحاب التي قام بها خالد بن الوليد في أثناء معركة مؤتـــة من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارةً ونجاحاً»[2].

---

(١) با شميل: غزوة مؤتـــة ٢٦١.

(٢) ياسين سويد: معارك خالد بن الوليد ١٧١.

«ومثل هذا التدبير من خالد، ليس بالعمل الميسور الذي يستطيعه كُلّ قائد، بل هو عمل عظيم جسيم يتطلّب مهارةً وحزماً، ورباطة جأش، وثقةً بنصر الله، وكثيراً ما عرف التاريخ قُوَّاداً عِظاماً كان السر في شهرتهم إنجاء جيوشهم من مثل هذا الموقف الحرج الذي لو اختلّ أقل تدبير فيه لفني الجيش»[١]، ولكن خالد بن الوليد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ كان له قصب السِّـــبْق في ذلك، فعلى الرغم من ضغط القوّات المتحالفة على المسلمين بشدَّة، وكثرة كاثرة، استطاع ذلك البطل أن ينظم انسحاباً قوياً ناجحاً دون أدنى خسائر تُذْكَر، مع الإثخان في العدو، وهو أمر يخالف ما جرت به العادة من أنّ المنسحِب هو الذي في الغالب يتكبّد الخسائر، فلمّا صار العكس وأفلت خالد ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ بجيشه من قبضة العدوّ رغم تشديدهم الضغط عليهم، اعتبره المصطفى ﷺ فتحاً، بل نصراً مؤزّراً،استحق عليه اللقب الذي قلّده إياه القائد الأعلى للقوّات الإسلامية، وهو الذي شاهد أحداث المعركة عِياناً بواسطة النقل الإلهي.

«ولقد عرف له الرسولُ ﷺ حسن تدبيره»[٢] ، «ونجاحه في الانسحاب بجيشه بانتظام دونما خسارة تذكر»[٣] ، «فلقّبه سيف الله وهو وسام لم يمنحه أحَد من الصحابـــة»[٤] ، «بل هو أوّل وسام يمنح لقائد في

(١) أبو زيـــد شلبي: خالد بن الوليد ٦٤.

(٢) أبو زيـــد شلبي: خالد بن الوليد ٦٤.

(٣) با شميل: غزوة مؤتـــة ٢٦١.

(٤) أبو زيـــد شلبي: خالد بن الوليد ٦٤.

تاريخ الإسلام))[١] ، بل في التاريخ البشري عامـــّة، ((ولعلَّ الرسولَ ﷺ كان أسبق من غيره، في تقدير القوّاد العظام))[٢]. ((ولعمري مهما أجاد الإنسان في وصفه ومدحه، فلن يصفه بأحسن ولا بأوفى مِمَّا وصفه به رسولُ الله ﷺ))[٣].

لقد ((مضى خالد بلقب سيف الله في مؤتـــة، والذين يدَّعون ذلك كثيرون، أمَّا الذي يملك الشهادة من رسولِ الله ﷺ وحده في الدُّنيا هو خالد بن الوليد))[٤]. أخرج الحاكم، وصحَّحه، عن الشعبي، عن عبد الله بن أبي أوفى: ((أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **لا تُؤذوا خالداً، فإنـــّه سيفٌ من سيوفِ الله صبَّه على الكُفَّار**))[٥].

((إنَّ الجماعة المسلمة بحاجة أنْ تُفْقَه معادن الرجال، وتضع الرجال في مواضعهم وهي تخوض معركتها مع العدوّ))[٦].

(١) با شميل: غزوة مؤتـــة ٢٦١.

(٢) أبو زيـــد شلبي: خالد بن الوليد ٦٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) منير غضبان: فقـــه السيرة ٥٤٦.

(٥) المستدرك ٣/٣٣٨.

(٦) منير غضبان: فقـــه السيرة ٥٤٦.

المبحث الخامس: ردة فعل أهل المدينة لنتيجة المعركة:

«لقد صمد المسلمون في معركة مؤتـــة صموداً هو أروع ما يصنع الإيمان الصادق، وقد دفع المسلمون الثمن غالياً دونما شك، تمثَّل هذا الثمن الغالي بصورةٍ رئيسية في مصرع قادة الجيش الرئيسيين الثلاثة، الواحد بعد الآخر، وبأُسلوبٍ تمثَّلت فيه أرقى معاني البطولة، واسترخاص الأرواح في سبيل الله»[1].

وهذا رسولُ الله ﷺ يصف بطولتهم، واسترخاصهم أرواحهم في سبيل الله، ومدى غبطتهم وسرورهم بمصيرهم بما «رأوا من فضل الشهادة»[2] بقوله:

[٨٦] «**وما يسرهم أنَّهم عندنا**»[3].

«إنَّ روعة المقاومة الإسلامية في معركة مؤتـــة التاريخية، والتي يسرت للمسلمين انسحاباً منظَّماً مشرفاً بعد ذلك الصدام الهائل، انسحاباً يمثِّل في واقعه أعلى درجات الانتصار بالنسبة لظروف المعركة الصعبة»[4].

وتكفينا هنا شهادة رسول الله ﷺ الذي وصف ذلك الانسحاب القوي بالفتح والدلالة التي تعلو على الريب في هذه المعركة.

---

(١) با شميل: غزوة مؤتـــة ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) ابن حجر: فتح ٥١٣/٧.

(٣) أخرجه البخاري. (انظر: فتح الباري ١٨٠/٦).

(٤) با شميل: غزوة مؤتـــة ٢٨٨.

إنَّ شجاعة المسلمين وبسالتهم بلغتا حداً كبيراً، وقد أكسبهم هذا الروح العالي إقداماً حقَّر أمامهم كبرياء الأُمم التي عاشت مع التاريخ دهراً تصول وتجول لا يوقفها شيء[١].

«إنَّ الاستهتار بالخطر، والطيران إلى الموت ليس فروسية احتكرها الرجال المقاتلون وحدهم، بل هي قوَّة غامرة قاهرة تعدَّت الرجال إلى الأطفال، فأصبحت الأمــَّة كلها أُمــَّة كفاح غالٍ عزيز، وحسبك أنَّ جيش مؤتــة لَمَّا عاد إلى المدينة قابله الصبيان بصيحات الاستنكار، يقولون: يا فُرَّار، فررتم في سبيل الله؟! إنَّ أولئك الصِّغار الأغرار يرون انسحاب خالد ومَن معه فِراراً يُقابل بحثو التراب.

أي جيل قوي نابــه هذا الجيل الذي صنعه الإيمان بالحق؟!.. أي نجاح بلغته رسالة الإسلام في صياغة أولئك الأطفال العظام؟!.. مَن آباؤهم؟!.. مَن أُمَّهاتهم؟!.. كيف كان الآباء يُربُّون؟!.. وكيف كانت الأمَّهات يُدَلِّلْن؟!.. إنَّ مسلمة اليوم بحاجة ماسّة إلى أن تعرف هذه الدروس»[٢].

«وحين ترتفع الوتيرة الإيمانية لدى الفتيان الناشئين في الجيل الإسلامي إلى هذا المستوى، فلا شك أنَّ هذا التغيير هو الكفيل بتغيير حال المسلمين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، [سورة الرعد: الآيــة: ١١]»[٣].

---

(١) الغزالي: فقــه السيرة ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) منير غضبان: فقــه الســيرة ٥٤٨.

وتعيير أهل مؤتـــة بالفُرَّار لم يكن من الصبيان وحدهم، بل تعدَّاهم إلى بقية النَّاس مِمَّن لم يخرج، وبقي في المدينة مع رسول الله ﷺ، فقد «استنكر المسلمون على الجيش أن يعود من غير أن ينتصر، وعيَّروا رجاله حتى أحرجوا بعضهم»[١].

أخرج الحاكم بسندٍ صحيحٍ عن أُمِّ سلمة-رضي الله تعالى عنها-:

[٨٧] «**أنَّها قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصَّلاة مع رسول الله ﷺ، ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كُلَّما خرج صاح به النَّاس: يا فُرَّار، أفررتم في سبيل الله عزَّ وجلَّ! حتَّى قعد في بيته فما يخرج، وكان في غزوة مؤتـــة مع خالد بن الوليد**»[٢].

وفي اللحظة المناسبة، يتدخَّل القائدُ البصيرُ المُحنَّك الذي يدرك معنى النَّصر الحقيقي، ويدرك ظروف وملابسات معركـــة مؤتـــة، وما أبداه المسلمون فيها من بسالةٍ، وبطولاتٍ حقيقيةٍ أذهلت أعداءهم.

---

(١) الشريف: مكـــّة والمدينة ٥٣٧.

(٢) أخرجه الحاكم (المستدرك ٣/٤٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي.

وذكره ابن هشام (سيرة ٤/٣٨٢-٣٨٣) من حديث ابن إسحاق بسنده، عن بعض آل الحارث بن هشام، عن أُمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها، وسنده فيه مبهم.

وقد وضَّح الواقدي (مغازي ٢/٧٦٥) في روايته ذلك المبهم، وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهو فقيه، ثقة، يروي عن أُمِّ سلمة. (تقريب ٦٢٣).

ويدرك ما قام به خالد والمسلمون من تنظيم انسحابٍ رائعٍ ومنظَّمٍ. يتدخَّل رسولُ الله ﷺ بقوةْ ليرُدَّ عن الجيش البطل الشجاع، ويرُدَّ على تعيير أهل المدينة لهم بالفُرَّار قائلاً:

[٨٨] «**ليسوا بالفُرَّار، ولكنَّهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى**»(١).

ويأمر سلمة وغيره مِمَّن تحرَّج من تعيير المسلمين بالخروج إلى الصَّلاة دون حرج، ودون وجل، فهم أبطال كُرَّار على العدوِّ إن شاء الله تعالى، وليسوا فُرَّاراً.

وحتَّى يُرَسِّخ هذه الحقيقة في نفوس الجميع، اجتمع رسولُ الله ﷺ مع الجيش وقائده البطل خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقام عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، فقصَّ على النَّبيِّ ﷺ:

[٨٩] «**قصة المددي، وما فعل خالد. فقال رسولُ الله ﷺ: يا خالد! ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله! لقد استكثرته. فقال رسولُ الله ﷺ: يا خالد! رُدَّ عليه ما أخذت منه. قال عوف: فقلت له: دونك يا خالد، ألم أف لك؟ فقال رسولُ الله ﷺ: وما ذلك؟ فأخبرته. فغضب رسولُ اللهَ ﷺ:** »(٢).

[٩٠] «**فقال: لا تعطه يا خالد! هل أنتم تاركون لي أُمرائي؟ إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجلٍ استرعى إبلاً وغنماً فرعاها ثُمَّ تحَيَّن سقيها، فأوردها حوضاً فشرعت فيه، فشربت صفوه وتركت كدره، فصفْوُهُ لكم، وكَدَره عليهم**»(٣).

(١) من مرسل عروة، وقد سبق تخريجه برقم [٣١].

(٢) من رواية عوف عند أبي داود، وقد سبق تخريجها برقم [٦٠].

(٣) من رواية عوف عند أبي داود، وقد سبق تخريجها برقم [٦٠].

المبحث السادس: حزن النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه على قتلى مؤتـــة:

وهكذا دافع النَّبيّ ﷺ عن خالد وأصحابه، وكرَّمهم في أكثر من مناسبة، ولكنَّه مع ذلك قد وَجِدَ على مَن استشهد منهم، فكما رأينا سابقاً كيف وَصَفَ للنَّاس حادث استشهادهم، وعيناه تذرفان بأبي هو وأُمِّي، ـــ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم ـــ.

كذلك تُحَدِّثنا أُم المؤمنين، أم عبد الله، عائشة ـــ رضي الله تعالى عنها ـــ فتقول:

[٩١] **«لَمَّا جاء قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، ـــ رضي الله عنهم ـــ، جلس رسول الله ﷺ يُعْرَفُ فيه الحُزْن، قالت عائشة: وأنا أطَّلِع من صائر الباب – تعني مِن شقّ الباب ـــ فأتاه رجل، فقال: إي رسول الله! إنَّ نساء جعفر**(١)**.. وذكر بكاءهُنَّ، فأمره أن ينهاهُنَّ...»**(٢).

ثُمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ أمر أهله، فقال:

[٩٢] **«اصنعوا لأهل جعفر طعاماً فإنَّهم قد جاءهم ما يشغلهم»**(٣).

---

(١) قال ابن حجر (فتح ٧/٥١٤): يُحتمل أنـــَّه يريد زوجاته، ويحتمل أن يريد من يُنسب إليه من النساء في الجملة. وهذا الثاني هو المعتمد، لأنـــَّا لا نعرف لجعفر زوجة غير أسماء بنت عميس.

(٢) أخرجه البخاري (الصحيح ٥/٨٧).

(٣) أخرج أبو داود، (انظر: عون المعبود، حديث: ٣١١٦).

=

قال عبد الله بن جعفر ــ رضي الله عنهما ــ:

[٩٣] «ثُمَّ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ثُمَّ قال: ائتوني ببني أخي، فجيء بنا، كأنَّا أفراخ[(١)]، فقال: ادعوا إليَّ الحلاَّق، فجيء بالحلاَّق فحلق رؤوسنا، ثُمَّ قال: أمَّا مُحَمَّدٌ فشبيه عمنا أبي طالب، وأمَّا عبد الله فشبيه خَلْقِي وخُلُقي، ثُمَّ أخذ بيدي فأشالها[(٢)]، فقال: اللَّهُمَّ اخلف جعفراً في

=

والترمذي، (انظر: تحفة الأحوذي، حديث: ١٠٠٣).

وابن ماجه، (السنن، حديث: ١٦١٠).

والحاكم، (المستدرك ١/٥٢٧).

والدارقطني، (٢/٧٨-٧٩).

والبيهقي، (السنن ٤/٦١).

والطبراني، (المعجم ٢/١٠٨).

جميعهم من حديث سفيان بن عيينة، عن جعفر بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وذكر المنذري عن الترمذي أنه قال: «هذا حديث حسن صحيح».

قلت: ربما كان ذلك من اختلاف نسخ الترمذي. والله تعالى أعلم.

وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. وصحّحه ابن السكن كما في التعليق المغني. (حاشية سنن الدارقطني ٢/٧٩).

(١) أفراخ: جمع فرخ، وهو ولد الطائر.

(٢) أشالها: أي رفعها بيده.

أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه - قالها ثلاث مرَّات - ثُمَّ جاءت أُمّنا فذكرت يتمنا، وجعلت تُفَرِّح له[١]، فقال: العيلة تخافين عليهم وأنا وليُّهم في الدُّنيا والآخرة!»[٢].

وهكذا كان المصطفى ﷺ عطوفاً رحيماً، رقيق القلب، يواسي أُسَر الشهداء ويدعو لهم ولأبنائهم، ويكفلهم برعايته وحنانه.

[٩٤] فهذا أُسامــة بن زيد ــ رضي الله عنهما ــ، يقف أمامــه ــ عليه الصلاة والسلام ــ، فيتذكّر أباه، فتدمع عيناه ﷺ شوقاً إليه، وحناناً وعطفاً به[٣].

---

(١) من أفرحه إذا غمَّه، وأزال عنه الفرح، وكأنّما أرادت أنَّ أباهم توفي ولا عشيرة له.

(٢) أخرجه النسائي،(السنن الكبرى ٥/١٨٠)، وأحمد، (المسند، حديث رقم: ١٧٤٩)، والطبراني، (المعجم ٢/١٠٥)، وابن سعد، (الطبقات ٤/٣٦-٣٧).
جميعهم من حديث وهب بن جرير، عن أبيه عن محمّد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر.
قلت:صحّح إسناده ابن حجر،(فتح الباري٧/٥١١)،وقال الهيثمي،(المجمع٦/١٥٧): رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني في: (إرواء الغليل ٥/٢٨٥، وأحكام الجنائز٢١-١٦٦، وحاشية فقه السيرة للغزالي ٣٧٠): هو على شرط مسلم.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة،(المصنّف١٤/٥١٩).وهذا لفظه،وابن سعد،(الطبقات٤/٦٣)، كلاهما من حديث يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي خازم، وسنده رجاله رجال الصحيح غير أنه مرسل.
وقد أخرجه ابن عساكر، (تاريخ ٦/٥٩٦)، موصولاً من طريق البزّار، نا يحيى بن حبيب، نا أبو أسامة، نا إسماعيل، عن قيس، عن أسامة بن زيد، فذكره نحوه.
=

ولا غرابة في ذلك، فهو نبيُّ الرحمة المهداة.

فها هو ــ أيضاً ــ عليه الصلاة والسلام ــ، يخفِّفُ عن أصحابه لَمَّا اشتدَّ حزنهم على مَن أُصيب في مؤتـــة، وبكوا:

[٩٥] «وهم حوله، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد قُتِلَ خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منّا، قال: لا تبكوا، فإنّما مثل أُمَّتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتثّ[1] رواكبها، وهيأ مساكنها، وحلق سعفها[2]،فأطعَمَت عاماً فوجاً،ثُمَّ عاماً فوجاً، ثُمَّ عاماً فوجاً، ولعلَّ آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً، والذي بعثني بالحق ليجدنَّ ابن مريم في أُمَّتي خلفاً من حواريه».

وفي رواية أخرى: «ليدركن المسيح من هذه الأُمَّـــة أقوام إنَّهم لمثلكم أو خير منكم – ثلاث مرَّات – ولن يخزي الله أُمـــَّةً أنا أولها والمسيح آخرها»[3].

=

قلت: وسنده حسن. يحيى بن حيب، صدوق (تقريب ٥٨٩). وأبو أسامة صرَّح بالسماع من إسماعيل. وبقية رجاله ثقات. والله تعالى أعلم.

(١) اجتث: اقتلع.

(٢) أي قصَّ سعف نخلها، والسعف من النخل بمثابة الورق من الشجر.

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي (نوادر الأصول ص ١٥٧) من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله تعالى عنه، بلا سند، والجزء الأخير من الحديث أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٥١٧/٤)، وحسَّن ابن حجر (فتح ٦/٧) إسناده.

=

وهكذا كان وَجْدُ الصَّحابة-رضي الله تعالى عنهم-على مَن أُصيبوا بمؤتة شديداً، وكان مِمَّا بُكِيَ به أهل مؤتـــة من أصحاب رسول الله ﷺ:

[٩٦] قول حسَّان بن ثابت(١):

تَأَوَّبَني لَيْـــلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَــرُ وَهَمٌّ إذا نُوِّمَ النـــاسُ مُسْهِرُ(٢)
لذكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجت لِي عَبْرَةٌ سَفُوحاً وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذَكُّــرُ(٣)
بَلَى! إنَّ فُقْــدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّــةٌ وَكَــمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْــبِرُ
رَأَيْــتُ خِيَــارَ النَّاسِ تَوَارَدُواْ شَعُوبــاً وخلفــاً بعدَهُم يتأخَّــرُ(٤)
فَــلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعُـــواْ بِمُؤْتَةَ مِنْهُم ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ(٥)
وزَيْــدٌ، وعبدُ اللهِ حِينَ تَتَابَعُــوا جَمِيعاً وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّــة تَخْطُـــرُ

=

كما أخرجه الحاكم (المستدرك ٤٣/٣) وقال عنه: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: ذا مرسل، سمعه عيسى بن يونس عن صفوان، وهو منكر،.وصحَّحه المناوي (فيض القدير٣٥٣/٥) وعزاه إلى الترمذي في نوادر الأصول.

(١) ذكره ابن هشام (سيرة ٣٨٣/٤-٣٨٤) عن ابن إسحاق الذي رواه معضلاً بلا سند. وانظر ديوان حسان بن ثابت: ١٠٧-١٠٨.

(٢) تأوَّبني: أي عاودني ورجع إليَّ. وأعسر: معناه عسير. ومسهر: أي مانع من النوم.

(٣) عبرة: أي دمعة. والسفوح: السائلة.

(٤) تواردوا شعوب - بفتح الشين - اسم للمنية، من قولك: شَعبت الشيء إذا مزَّقته. وخلفاً: يعني مَن يأتي بعد.

(٥) أسباب المنية تخطر: يقال خطر في مشيته، إذا تبختر فيها وتحرَّك.

غَداة مَضَواْ بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُــم إلى المَوْتِ مَيْمُون النَّقِيبَة أَزْهَــرُ[(١)]
أغرٌّ كَضَوْءِ البَدْرِ من آلِ هَاشِمٍ أَبيٌّ إِذَا سِيمَ الظَّلامَــةَ مُجْسِــرُ[(٢)]
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوَسَّــد بِمُعْتَرَك فِيــه القَنَــا مُتَكَسِّــرُ[(٣)]
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُــه جِنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَــرُ[(٤)].

---

(١) ميمون النقيبة: أي مسعود ومنجح فيما يطلبه، وأزهر: أي أبيض.

(٢) أبيٌّ: عزيزٌ. سِيمَ: إذا كلّف. مجسر: كثير الجسارة.

(٣) المعترك: موضع الحرب.

(٤) الحدائق: الجنات، واحدها حديقة.

الفصل السابع: الأحكام المستنبطة والدروس المستفادة من الغزوة

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: الأحكام المستنبطة

المبحث الثاني: الدروس المستفادة

المبحث الأوّل: الأحكام المستنبطة:

❁ قال ابن حجر: ((وفي الحديث جواز تعليق الإمارة بشرط))(١).

وقال العامري، قال في التوشيح: يؤخذ منه جواز ولاية الوظائف تعليقاً، وهو دليلٌ قويٌّ جداً(٢).

❁ وقال ابن حجر: ((وفيه جواز تولية عدّة أمراء بالترتيب، وقد اختلف: أتنعقد الولاية الثانية في الحال أم لا؟ والذي يظهر أنها في الحال تنعقد، ولكن بشرط الترتيب. وقيل: تنعقد للأول فقط، وأما الثاني فبطريق الاختيار. واختيار، الإمام مقدم على غيره لأنه أعرف بالمصلحة العامّة))(٣).

❁ وفيه جواز التأمّر في الحرب بغير تأمير. قال البيهقي: ((وفيه دلالة على أنّ الناس إذا لم يكن عليهم أمير، ولا خليفة أمير، فقام بإمارتهم مَنْ هو صالح للإمارة، وانقادوا له، انعقدت ولايته))(٤).

وذكر البغوي ــ نقلاً عن الخطّابي ــ: أنّ خالد بن الوليد تأمّر عليهم بعد ما أصيب الأمراء، من غير تأمير من النبيّ ﷺ لمكان الضرورة، وذلك أنه نظر فإذا هو في ثغر مخوف لم يأمن فيه ضياع المسلمين، فأخذ

(١) فتح الباري ٥١٣/٧.

(٢) بهجة المحافل ٣٩٠/١ -٣٩١، وانظر: البغوي: شرح السنة ٥/١١.

(٣) فتح الباري ٥١٣/٧.

(٤) السنن الكبرى ١٥٤/٨.

الراية، وتولّى أمر المسلمين، ورضيه رسول اللّه ﷺ، فصار هذا أصلاً في كلّ أمر حدث ممّا سبيله أن يتولاّه الأئمّة، ولم يشهدوه، وخيف عليه الضياع، إنّ القيام به واجبٌ على من شهده من جماعة المسلمين، وإن لم يتقدّم منهم في ذلك، وكذلك إن وقع ذلك في واحدٍ خاصٍّ، نحو أن يموت رجلٌ بفلاة، فإنّ على من شهده حفظ ماله وإيصاله إلى أهله، وإن لم يوص به، كما يجب تكفينه وتجهيزه، لأنّ أمر الدّين على التّعاون والتّناصح[١].

❁ وفيه جواز الاجتهاد في زمن النّبيّ ﷺ [٢].

❁ وفيه فضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد ﷺ، حيث سمّاه رسول اللّه ﷺ، سيف اللّه، ولم يزل يعرف بهذا الاسم فيما بعد[٣].

❁ أمّا عقر جعفر ـــ رضي اللّه تعالى عنه ـــ لفرسه، فاختلف في حكمه، فقد علّق أبو داود على حديث عقر جعفر ـــ رضي اللّه تعالى عنه ـــ لفرسه في المعركة بقوله: ليس هذا الحديث بالقوي[٤]، وقد جاء نهي كثير من أصحاب رسول اللّه ﷺ عن تعذيب البهائم وقتلها عبثاً[٥].

---

(١) شرح السنة ٥/١١، وفتح الباري ٥١٣/٧.

(٢) فتح الباري ٥١٣/٧.

(٣) انظر: (العامري: بهجة المحافل ٣٩٣/١، ابن حجر: فتح ٥١٣/٧).

(٤) سبق تخريج الحديث ومعرفة حكمه برقم [٥١].

(٥) السّنن ٦٢/٣-٦٣.

قال السّهيلي: وأمّا عقر جعفر فرسه، ولم يعب ذلك عليه أحد، فدلّ على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو، فيقاتل عليها المسلمين، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها(١).

وقال الشامي: واختلف العلماء في الفرس يعقره صاحبه لئلاً يظفر به العدوّ، فرخّص فيه مالك، وكره ذلك الأوزاعي، والشافعي واحتجّ الشافعي بحديث النبي ﷺ: «من قتل عصفوراً فما فوقه بغير حقّه، يسأله الله تعالى عن قتله».

واحتجّ بنهيه ﷺ عن قتل الحيوان إلاّ لمأكله، قال: وأمّا أن يعقر الفرس من المشركين فله ذلك، لأن ذلك أمر يجد به السبيل إلى قتل مَن أمر بقتله(٢).

وقال ابن كثير: وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدوّ ــ كما يقول أبو حنيفة ــ في الأغنام إذا لم تتبع في السير، ويُخشى من لحوق العدوّ وانتفاعهم بها أنّها تُذبح وتحرق ليُحال بينهم وبين ذلك. والله أعلم(٣).

وقال ابن قدامة: ويقوى عندي أنّ ما عجز المسلمون عن سياقه وأخذه، إن كان مِمَّا يستعين به الكُفّار في القتال، كالخيل، جاز عقره وإتلافه، لأنّه مِمَّا يحرم إيصاله إلى الكُفّار بالبيع، فتركه لهم بغير عِوَض أولى

---

(١) الروض الأنف ٧/٣٦-٣٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٦/٢٤٩.

(٣) البداية والنهاية ٤/٢٤٤.

بالتحريم، وإن كان مِمَّا يصلح للأكل فللمسلمين ذبحه والأكل منه مع الحاجة وعدمها، وما عدا هذين القسمين لا يجوز إتلافه؛ لأنّه مجرّد إفساد وإتلاف، وقد نهى النبيّ ﷺ عن ذبح الحيوان لغير مأكله[1].

❁ وفي الحديث: الحكم باستشهاد القادة الثلاثة ـــ رضي الله تعالى عنهم ـــ، فهم مِمَّن يقطع لهم بالجنّة، وذلك بشهادة رسول الله ﷺ لهم، وذكر ذلك ابن كثير[2].

❁ وفي حديـــث الجناحين اللذين أثابهما الله ﷻ جعفراً ﷺ عنه بدلاً من يديه اللتين قُطِعَتا،اختلف في معنى الجناحين، أهما على الحقيقة أم لا؟.

قال ابن حجر: «روى النسفي عن البخاري أنه يقال لكلّ ذي ناحيتين جناحان، وأنّه أشار إلى أنّ الجناحين في هذه القصّة ليسا على ظاهرهما[3].

وقال السهيلي: وممّا ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنّهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطّائر وريشه، لأنّ الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها، وفي قوله ـــ عليه السلام ـــ:«إنّ اللّه خلق آدم على صورته»، تشريف له عظيم، وحاشا للّه من التّشبيه والتّمثيل، ولكنها عبارة عن صفة ملكية، وقوة روحانية، أعطيها جعفر كما أعطيتها

(١) المغني ١٣/١٤٦.

(٢) البداية والنهاية ٤/٢٥٥.

(٣) فتح الباري ٧/٥١٥.

الملائكة، وقد قال اللّه تعالى لموسى: ﴿اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ [سورة طه، الآية: ٢٣]. فعبّر عن العضد بالجناح توسعاً، وليس ثَمَّ طيران، فكيف بمن أعطي القوة على الطيران مع الملائكة أخليق إذاً أن يوصف بالجناح مع كمال الصّورة الآدمية، وتمام الجوارح البشريّة، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة: ليست كما يتوهم من أجنحة الطير، ولكنّها صفات ملكية لا تفهم إلاّ بالمعاينة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾. [سورة فاطر، الآية: ١]. فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة، فكيف بستمائة جناح كما في صفة جبريل ـــ عليه السلام ـــ، فدلّ على أنّها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر، ولا ورد-أيضاً-في بيانها خبر، فيجب علينا الإيمان بها، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر في كيفيتها، وكلّ امرئ قريب من معاينة ذلك[1].

قال ابن حجر: هذا الذي جزم به في مقام المنع، والذي نقله عن العلماء، ليس صريحاً في الدلالة لما ادعاه، ولا مانع من الحمل على الظاهر إلاّ من جهة ما ذكره من المعهود، وهو من قياس الغائب على الشاهد، وهو ضعيف، وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره، لأنّ الصورة باقية، وقد روى البيهقي في الدلالة من مرسل عاصم ابن عمر بن قتادة: أنّ جناحي جعفر من ياقوت، وجاء في جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ، أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة[2].

---

(١) الروض الأنف ٣٨/٧-٣٩.

(٢) فتح الباري ١٦٥/٧.

❁ وفي حديث المدديّ، وقصَّته مع خالد ﷺ، من الفقه، كما ذكر الخطابي: أنَّ الفرَس مِن السَّلْب، وأنّ السَّلْبَ قليلاً كان أو كثيراً؛ فإنّه للقاتل لا يُخَمَّس، ألا ترى أنّه أمر خالداً بردّه عليه مع استكثاره إيَّاه، وإنَّما كان ردّه إلى خالد بعد الأمر الأوّل بإعطائه القاتل نوعاً من النكير على عوف[1]، وردعاً له وزجراً لئلاَّ يتجرأ الناس على الأئمة، ولئلاَّ يتسرعوا إلى الوقيعة فيهم، وكان خالد مجتهداً في صنيعه ذلك، إذ كان قد استكثر السَّلْبَ، فأمضى له رسول الله ﷺ اجتهاده لِمَا رأى في ذلك من المصلحة العامّة بعد أن كان خطَّأَه في الرأي الأوّل، والأمر الخاصّ مغمور بالعامّ، واليسير من الضرر محتمل للكثير من النفع والصلاح، ويشبه أن يكون النبيّ ﷺ قد عوَّض المَدَدِيَّ من الخُمُس الذي هو له، وترضَّى خالداً بالصَّفْحِ عنه، وتسليم الحكم له في السَّلب[2].

وقال النووي: وهذا الحديث قد يستشكل من حيث إنّ القاتل قد استحقّ السلب، فكيف منعه إيّاه؟!. ويجاب عنه بوجهين:

أحدهما: لعلّه أعطاه بعد ذلك للقاتل، وإنّما أخّره تعزيزاً له، ولعوف بن مالك، لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد ﷺ، وانتهكا حرمة الوالي ومن ولاّه.

---

(١) في شرح السنن (١٦٤/٣): (نوعاً من التكبُّر على معروف) وهو لا يستقيم مع السياق. والتصحيح من شرح السنة للبغوي (١١/٣).

(٢) الخطابي:شرح سنن أبي داود،حاشية٣/١٦٤،وانظر:(البغوي: شرح السنة٣/١١).

الوجه الثّاني: لعلّه استطاب قلب صاحبه فتركه صاحبه باختياره، وجعله للمسلمين، وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد ﷺ للمصلحة في إكرام الأمراء(١).

❁ وفي الحديث ــ أيضاً ــ دليلٌ على أنّ نسخ الشيء قبل الفعل جائز، ألا ترى أنّ النّبيّ ﷺ أمره بإمساكه، قبل أن يردّه،فكان في ذلك نسخ لحكمه الأوّل، ذكره الخطّابي(٢).

❁ ويستفاد من حديث أنس بن مالك ﷺ: ((أنّ النّبيّ ﷺ نعى زيداً، وجعفراً، وابن رواحة، قبل أن يأتيهم الخبر...)) الحديث. جواز الإعلام بموت الميت، ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، قال ابن المرابط: النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم مباح، وإن كان فيه إدخال الكرب والمصائب على أهله، لكن في تلك المفسدة مصالح جمّة لما يترتّب على معرفة ذلك من المبادرة لشهود جنازته، وتهيئة أمره، والصلاة عليه، والدّعاء له، والاستغفار، وتنفيذ وصاياه وما يترتّب على ذلك من الأحكام.

وأمّا نعي الجاهليّة: فقال سعيد بن منصور: أخبرنا ابن علية،عن ابن عون قال: قلت لإبراهيم: أكانوا يكرهون النعي؟ قال نعم.

---

(١) النووي على مسلم ٦٤/١٢.

(٢) حاشية سنن أبي داود ١٦٤/٣.

قال ابن عون: كانوا إذا توفي الرجل ركب رجل دابة، ثُمَّ صاح في النّاس: أنعى فلاناً، وبه إلى ابن عون قال: قال ابن سيرين: لا أعلم بأساً أن يؤذن الرجل صديقه وحميمه.

وحاصله أنّ محض الإعلام بذلك لا يكره، فإن زاد على ذلك فلا، وقد كان بعض السلف يُشَدِّد في ذلك حتى: ((كان حذيفة إذا مات له الميّت يقول: لا تؤذنوا به أحدًا، إنّي أخاف أن يكون نعياً، إني سمعت رسول الله ﷺ بأُذُنَيَّ هاتين ينهى عن النعي)). أخرجه الترمذي، وابن ماجه بإسنادٍ حسنٍ.

قال ابن العربي: ((يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات:

الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح، فهذا سُنة.

الثانية: دعوة الحفل للمفاخرة، فهذه تكره.

الثالثة: الإعلام بنوعٍ آخر كالنياحة ونحو ذلك فهذا يَحْرُم))[1].

❁ وفي إخبارالنبيﷺالنّاس بمصاب أهل مؤتة،علم ظاهر من أعلام النُّبوّة[2].

❁ وفي حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ الذي ذكرت فيه ظهور الحزن على رسول الله ﷺ حينما عرف بمصاب أصحابه في مؤتة من الفوائد:

بيان ما هو الأولى بالمصاب من الهيئات، ومشروعية الانتصاب للعزاء على هيئته، وملازمة الوقار والتثُّبت.

---

(١) انظر: (ابن حجر: فتح الباري ٣/١١٦-١١٧، ٧/٥١٣).

(٢) فتح الباري ٧/٥١٣.

ويؤخذ منه ــ أيضاً ــ: أنّ ظهور الحزن على المصاب إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابراً راضياً إذا كان قلبه مطمئناً، بل قد يُقال: إنّ مَن كان ينْزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع مرتبة مِمَّن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلاً، أشار إلى ذلك الطبري[١].

❁ وفي حديث أمر النبي ﷺ بصنع طعام لآل جعفر، فيه ندب تهيئة طعام لأهل الميّت، والإلحاح عليهم في أكله لئلا يضعفوا بتركه[٢].

قال السهيلي: «وهذا أصل في طعام التعزية، وتسميه العرب الوضيعة»[٣].

قال ابن إسحاق: «سمعت عبد الله بن أبي بكر يقول: لقد أدركت الناس بالمدينة إذا مات لهم ميّت، تكلّف جيرانهم يومهم ذلك طعامهم، فلكأني أنظر إليهم قد خبزوا خبزاً صغاراً، وصنعوا لحماً، فجُعِل في جفنة، ثُمّ يأتون به أهل الميّت، وهم يبكون على ميِّتهم، مشتغلين، فيأكلونه لقول رسول الله ﷺ لأهله حين أُصيب جعفر: «لا تغفلوهم أن تصنعوا لهم طعاماً يومهم هذا، ثُمَّ إنّ الناس تركوا ذلك»[٤].

---

(١) فتح الباري ٥١٤/٧-٥١٥.

(٢) انظر: (العامري: بهجة ٣٩٠/١-٣٩١).

(٣) الروض ٤٢/٧.

(٤) انظر: (البيهقي: دلائل ٣٧٠/٤).

قال ابن الهمام في فتح القدير شرح الهداية: ((يُستحب لجيران أهل الميّت والأقرباء الأباعد تهيئة طعام لهم يشبعهم ليلتهم ويومهم، ويكره اتّخاذ الضيافة من أهل الميّت، لأنّه شرع في السرور لا في الشرور، وهي بدعة مستقبحة)). انتهى.

ويؤيّده حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: ((كُنّا نرى الاجتماع إلى أهل الميت وصنعه الطعام من النياحة)). أخرجه ابن ماجه، وبوّب له باب ما جاء في النهي عن الاجتماع إلى أهل الميّت وصنعة الطعام.

وهذا الحديث سنده صحيح ورجاله على شرط مسلم، قاله السندي.وقال-أيضاً-:قوله:((كُنّا نرى)) هذا بمنْزلة رواية إجماع الصحابة أو تقرير من النبيّ ﷺ، وعلى الثاني فحكمه الرفع، وعلى التقديرين فهو حُجّة.

وبالجملة فهذا عكس الوارد، إذ الوارد أن يصنع الناس الطعام لأهل الميّت، فاجتماع الناس في بيتهم حتّى يتكلّفون لأجلهم الطعام قلب لذلك، وقد ذكر كثيرٌ من الفقهاء أنّ الضيافة لأهل الميّت قلب للمعقول[1] لأنّ

=

قلت: وقد كانت هذه العادة، وهي صُنْع الخبز الصغار لأهل الميّت موجودة في بعض المدن والقرى، أخبرني بذلك الوالد ـــ رحمه الله تعالى ـــ كما ذكر لي بعض الأخوة المصريّين أنّها ما زالت في معظم قرى مصر. والله تعالى أعلم.

(١) **قلت**: انقلب هذا المعقول اليوم انقلاباً جذرياً، فأصبح الناس يقومون بإجراءات في المآتم أشبه ما تكون بالأفراح السعيدة، فمنْزل الميّت صار يُزَيَّن بمصابيح الكهرباء،
=

الضيافة حقّاً أن تكون للسرور لا الحزن[(١)].

❁ في حديث عبد الله بن جعفر-رضي الله عنهما-، وقوله: ((ثُمَّ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثُمّ أتاهم فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم)).

قال ابن كثير: وهذا يقتضي أنّه ــ عليه الصلاة والسلام ــ أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام، ثُمَّ نهاهم عنه بعدها[(٢)].

❁ أمّا بالنسبة للمراثي[(٣)] التي قيلت في أهل مؤتة، فيؤخذ منه جواز رثاء الميّت، وقد رثت فاطمة-رضي الله عنها-أباها ﷺ، ورثاه غيرها، وفعله كثيرٌ من الصحابة-رضي الله عنهم-، وغيرهم من العلماء-رحمهم الله-، وما ورد من النهي عنها محمول على ما يظهر فيه تبرم أو على فعله مع الاجتماع له،أو على الإكثار،أو على ما يجدد الحزن[(٤)].

=

وتُفْرَش الأرض بأنواع الزّل والمفارش، وتوضع الكراسي والصوانات خارج المنْزل لاستقبال وفود المُعَزِّين، وتُصْنَع الولائم ليل نهار لمدّة ثلاثة أيام، ويكلّف أهل الميّت ضيافة الوافدين والوافدات للعزاء، والمقيمين من الأقارب والأصدقاء، والجيران، وقد وصل بهم الأمر إلى التفاخر في مراسم المآتم، والاحتفال بها في صالات الأفراح. فالله المستعان.

(١) عون المعبود، شرح سنن أبي داود ٨/٤٠٦-٤٠٧.

(٢) البداية والنهاية ٤/٢٥٢.

قلت: كانت الرخصة في البكاء العادي، وليس النياحة المنهي عنها ابتداءً.

(٣) جمع مرثية، وهي عدّ محاسن الميّت نظماً ونثراً.

(٤) العامري: بجهة المحافل ١/٣٩٥.

قلت: ومما يدلّ على جوازه ــ أيضاً ــ هو فعل الصحابة له في حياة النبيّ ﷺ، حيث رثى الشعراء من الصحابة أمثال حسَّان بن ثابت رضي الله عنه، وغيره شهداء بدر، وأُحُدٍ، وغيرهما من الغزوات والسرايا دون اعتراض من النبيّ ﷺ، مِمَّا يعدّ تقريراً لذلك. والله تعالى أعلم.

المبحث الثّاني: الدروس المستفادة:

❁ الوصايا التي تزود بها جيش مؤتة:

لقد كانت التوصيات التي تزوّد بها جيش مؤتة من القائد الأعلى للقوات الإسلامية ﷺ تُعَدُّ من أعظم وأرقى قوانين حرب الفروسية المشرفة على مدى التاريخ الإنساني قاطبةً، فلَمْ ولن تعرف أُمّة من الأُمَم السابقة واللاحقة مثل تلك الآداب الحربية التي كان المسلمون يطبّقونها في حروبهم ضدّ أعدائهم، والتي تُعدّ بحقّ وثيقة فعلية تطبيقية لحقوق الإنسان على أرض الواقع، لا على واقع الحبر والورق، وأرفف المنظّمات والهيئات، لقد كان الجندي المسلم يسير بانضباطٍ عجيبٍ، مطبِّقاً الأوامر والتعليمات الصادرة إليه من رؤوسائه بصورةٍ تلقائية عفوية، لأنّه يعتبر ذلك جزءٌ حيويٌّ من دينه الذي يسعى ويحرص كُلّ الحرص على تقديم الصورة الصحيحة عنه.

وهكذا كان كُلّ جندي من جنود الإسلام الأوائل عبارة عن قدوة صالحة تمثّل الإسلام أصدق تمثيل في كُلّ مكانٍ حلّ به.

«لقد أدهشت النتائج السريعة الإيجابية لحركة الفتوح الإسلامية جميع المحلّلين على اختلاف مشاربهم ودياناتهم، ولكن المُحَلِّل المُنْصِف ستزول دهشته حتماً عندما يقرأ تلك التعاليم والوصايا النبوية لقوَّاد وجنود السرايا والبعوث، والتي هي نواة حركة الفتوح الإسلامية، وأصبح الذين شاركوا بالأمس في السرايا والبعوث مشاركين اليوم على رأس تلك الجيوش الفاتحة، مقتدين نفس النهج، سائرين على نفس الطريق الذي رسمه

لهم قائد الأمة المصطفى ﷺ، حتى تلك الأوامر والتعاليم النبوية صارت تتكرّر على ألسنة الخلفاء، وقادة جيوش الفتح فيما بعد»[١].

«لقد كان تطبيق صحابة محمّد ﷺ هذا الدستور الحربي من أعظم الأسباب التي حبَّبت الإسلام إلى نفوس غير المسلمين، فدخلوا فيه طائعين مختارين مستبشرين، لأنّهم رأوا حقيقة الإسلام متمثلة في سلوك أولئك الأصحاب الكرام الذين ربّاهم القرآن، وأدّبهم الرسول الكريم ﷺ»[٢].

❁ تقدم المسلمين لملاقاة عدوّهم رغم معرفتهم المسبقة بكثافتهم العددية والعددية:

إنّ تقدُّم المسلمين لملاقاة عدوّهم المتفوِّق عليهم في العدد والعتاد، لأمرٌ يُثير الدهشة فعلاً، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على ما كان يتمتّع به أولئك القوم من إيمانٍ عظيمٍ وقويٍّ، ذلك الإيمان الذي جعلهم يستصغرون معه عدوّهم، وتنقلب معه موازين المعركة، فأصبح وقوداً أشعل نار الشجاعة والإقدام في نفوسهم، وأوقد الحماس في قلوبهم، وأيقظ كوامن قواهم البشرية المكنونة.

نعم! لقد كان الإيمان المتّقِد في جوانح أولئك القوم يجعلهم أُناساً آخرين، فتراهم يطيرون في ساحات الوغى إلى الموت طيراناً، وينقضّون

---

(١) بريك أبو مايلة: السرايا والبعوث حول المدينة ومكّة ٥٣.

(٢) باشميل: غزوة مؤتة ٢٦٤.

على أعدائهم، وكأنهم عقبان تُلاحِق فرائسها، كيف لا!؟ وهم يتحسّسون الجنّة ونعيمها، وكأنّهم يرونها أمامهم رأين العين، فيندفعون إليها جارفين أمامهم سدود الأعداء، جاعلين منها طُرُقاً مُمَهَّدة للدخول إليها.

لقد تمَّلت هذه الحقيقة واضحة العيان في قتال القادة الثلاثة واندفاعهم بالمسلمين صوب أعدائهم في العمق، حتى أصبحت قصص استشهادهم صوراً رائعة للبطولة، يمكن أن يؤلّف في كلّ واحدةٍ منها كتابٌ مستقلّ.

إنّهم فعلاً لا يقاتلون الناس بعددٍ ولا عدّة، كما ذكر عبد الله بن رواحة ﷺ ــ القائد الثالث ــ، وإنما يقاتلون بتأييد الله ﷻ لهم، ووعده إيّاهم بالنصر والتمكين، وسواء قُتِلوا أم غَلَبُوا، فهم في كلا الحالين فائزون برِضَى الله ﷻ عنهم، وموعودون بالأجر العظيم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. [سورة النساء، الآية: ٧٤].

❁ تموين الجيش الإسلامي، وتسليحه:

وضَّحت رواية عوف بن مالك الأشجعي ﷺ أنّ تموين جيش المسلمين كان يعتمد أحياناً على تبرعات الموسرين من المشاركين فيه، وتلك عادة حسنة للعرب في جاهليتهم[١]، زادها الإسلام قوّةً وتماسكاً حيث كان الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ يتسابقون في الإنفاق في

---

(١) انظر: (ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٢٥٩).

سبيل الله تعالى باعتبار أنّه جهاد في سبيل الله بالإضافة إلى مجاهدتهم بأنفسهم، وذلك طاعة لله تبارك وتعالى ولرسوله ﷺ، وطلباً للأجر والمثوبة العظيمة من الباري ﷻ.

كما وضحّت الرواية كذلك مدى بساطة تسليح المسلمين بالمقارنة مع ما كان عليه الروم وحلفاؤهم من البهرجة والغطرسة والغرور، وتوضح أيضاً مدى بسالة جند الإسلام الأوائل، ومحاولتهم التواؤم مع الظروف، وعدم التسليم للنقص الواضح في عدّتهم وعتادهم، ولكن حسب إمكاناتهم، كما فعل ذلك المَدَدِيّ بصنعه درقة له من جلد الجزور.

يقول أبو[1] أمامة رضي الله عنه: «لقد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب والفضّة، وإنما كانت حلية سيوفهم العُلابي، والآنك[2] والحديد»[3].

---

(١) صدّي بن عجلان، أبو أمامة الباهلي. (صحابي مشهور). سكن الشام ومات بها سنة ستّ وثمانين. (تقريب ٢٧٦).

(٢) العلابي: الجلود الخام غير المدبوغة. وقيل: العصب تؤخذ رطبة فيشد بها جفون السيف وتلوى عليها فتجف. والآنك: الرصاص. (ابن حجر: ٩٦/٦).

(٣) أخرجه البخاري (انظر: فتح الباري ٩٥/٦).

❁ التقدير والإكرام والإعجاب الذي حظي به جيش مؤتة من رسول الله ﷺ:

لقد كان التقدير والإعجاب والإكرام الذي حظي به أهل مؤتة من القائد الأعلى رسول الله ﷺ من العوامل التي جعلت جيش المسلمين من أنجح جيوش العالم في ذلك الوقت، وأعظمها وأرفعها معنوية.

فحين يُقَدِّرُ القائد الجهدَ المبذول، ويعطيه حقّه من التقدير والإعجاب، بل ويُصَحِّح ردود الفعل الخاطئة التي كانت لدى بعضهم تجاه الجيش، لا شكّ أن ذلك يعطي أفراده الراحة النفسية التامّة، بل ويدفعهم إلى مزيدٍ من البذل،ومزيدٍ من العطاء بلا حدود،ومواصلة المشوار بلا تردد.

لقد كان المصطفى ﷺ وسيظل للأبد، من أنجح القادة العالمّيين على الإطلاق، وستظل مكافآته المعنوية سنية عظيمة، والتي كانت عبارة عن أوسمة رفيعة المستوى والشأن، على صدور حامليها غير مسبوقة، ولا ملحوقة بإذن الله تبارك وتعالى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

❁ وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه:

نلاحظ تأكيد الشارع ﷺ على مراعاة حُرمة الأمير، والقائد، والإمام ومكانته بين الناس وترك التطاول عليه، وأنّ ذلك مِمَّا يفسد القلوب، ويؤدي بالتالي إلى التنازع المؤدّي للفشل، وفيه من الحض والتأكيد على السمع والطاعة لولاة الأمر مهما كانوا ومهما فعلوا ما لم يأمروا بمعصية.

وأنّهم يستحقون هذا الأمر لكونهم يكابدون مشقّة التّصدّي للأمور الخاصّة بالرّعية من السهر على راحتهم، والدفاع عنهم، يقول النووي: «ومعنى الحديث، أنّ الرعية يأخذون صفو الأمور، فتصلهم أعطياتهم بغير نكد، وتبتلى الولاة بمقاساة الأمور، وجمع الأموال على وجوهها، وصرفها في وجوهها، وحفظ الرعية، والشفقة عليهم، والذّبّ عنهم، وإنصاف بعضهم من بعض، ثُمَّ متى وقع علقة أو عتب في بعض ذلك توجَّه على الأمراء دون الناس»(١).

لقد كان المصطفى ﷺ دائماً وأبداً حريصاً على أمّته، رؤوفاً بهم، وفي تحذيره إياهم من منازعة أهل الأمر ومخالفتهم، فيه من المصلحة العامّة للأمّة ما لا يخفى إلاّ على المكابر المعاند، أو الجاهل المغرور، لأنّ ذلك ممَّا يوقع الفتن المهلكة التي تهلك الحرث والنسل، وتكون وبالاً على الأمّة، تُدَمِّر اقتصادها، وتعصف بمجتمعاته الآمنة، ويذهب ضحيتها الأبرياء.

❁ مواساته ﷺ لأسر الشّهداء:

كانت مواساة النّبيّ ﷺ لأسر شهداء مؤتة، ورعايته وعطفه على أبنائهم، لفتةً أبويّةً حانية عطوفة من أبٍ رحيم عطوفٍ مشفقٍ، لا يأل جهداً في التخفيف عن معاناة أولئك وغيرهم من أفراد المجتمع الإسلامي بأسره.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/١٢.

كيف لا! وهو الذي كان يفيض حناناً، وشفقةً، ورحمةً. كيف لا! وهو الذي كانت حياته ﷺ بأبي هو وأُمّي تكريساً لهذه الحقيقة.

ألم يصفه الباري ﷻ بذلك في القرآن بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. [سورة التوبة، الآية: ١٢٨]. وكفى بالقرآن دليلاً وشاهداً.

❁ الفوائد التي اكتسبها المسلمون من نتائج غزوة مؤتة:

لقد «كانت معركة مؤتة استطلاعية أفادت المسلمين كثيراً في معرفة خواص قوّات الروم، وأساليب قتالها، وخواص حلفائها من القبائل، وأساليب قتالهم وقوّهم، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك ضدّ الروم، ولا تعدّ خسائر المسلمين الطفيفة شيئاً يُذْكَر بجانب الفائدة العسكرية التي أفادت من الاطلاع على خواص قوات الروم وحلفائها، وتنظيمهما، وتسليحها، وأساليب قتالها، مِمَّا سترى أثره في المعارك التي خاضها المسلمون فيما بعد»[1].

««وإذا كانت الأمور بنتائجها، والأعمال بخواتيمها، فقد كفى المسلمين ظهوراً على عدوّهم، أنهم تركوا في نفوسهم أثراً من الرهبة، جعلهم يحجمون عن قتالهم، وينكلون عن متابعتهم»[2].

---

(١) خطاب: الرسول القائد ٣٠٩.

(٢) الدويدار: صور ٥٢٧.

«ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة مؤتة فإن نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى، فبينما رأى الروم تلك الغزوة غارة من الغارات التي اعتاد البدو شنّها بين حين وآخر، كانت سرية زيد بن حارثة إلى مؤتة في الحقيقة غزوة من نوع آخر، لم تقدر إمبراطورية الروم أهميتها، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمّة جديدة خاصّة، جعلت المسلمين يتطلّعون جدّياً إلى فتح أرض الشام»[١].

وحقيقةً ـــ كما ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى ـــ، قد كانت مؤتة إرهاصاً لما بعدها من غزو الروم، وإرهاباً لأعداء الله ورسوله[٢].

---

(١) خطاب: وعبد العزيز زائد: دروس من السيرة النبوية ١٠٥-١٠٦.

(٢) ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول ﷺ ١٩٥.

الباب الثّالث: السّرايا والبعوث النّبويّة الشّمالية بعد غزوة مؤتة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: سرية عمرو بن العاص ﵁ إلى ذات السّلاسل.

الفصل الثّاني: سرية خالد بن الوليد ﵁ إلى الأكيدر.

الفصل الثّالث: سرية أُسامة بن زيد ﵁ إلى أُبنى.

الفصل الأوّل: سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ذات السّلاسل

وفيه مباحث:

المبحث الأوّل: مُسَمَّى السّرية، ومكانها.

المبحث الثّاني: سبب السّرية.

المبحث الثّالث: تاريخ السّرية.

المبحث الرّابع: عدد الجيش، وقائده.

المبحث الخامس: سير الأحداث.

المبحث السّادس: الأحكام المستنبطة، والدّروس المستفادة.

المبحث الأوّل: مُسَمَّى السّرية، ومكانها:

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: مُسَمَّى السّرية.

المطلب الثّاني: مكانها، أو الجهة التي توجّهت إليها السّرية.

المطلب الأوّل: مُسَمَّى السّرية:

اختلف أهل المغازي، واللغويّون، البلدانيون، في سبب تسمية السّرية، وضبط الاسم. قال ابن إسحاق في روايته:

[١]: «**حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له: السلسل، وبذلك سُمِّيَت تلك الغزوة، غزوة ذات السلاسل**»(١).

وتابعه في ذلك ابن سيد الناس(٢)، والسهيلي(٣).

وقيل: السلاسل بسينين مهملتين،الأولى مفتوحة، وجزم به أبو عبيد

---

(١) الحديث أخرجه (البيهقي: دلائل ٤/٣٩٩-٤٠٠)، عن ابن إسحاق بسندٍ صرَّح فيه بالتحديث عن محمّدٍ بن عبد الرحمن التميمي، وثّقه ابن حبان. (الثقات ٧/٤١٣)، وقال عنه البخاري: «كان صوّاماً قوّاماً». (التاريخ ١/ ١٠٥)، وقال أبو حاتم: «روى عن عائشة، وعوف بن الحارث، وعروة بن الزبير. وروى عنه ابن إسحاق: سمعت أبي يقول ذلك». (الجرح والتعديل ٧/ ٣١٧).

قلت: ولكنه مرسل حيث لم يُصرح محمّد التميمي عمَّن حدّثه.

وذكره ابن هشام (سيرة ٤/٦٢٣)، عن ابن إسحاق بلا سند، كما أخرجه الطبري (تاريخ ٣/٣٢)، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، وسنده ضعيف، لضعف ابن حميد شيخ الطبري، كما في (التقريب ٤٧٥)، كما أنّ فيه عنعنة ابن إسحاق، ولإرساله، عبد الله بن أبي بكر لم يدرك الوقعة.

(٢) قال ابن سيد الناس:«سُمِّيَت بماء بأرض جذام، يقال لها السلسل».(عيون٢/٢٠٤).

(٣) نقلاً عن ابن سيد الناس (عيون ٢/٢٠٤)، و لم أجد قول السيهلي في كتابه الروض.

البكري[١]، وياقوت[٢]، وصاحب القاموس[٣]، والثانية مكسورة، اللام مخففة، وقال ابن الأثير: بضم السين الأولى[٤]، وقال في زاد المعاد: بضم السين وفتحها لغتان[٥].

قال الشامي: «وصاحب القاموس مع اطلاعه لم يحك في الغزوة إلاّ الفتح[٦]، وعبارته: السلسل، كجعفر وخلخال، الماء العذب أو البارد كالسلاسل بالضمّ. ثُمَّ قال: وتسلسل الماء جرى في حدور، والسلسلة اتّصال الشيء بالشيء، والقطعة الطويلة من السنام، ويُكسر، وبالكسر دائر من حديد ونحوه، والسلاسل رمل يتعقّد بعضه على بعض وينقاد، وثوب مسلسل فيه وشيء مخطّط، وعزوة ذات السلاسل»[٧].

---

(١) لفظ أبي عبيد: ذات السلاسل ــ بفتح أوّله ــ على لفظ جمع سلسلة، رمل بالبادية. (معجم ما استعجم ٣/٧٤٤).

(٢) معجم البلدان ٣/٢٣٣).

(٣) القاموس المحيط، باب اللام، فصل السين.

(٤) قال ابن الأثير: بضم السين الأولى، وكسر الثانية. (النهاية ٢/٣٨٩).

(٥) ابن القيم: زاد المعاد ٣/٣٨٦.

(٦) قال الزرقاني مُعَلِّقاً على قول الشامي هكذا: «وقوله: وصاحب القاموس مع سعة اطلاعه لم يحك إلاّ الفتح. غير قادح، فمن حفظ حجّة. كيف وقد صرّح البرهان بأنّ غير واحد ذكر اللغتين الضم والفتح، وهو المشهور. والمجد وإن اتّسع اطلاعه فلم يُحِط باللغة و لم يستوعبها». (شرح المواهب ٢/٢٧٨).

(٧) الشامي: سبل ٦/٢٩٦.

وقال ابن حجر: «قيل: سُمِّيَ المكان بذلك لأنّه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة[١]، وضبطها ابن الأثير بالضمّ، وقال: هو بمعنى السلسال أي: السهل[٢]، وقيل: لأنّ بها ماء يقال له السلسل[٣]، وقيل: سُمِّيَت ذات السلاسل لأنّ المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفرّوا»[٤].

قال الحلبي:

[٢] «ولخالد بن الوليد ﷺ في زمن الصّديق غزاة مع أهل فارس، يُقال لها: ذات السلاسل، لكثرة من تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار، فقتلوا عن آخرهم، لأنّ السلاسل منعتهم الهزيمة، وبعث خالد بن الوليد بالسلاسل إلى الصِّدّيق ﷺ والله أعلم»[٥].

---

(١) قال بذلك البكري. (معجم ما استعجم ٣/٧٤٤).

(٢) قال الشامي: «قال النووي في التهذيب: أظن أنّ ابن الأثير استنبطه من صحاح الجوهري من غير نقلٍ عنه فيه، ولا دلالة في كلامه. قلت: وعبارة الجوهري: وماء سلسل وسلسال سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه، والسُّلاسل بالضمّ مثله، ويقال معنى يتسلسل أنّه إذا جرى أو ضربته الريح يصير كالسلسلة». (سبل الهدى والرشاد٦/٢٦٩).وانظر:صحاح الجوهري٢/١٩٩،والنووي على مسلم١٥/١٥٣).

(٣) قال ذلك ابن إسحاق، كما مرّ سابقاً.

(٤) ابن حجر: فتح ٧/٢٦، ٨/٧٤.

(٥) الحلبي: سيرة ٣/١٩٩، ونقل ياقوت (معجم ٣/٣٣٣)، عن أبي حاتم بن حبان في كتابه الأنواع، قال: «غزوة السلاسل كانت في أيام معاوية، وغزوة ذات السلاسل كانت في أيام النبي ﷺ. قلت: ولا أعلم ما هذه السلاسل».

قلت: ولعلّ سبب تسميتها بذلك أظهر، فإنّ تسلسل الروم والفرس في معاركهم ضدّ المسلمين تكرّر في أكثر من معركة، لعلّ أشهرها في التاريخ معركتان فاصلتان في كلّ جانب، ففي الجانب الرومي تذكر الروايات التاريخية أنّه تسلسل عددٌ كبيرٌ منهم في معركة اليرموك الشهيرة الفاصلة، سقطوا جميعاً في لهب الياقوصة[(١)]، كما تسلسل عددٌ ضخمٌ من الفرس في معركة نهاوند الفاصلة والمسمّاة بفتح الفتوح ــ قُتِلُوا جميعاً في ميدان المعركة ــ وإن كانت الأرقام التي أوردها الروايات عن عددهم قد يكون فيها نوعٌ من المبالغة[(٢)]، ولكن ذلك يعطينا دلالة واضحة على أنّ تلك كانت عادة متبعة في الجيوش البيزنطية، والفارسية[(٣)]، كما توضح بجلاء أنّ أعداء المسلمين في ذلك الوقت كانوا يبحثون جادّين عن وسيلة قويّة تربط جأشهم، وتقوي عزيمتهم في مواجهة المسلمين الشجعان

---

(١) هو حافة وادي الرقاد المحيط بالهضبة التي دار عليها القتال، حيث سقط فيه المقترنون بالسلاسل من الروم، فسُميَ بالياقوصة لأنّهم وُقِصُوا فيه، أي: سقطوا فيه، وهم لا يشعرون لشدّة ضغط المسلمين عليهم.

(٢) ذكرت الروايات أنّهم كانوا حوالي ثلاثون ألف في جانب الفرس، وثمانون ألف في جانب الروم. انظر: (الطبري: تاريخ ٣/٤٠٠).

(٣) والجيش الذي قابله المسلمون في ذات السلاسل لم يكن من الروم، ولكنه كان من حلفائهم العرب المنتصرة، ولعلّهم أخذوا عادة التسلسل من حلفائهم، أو ربما شاركهم بعض الروم وتسلسلوا، والله تعالى أعلم.

في ميادين المعارك الذين كانوا أبطالاً لا يهابون الموت وبسبب تأييد الله ﷻ لهم، ونصره إيّاهم، بالرعب الذي يلقيه في قلوب أعدائهم، ثُمَّ بتحرُّقهم جميعاً في ميادين القتال للشهادة في سبيل الله، وتسابقهم عليها، ولِمَا يعرفون من فضلها العظيم(١).

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أنس ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنّة يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلاّ الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقْتَل عشر مرات لِمَا يرى من الكرامة». وفي رواية: «لِمَا يرى من فضل الشهادة». (الصحيح ٦/٢٥)، و(مسلم ١٨٧٧).

المطلب الثّاني: مكانها، أو الجهة التي توجَّهت إليها السّرية:

اختلفوا كذلك في مكانها، قال ابن سعد:

[٣] «هي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيّام»[١].

[٤] وهي أرض بني عذرة، كما ذكر ابن إسحاق[٢]، وفي روايته عند البيهقي:

[٥] «ذات السلاسل من أرض بليّ[٣]، وعذرة»[٤].

وذكر البخاري عن ابن إسحاق، عن يزيد عن عروة قال:

[٦] «هي بلاد بليّ، وعذرة، وبني القين»[٥][٦].

وكذلك ذكره الواقدي نحوه[٧]، ونقل البخاري، والبكري عن ابن

---

(١) من رواية محمّد بن سعد عن شيوخه (الطبقات ٢/١٣١)

(٢) من رواية ابن إسحاق بلا سند. (ابن هشام: سيرة ٤/٦٢٣).

(٣) بليّ ـــ بفتح الموحدة وكسر اللام الخفيفة بعدها ياء النسب ـــ قبيلة كبيرة من قضاعة، يُنسبون إلى بلى بن عمرو بن قضاعة، ومن بلى جماعة من الصحابة. (قلائد الجمان ٤٥، وفتح الباري ٨/٧٤).

(٤) سبق تخريجها برقم: [١].

(٥) بني القين: قبيلة كبيرة أيضاً من قضاعة، يُنسبون إلى القين بن جسر، ووهم ابن التين فقال: بنو القين قبيلة من تميم. (ابن حجر: فتح ٨/٧٤).

(٦) أخرجه البخاري تعليقاً عن ابن إسحاق. (الصحيح ٥/١١٣).

وفي رواية عروة عند البيهقي من طريق ابن لهيعة قال: بعثه رسول الله ﷺ في بلي وهم أخوال العاص بن وائل، وبعثه فيمن يليهم من قضاعة. (دلائل النبوة٤/٣٩٨).

(٧) الواقدي: مغازي ٢/٧٧٠.

أبي[1] خالد في كتابه: (صحيح التاريخ) قال:

[٧]: «**هي غزوة لخم وجذام**»[2].

أمّا موسى بن عقبة فيذكر أ نّ:

[٨] «**ذات السلاسل من مشارف الشام في بليّ، وسعد الله[3]، ومن يليهم من قضاعة**»[4].

وشذّ الزهري فذكرهما:

[٩] «**بعثين إلى كلب[5]، وغسّان[6]، وكُفّار العرب الذين كانوا**

---

(١) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي، مولاهم البجلي. (ثقة، ثبت) من الرابعة، مات سنة ستٌ وأربعين. (تقريب ١٠٧).

(٢) الصحيح ١١٣/٥، ومعجم ما استعجم ٧٤٤/٣، ونقل الدياربكري (الخميس ٢/ ٧٥)، عن بعضهم أنّها موضع معروف في الشام في أرض بني عُذرة.

(٣) سعد الله بطن من بطون قبيلة بليّ. (السويدي: سبائك الذهب ٧٨).

(٤) من مراسيل عروة، وموسى بن عقبة، عند البيهقي. (دلائل: ٣٩٨/٤).

(٥) هم بنو كلب بن وبرة بن تغلب، من قضاعة، وكانوا ينْزلون في الجاهلية دومة الجندل وتبوك، وجاء الإسلام وَالْمُلْك عليهم لأكيدر، وبقيت كلب في خلقٍ عظيم على الخليج القسطنطيني، ومنهم مسلمون ونصارى. (القلقشندي: قلائد الجمان ٤٦ -٤٧).

قلت: ولكلب مشاركة قوية في أحداث التاريخ الإسلامي، حيث كانوا من المناصرين الأقوياء للدولة الأموية.

(٦) غسَّان: قبيلة كبيرة من الأزد، وهم بنو جفنة، والحارث، وحارثة، ومالك، وكعب، وخارجة، وعوف، ونبو عمرو مزيقياء، وإنما سُمُّوا غسَّاناً لماء اسمه غسَّان بين زبيد =

بمشارف الشام»(١).

وذكر الشعبي أن المسلمين أُمروا:

[١٠] «أن يغيروا على بكر(٢)، فانطلق عمرو، فأغاروا على قضاعة، لأنّ بكراً أخواله»(٣)(٤).

= ورمع، نزلوا عليه عند خروجهم من اليمن فعُرِفُوا به، وكان لهم ملك بالشام، وذلك قبل الإسلام بما يزيد على أربعمائة سنة، وبقي بأيديهم إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم في زمن النبيّ ﷺ، فأسلم ثُمَّ ارتدّ بعد ذلك زمن عمر بن الخطاب ﷺ، وبالبلقاء طائفة من غسَّان، وباليرموك منهم الجمّ الغفير. وكانوا حلفاء أقوياء للدولة البيزنطية. بتصرّف من (قلائد الجمان ٩٤، ٩٥، ٩٧).

(١) من مراسيل الزهري، عند (عبد الرزاق: المصنف ٤٥٢/٥).

كما أخرجه ابن عساكر: تاريخ دمشق (السيرة النبوية، القسم الأوّل ص ٤٠٥)، من طريق ابن لهيعة، ومراسيل الزهري ضعيفة، كما ذكر أهل العلم. انظر: (الذهبي: الموقظة ٢٨).

(٢) بكر بن وائل: بطن كبير من ربيعة، يُنسبون إلى بكر بن وائل بن قاسط. وكانت مساكنهم من اليمامة إلى البصرة. وذكر الحمداني أنّ بلادهم الجزيرة من بلاد حلب. وكان لهم دولة بعراق العجم، وبحمص، وبلادها من أرض الشام قوم منهم. (قلائد الجمان ١٣٠-١٣١).

(٣) ذلك وهم. فالمحفوظ من أقوال أهل المغازي أنّ أخواله هم بليّ من قضاعة. والله أعلم.

(٤) أخرجه أحمد (المسند ١٩٦/١)، وقال البنا (الفتح الرباني ١٤٠/٢١): «لم أقف عليه لغير الإمام إحمد».

وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد، وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح». =

كذلك شذّ الطبراني في روايته عن رافع بن عمرو الطائي(١)، فذكر:

[١١] ((**أنّ أهل السّرية نزلوا جبل طيء**))(٢).

وذكر البلادي أنّه لم يستطع أحد تحديد مكان هذه السّرية، ورجّح أن تكون في بلاد بني عذرة، لقربها من بلان جران العود التي ذكرها في شعره، كما أنّه حدّد ديار بين عُذرة بين وادي القرى ((وادي العُلا اليوم) إلى تبوك، إلى تيماء، وتقرب من خيبر))(٣).

=

قلت: لأنّ عامر بن شراحيل لم يدرك أبا عبيدة وحكى القصة فأرسلها إرسالاً. وكذا قال محقّق زاد المعاد. وأنّ عامراً لم يدرك عمراً، ففيه انقطاع.

كما ذكره ابن سيد الناس (عيون٢/٢٠٥-٢٠٦)، من حديث عبد الله بن أحمد، عن أبيه به نحوه.

(١) رافع بن عمرو بن جابر بن حارثة بن عمرو بن محصن، أبو الحسن الطائي السنبسي، ويقال: ابن عميرة. وقيل: هو رافع بن أبي رافع. قال مسلم والحاكم: له صحبة، وقال ابن سعد: كان يُقال له: رافع الخير. توفي في آخر خلافة عمر. (ابن حجر: إصابة ١/٤٩٧).

(٢) أخرجه الطبراني من حديث طارق بن شهاب، عن رافع (المعجم ٥/٢١)، وقال عنه الهيثمي: ((رجاله ثقات)). (مجمع ٥/٢٠٢).

قلت: غير إبراهيم بن المهاجر، فإنّه صدوق، وفي حفظه لين. (التقريب ٩٤).

(٣) البلادي: معجم معالم السيرة ١٥٩.

قلت: وهذه القبائل التي ذكرها أهل المغازي، هي قبائل متجاورة،كونها من بطون من قبيلة واحدة هي قبيلة قضاعة، وربّما تحالفت هذه القبائل فيمابينها،واجتمعت لمحاربة المسلمين في تلك المنطقة.والله تعالى أعلم.

المبحث الثّاني: سبب السّرية:

اختلف الواقدي، وابن اسحاق ـــ وهما مَن تحدَّثا عن سبب سرية ذات السلاسل ـــ فيها، فبينما يذكر ابن إسحاق:

[١٢] أنّها كانت لاستنفار العرب إلى الشام، وأنّ رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص ﷺ إلى بليّ باعتبار «أنّ أُمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ،فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم بذلك»[١].

يذكر الواقدي، وتابعه ابن سعد:

[١٣] أنّ السّرية كانت بسبب المعلومات الهامّة التي وصلت إلى النبي ﷺ عن التحرّكات العدوانية النشطة لقبائل بليّ وقضاعة، واستعداداهم للهجوم على أطراف الدولة الإسلامية[٢].

بينما يذكر بعض الباحثين المعاصرين لها أسباباً أُخَر، فهي كانت لتأديب الأعراب في تلك الناحية[٣]، والأخذ بثأر المسلمين من القبائل التي اشتركت في غزوة مؤتة ضدّهم[٤].

---

(١) من رواية ابن إسحاق عند الطبري وقد سبق تخريجها برقم: [١].

(٢) مغازي ٢/٧٧٠، الطبقات ٢/١٣١.

(٣) انظر: الغزالي: فقه السيرة ٣٧٠، والدكتور سيد طنطاوي: السرايا الحربية ١٣٦.

(٤) انظر: اللواء خطاب: الرسول القائد ﷺ ٣٠٩.

كما ذكر بعضهم أنّه بناءً على نتيجة غزوة مؤتة، كان لزاماً على رسول الله ﷺ أن يستردّ هيبة المسلمين، ويُعيد إليهم كرامتهم في تلك البلاد[1].

وسواء قَصَدَ رسول الله ﷺ تأديب الأعراب، وصدّ عدوانهم على أطراف الدولة الإسلامية عندما بلغته أخبار حشودهم وتحرُّكاتهم، فتحرّك بسرعة لضربهم قبل استكمال استعداداتهم القتالية، كما هي عادته ﷺ دائماً مع أعدائه، أم أراد الثأر من القبائل العربية المتنصرة الحليفة للرومان، والتي شاركت إلى جانبهم في مؤتة، أو غير ذلك من الأسباب التي ذُكِرَت قديماً وحديثاً، فإنّ السبب الحقيقي وراء ذلك كُلِّه هو إعلاء كلمة الله ﷻ في تلك البقاع، ونشر الدعوة الإسلامية، بعد إزاحة القوى السياسية والعسكرية التي كانت تقف حجر عثرة في وجه نشر الإسلام في المنطقة.

والقبائل العربية المتنصرة والحليفة للدولة البيزنطية كانت من تلك القوى، وكانت تقوم بتحرّكات مشبوهة ونشاطات معادية للمسلمين في المنطقة الشمالية من الجزيرة على أطراف الدولة الإسلامية، وبخاصّة بعد مؤتة، فكان لا بُدَّ من ردعها وإخضاعها لسيطرة المسلمين، لأنّ المسلمين ــ أيضاً ــ كانوا في وضع استعدادي متناسق ومتدرِّج لمنازلة الدولة البيزنطية، إحدى القوَّتين العظميين في ذلك الوقت،لوضع حدٍّ لسلطانهم، والقضاء على قوّتهم العسكرية والسياسية المناهضة لنشر الإسلام في المنطقة. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الشريف: مكّة والمدينة ٥٣٧، وهيكل: حياة محمّد ﷺ ٤١٥.

المبحث الثّالث: تاريخ السّرية:

قال الشامي: «ذكر الجمهور[١]، ومنهم: ابن سعد أنّها كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان»[٢].

وقال ابن حجر: «وقيل: سنة سبع»[٣]. وبه جزم ابن أبي خالد في كتاب: (صحيح التاريخ)، ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنّها كانت بعد غزوة مؤتة[٤]، إلاّ ابن إسحاق فقال: «قبلها». قلت: وهو قضية ما ذُكِر عن ابن سعد وابن أبي خالد»[٥].

قال الشامي: «أمّا قضية ما ذُكِرَ عن ابن سعد فغير واضح، فإنّ ابن سعد قال: كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان، وذَكَر في غزوة مؤتة أنّها كانت في جمادى الأولى سنة ثمان، وأمّا ما نقل ابن إسحاق فالذي في رواية زياد البكائي، تهذيب ابن هشام، عن ابن إسحاق، تأخُّر غزوة ذات

---

(١) الجمهور الذي قصدهم الشامي معظمهم ناقل عن ابن سعد، وهم: «الطبري: تاريخ ٣١/٣، وابن سيد الناس: عيون ٢٠٤/٢، وابن القيم: زاد ١٥٧/٢، والقسطلاني: المواهب ٥٥٤/١)، وغيرهم.

(٢) سبل ٢٧٠/٦.

(٣) ذكرها ابن خياط ضمن السرايا التي كانت سنة سبع (تاريخ ٨٥)، وذكر الزرقاني أنّ ابن سعد حكى ذلك (شرح المواهب ٢٧٨/٢)، ولم أجد هذا القول في الطبقات فلعلّه من الجزء الساقط من ترجمة عمرو بن العاص عنده.

(٤) تاريخ دمشق (السيرة النبوية، القسم الأوّل ص ٤٠٢).

(٥) فتح الباري ٧٤/٨.

السلاسل عن مؤتة بِعِدَّة غزوات وسرايا، ولم يذكر أنّها كانت قبل مؤتة فيحتمل أنّه نصَّ على ما ذكره ابن عساكر في رواية غير زياد»[١].

قلت: ما ورد في رواية زياد البكائي عن ابن إسحاق، عند ابن هشام، لا يُعَدُّ في التقديم والتأخير، لأنّه ذكر السّرية في جملة المغازي والسرايا آخر كتاب المغازي[٢]. ولم يُسلسلها تاريخاً، كما فعل في بقية المغازي والسرايا الأخر.

أمّا رواية غير زياد التي أشار إليها الشامي فهي رواية يونس بن بكير التي أخرجها كُلٌّ من ابن عساكر والبيهقي بسنديهما عنه، فإنّه لم يذكر فيها تاريخاً لها[٣]. والله تعالى أعلم.

ولم يؤرِّخ لها الواقدي أيضاً، وذلك خلاف عادته، بل ذكرها مباشرة بعد مؤتة[٤].

وقال ابن كثير: «ذكرها الحافظ البيهقي قبل غزوة الفتح»[٥].

---

(١) سبل ٦/٢٧٠.

(٢) ابن هشام (سيرة: بشرح أبي ذرّ ٤/٣٥٩).

(٣) انظر: (البيهقي: دلائل ٤/٣٩٩، وابن عساكر: تاريخ، السيرة النبوية، القسم الأول ص ٤٠٤).

(٤) مغازي ٢/٧٦٩، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (هامش الإصابة ٢/٥١٠)، في ترجمة عمرو بن العاص أنّ الواقدي أرَّخ لها بشهر جمادى الآخرة سنة ثمان، فلعلّه اطّلع على نسخة أُخرى من المغازي. والله تعالى أعلم.

(٥) بداية ٤/٢٧٢، وانظر: الدلائل ٤/٣٩٧.

[١٤] وذكر الزهري في روايته: أنّ البعثين كانا بعد رجوع أهل الحبشة[١]. هذا بالنسبة لأهل المغازي.

أمَّا ما يفهم من الأحاديث التي وردت عن السرية، ففي حديث عليّ بن رباح[٢]، عن عمرو بن العاص ﷺ قال فيه:

[١٥] «**قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ**...». الحديث[٣].

---

(١) سبق تخريجها برقم: [٩].

(٢) عليّ بن رباح بن قصير ــ ضدّ الطويل ــ، اللخمي، أبو عبد الله المصري (ثقة). من كبار الثالثة. مات سنة بضع عشرة ومائة. (تقريب ٤٠١).

(٣) أخرجه أحمد (المسند، حديث: ١٧٧٣٠)، والبخاري، (الأدب المفرد ص ٩٧)، والحاكم، (المستدرك ٣/٢)، جميعهم من حديث موسى بن عليّ بن رباح عن أبيه، عن عمرو بن العاص ﷺ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر (فتح الباري ٥٧/٨): رواه أحمد والبخاري في الأدب، وصححه أبو عوانة، وابن حبان، والحاكم، وقال الهيثمي (المجمع ٣٥٣/٩): رجال أحمد رجال الصحيح، وحسَّن ابن حجر في (الإصابة) سند أحمد.

قلت: لعلَّ ذلك من أجل أنَّ فيه موسى بن عليّ، قال عنه في (التقريب ص ٥٥٣): صدوق ربما أخطأ. ولكنه وقع مع ذلك من رجال مسلم. فسنده صحيح. كما صحّحه النقاد من أهل الحديث. والله تعالى أعلم.

يُفْهَم منه أنّه ﷺ بعثه بعد إسلامه مباشرة، قال ابن حجر: «وهذا فيه إشعار بأنّ بعثه عقب إسلامه، وكان إسلامه في أثناء سنة سبع من الهجرة»(١).

أمّا حديث الحارث(٢) بن حسَّان الذي فيه:

[١٦] «**خرجت أشكو العلاء(٣) بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ**...» الحديث. إلى أن قال: «**فأتيت المدينة، فإذا المسجد غاصٌّ بأهله(٤)، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلّد السيف بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً**...». الحديث(٥).

---

(١) فتح الباري ٨/٧٥.

(٢) الحارث بن حسَّان البكري، ويُقال اسمه: حُريث. (صحابي) له وفادة، ونزل البادية، وكان يقدم الكوفة. (تقريب ١٤٥).

(٣) العلاء بن الحضرمي، واسم أبيه عبد الله بن عماد، وكان حليف بني أُمية. (صحابي جليل) عمل على البحرين للنبيّ ﷺ، وأبي بكر، وعمر، ومات سنة أربع عشرة. وقيل: بعذ ذلك. (تقريب ٤٣٤).

(٤) أي: ممتلئ بالناس.

(٥) أخرجه أحمد بهذا السياق مطوَّلاً في قصة عاد من قصص الأنبياء (المسند ٣/٤٨٢). وأخرجه النسائي (السنن الكبرى ٥/١٨١) مختصراً.
كلاهما من طريق أبي المنذر سلام بن سليمان النحوي، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن الحارث بن يزيد البكري ﷺ.

=

فهذا الحديث يُفْهَم منه أنّ بعث عمرو بن العاص ﷺ كان في أثناء فترة ولاية العلاء بن الحضرمي على البحرين، وكان رسول الله ﷺ قد بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكّة، كما يذكر ابن إسحاق(١).

ويُفهم من قول أبي رافع الطائي ــ في آخر حديثه الذي أخرجه الطبراني:

[١٧] ((**فمكثت سنة، ثُمَّ إنّ أبا بكر استخلف...**)) الحديث(٢). أنّ تاريخ بعث السرية كان متأخراً جداً. والله تعالى أعلم.

قال الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية، مُعَلِّقاً على الأقوال التي ذُكرت حول إسلام عمرو بن العاص ﷺ، ثُمَّ تأميره على ذات السلاسل: ((فيكون تأمير عمرو عقب إسلامه بنحو أربعة أشهر على ما صدّر به

=

قلت: وسنده حسن. لأنّ فيه عاصم بن بهدلة. صدوق له أوهام. (التقريب ص ٢٨٥). كما أخرجه أحمد (المسند ٣/٤٨١)، وابن ماجه (السنن ٢/٢٠٧)، وابن أبي شيبة (المصنّف ١٢/٥١٢)، جميعهم من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث ﷺ.

قلت: وهذا السند صورته منقطع، عاصم بن أبي النجود لم يدرك الحارث فيروي عنه والصحيح: عنه عن أبي وائل عن الحارث، كما ذكر ابن حجر (التهذيب ١/ ٤٠٧). وكما هو واضح في السند السابق. والله تعالى أعلم.

(١) ابن هشام: سيرة، بشرح أبي ذرّ ٤/٢٩٤.

(٢) سبق تخريجه برقم: [١].

المصنّف[١] فيما مرَّ أنّه كان في صفر سنة ثمان،وفي الشامية أنّ بعثه كان بعد سنة من إسلامه[٢] وهم إنّما يأتي على قول الحاكم:أسلم سنة سبع))[٣].

قلت: اختلف أهل العلم في وقت إسلام عمرو بن العاص ﷺ، فقيل: إنّه أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان[٤]، وقيل: بين الحديبية وخيبر[٥]. وقيل:بل أسلم قبل ذلك في الحبشة على يدي النجاشي،ولكنه كتم إسلامه حتى وفد على النّبيّ ﷺقبيل الفتح مع خالد بن الوليد ﷺ[٦]. ورجّح ابن عبد البرّ، وابن حجر القول الأوّل[٧].

---

(١) يقصد القسطلاني مُصَنِّف المواهب الدنية.

(٢) انظر: (الشامي: سبل ٢٦٢/٦، ٢٧٠).

(٣) شرح المواهب ٢٧٨/٢.

(٤) انظر: (الواقدي: مغازي ٧٤٥/٢، ٧٤٩، ابن عبد البر: الاستيعاب، هامش الإصابة ٥١٠/٢-٥١١، ابن الأثير: أسد الغابة ٢٤٥/٤، الحاكم: المستدرك ٥١٣/٣-٥١٤ ، ترجمة عمرو بن العاص).

(٥) انظر: (ابن حجر: فتح الباري ٧٥/٨)، ولم أجد قول الحاكم الذي نقله عنه الواقدي، وأنّ عمرو أسلم سنة سبع، بل الذي وجدته في ترجمة عمرو عنده أنّه أسلم سنة ثمان من الهجرة.

(٦) ذكر ذلك الواقدي: مغازي ٧٤٣/٢-٧٤٤، وعزاه ابن حجر (إصابة ٢/٣)، للزبير ابن بكار. وذكر أنّ البغوي أخرجه بسندٍ جيد عن عمرو بن إسحاق أحد التابعين، وأخرجه أحمد (المسند ١٩٨/٤-١٩٩)، والحاكم (المستدرك ٣٣٧/٣، ٥١٤)، والأوّل سكت عنه الذهبي، والثاني حذفه من التلخيص.

(٧) الاستيعاب بهامش الإصابة ٥١٠/٢، فتح الباري ١٠١/٧.

قلت: وبذلك يترجّح ما ذكره ابن سعد، وغيره من أنّ تاريخ السرية كان في جمادى الآخرة سنة ثمان. والله تعالى أعلم.

ويفهم من الأحاديث التي ذكرت أنّ أصحاب السرية أصابهم برد شديد، وأنّهم أرادوا إشعال نارٍ لتدفئتهم، ولكنّ عمرو بن العاص ﷺ منعهم من ذلك خوفاً أن يرى العدوّ قِلّتهم.

وكذلك الأحاديث التي ذكرت أنّ القائد عمر بن العاص ﷺ أصابته جنابة في إحدى الليالي، ثُمَّ صلّى بأصحاب السرية دون أن يغتسل خوفاً على نفسه من شِدَّة البرد[1].

كلّ ذلك يعطينا دلالة واضحة على أنّ بعث السرية كان في فصل الشتاء، وشهر جمادى الآخرة الذي ذكره أصحاب المغازي تاريخاً لخروج السرية هو من أشهر فصل الشتاء في الأغلب. والله تعالى أعلم.

---

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/٥١٠، فتح الباري ٧/١٠١.

المبحث الرّابع: عدد الجيش، وقائده:

لَم يُحَدِّدعددالجيش غيرالواقدي،وكاتبه ابن سعد في روايته:حيث قالوا:

[١٨] وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعه ثلاثون فرساً وأمره أن يستعين بمن يمرّ به من بليّ وعذرة وبلقين، فسار الليل وكمن النهار، فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع(١) بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجرَّاح في مائتين، وعقد له لواءً وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر»(٢).

[١٩] وذكر الواقدي مثله، إلاّ أنه سمَّى بعض أفراد الجيش، فمن المهاجرين: عامر(٣) بن ربيعة، وصهيب(٤) بن سنان، وسعيد(٥) بن

---

(١) رافع بن مكيث ــ بفتح الميم وكسر الكاف ــ (صحابي) شهد الحديبية والفتح ومعه لواء جهينة. (تقريب ٢٠٥).

(٢) سبق تخريجها برقم: [٣].

(٣) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العنْزي ــ بسكون النون ــ حليف آل الخطاب (صحابي مشهور) أسلم قديماًوهاجروشهدبدراً.مات ليالي قتل عثمان.(تقريب٢٨٧).

(٤) صُهيب بن سنان أبو يحيى الرومي، أصله من النمر، يُقال كان اسمه عبد الملك، وصهيب لقب (صحابي شهير) مات بالمدينة سنة ثمانٍ وثلاثين في خلافة عليّ. وقيل: قبل ذلك. (تقريب ٢٧٨).

(٥) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي (أحد العشرة) مات سنة خمسين أو بعدها بسنة أو سنتين. (تقريب ٢٣٦).

زيد بن عمرو بن نفيل، وسعد(١) بن أبي وقاص، ومن الأنصار: أُسيد(٢) بن حضير، وعبَّادة(٣) بن بشر، وسلمة(٤) بن سلامة، وسعد(٥) بن عبادة.

وورد عنده اسم رافع الطائي، وعوف بن مالك الأشجعي، ورافع ابن مَكِيث الجهني، من خلال سياق الأحداث، بينما لم تحدِّد بقية الروايات عدد الجيش، وإنّما تردَّد فيها أسماء بعض المشاركين في السّرية، مثل أبي

---

(١) سعد بن أبي وقاص، مالك بن وهيب الزهري، أبو إسحاق. (أحد العشرة). وأوّل مَن رمي بسهمٍ في سبيل الله. ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة خمسٍ وخمسين على المشهور. وهو آخر العشرة وفاة. (تقريب ٢٣٢).

(٢) أُسيد بن حُضَير ـــ بضم المهملة وفتح الضاد المعجمة ـــ ابن سماك الأنصاري الأشهلي، أبو يحيى (صحابي جليل) مات سنة عشرين، أو إحدى وعشرين. (تقريب ١١٢).

(٣) عبّادة بن بشر بن وَقَش ـــ بفتح الواو والقاف ـــ الأنصاري (من قدماء الصحابة)، أسلم قبل الهجرة، وشهد بدراً وأبلى يوم اليمامة فاستشهد بها. (تقريب ٢٨٩).

(٤) سلمة بن سلامة بن وَقَش بن زغبة الأنصاري الأشهلي، ذكره ابن إسحاق وابن عقبة وغيرهما في (أهل العقبة وبدر) مات سنة أربع وثلاثين. وقيل: بل تأخر إلى سنة خمسٍ وأربعين، ومات بالمدينة. (إصابة ٦٥/٢).

(٥) سعد بن عبادة بن دُلَيم الأنصاري الخزرجي، (أحد النقباء، وسيد الخزرج، وأحد الأجواد)، وقع في صحيح مسلم أنّه شهد بدراً، والمعروف عند أهل المغازي أنّه تهيّأ للخروج فنُهِشَ فأقام، مات بأرض الشام سنة خمس عشرة. وقيل: غير ذلك. (تقريب ٢٣١).

بكر الصّديق، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجرّاح، والمغيرة[1] بن شعبة، ورافع الطائي، وعوف بن مالك، ـــ رضي الله عنهم أجمعين ـــ.

أمّا قائد الجيش، فقد ورد في رواية الزهري السابقة:

[٢٠] أنّ رسول الله ﷺ بعث بعثين إلى كلب، وغسّان، «وأمّر على أحد البعثين أبا عبيدة بن الجرّاح، وأمّر على البعث الآخر عمراً ابن العاص، فانتدب في بعث أبي عبيدة أبا بكر وعمر، فلمّا كان عند خروج البعث دعا رسول الله ﷺ أبا عبيدة وعمراً، فقال: لا تعاصيا، فلمّا فصلا من المدينة خلا أبو عبيدة بعمرو، فقال له: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ وإليك أن لا تعاصيا، فإمّا أن تطيعني، وإمّا أن أطيعك. فقال: لا بل أطعني، فأطاع أبو عبيدة، وكان عمرو أميراً على البعثين كليهما»[2].

وذكر الشعبي في روايته:

[٢١] أنّه بعثٌ واحدٌ مقسومٌ قسمين: مهاجرين، وأعراب، وأنّ رسول الله ﷺ استعمل «أبا عبيدة على المهاجرين، واستعمل عمر بن العاص على الأعراب»[3].

---

(١) المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي (صحابي مشهور) أسلم قبل الحديبية، وولي إمرة البصرة والكوفة، مات سنة خمسين على الصحيح. (تقريب ٥٤٣).

(٢) سبق تخريجها برقم: [٩].

(٣) سبق تخريجها برقم: [١٠].

وذلك وهمٌ غير محفوظ، فالمعروف من روايات أهل المغازي الآخرين، كعروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق، وابن سعد، والواقدي، وغيرهم، أنّ قائد السرية ابتداءً كان عمرو بن العاص ﵁، وأنّ أبا عبيدة بن الجرّاح ﵁ أُرْسِلَ مدداً له فيم بعد على رأس المهاجرين، وفيهم أبو بكر الصّدّيق ﵁ وعمر بن الخطاب ﵁، وأنّ أبا عبيدة سلّم القيادة بعد ذلك لعمرو خشية الفرقة بين المسلمين، تنفيذاً لأمر القائد الأعلى للمسلمين رسول الله ﷺ.

وربّما دخل الوهم على أحد رواة الحديثين السابقين[1]، لأنّه لم يتصوّر أن يتأمّر عمرو بن العاص وهو أقلّ سابقة على المهاجرين الأوّلين، أمثال أبي بكر الصّدّيق، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجرّاح، ــ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ــ، فاختلط عليه الأمر فجعلهما جيشين بقائدين أُرْسِلا معاً في وقتٍ واحد.

وما عُرِفَ عن رسول الله ﷺ من الدِّقّة في التنظيم والحرص الشديد دائماً على عملية الضبط العسكري والانضباط بين جنوده في جيوشه وبعوثه وسراياه، وعدم تركه المجال للاختلافات المؤدية للفوضى والفشل واحتمالات الخطأ والصواب، كلّ ذلك يجعلنا نستبعد فرضية حدوث مثل ذلك الأمر. والله تعالى أعلم.

---

(١) ربّما كان الوهم في رواية الزهري من ابن لهيعة، الذي اختلط بعد احتراق كتبه، أو من يونس بن يزيد حيث إنّ في روايته عن الزهري وهم قليل، وربّما دخل الوهم في رواية الشعبي من داود بن أبي هند القشيري مولاهم (ثقة متقن) كان يهم بآخره. (تقريب ٢٠٠). والله تعالى أعلم بالصواب.

وكونه ﷺ يولي قيادة الجيش مَن هو أقلّ سابقة وفضلاً من الصحابة، فذلك لا يدلّ على أنّه أفضل منهم، ولكنّه ربّما رأى ﷺ بثاقب بصر العسكري المُحنَّك أنّه أعلم منهم في الحرب ومكائدها.

أخرج الحاكم بسنده عن بريدة الأسلمي[1] ﷺ قال:

[٢٢] «**بعث رسول الله ﷺ عمر بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وفيهم أبو بكر، وعمر ـــ رضي الله عنهما ـــ، فلمّا انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوروا ناراً، فغضب عمر، وهمّ أن ينال منه، فنهاه أبو بكر ﷺ وأخبره أنّه لم يستعمله رسولُ الله ﷺ عليك إلاّ لعلمه بالحرب...**» الحديث[2].

---

(١) بريدة بن الحُصَيْب ـــ بمهملتين مصغّراً ـــ أبو سهل الأسلمي (صحابي) أسلم قبل بدر ومات سنة ثلاثٍ وستّين. (تقريب ١٢١).

(٢) أخرجه الحاكم (المستدرك ٣/٤٥)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص».

قلت: سنده فيه محمّد بن عبد الجبار العطاردي، ضعيف. وسماعه للسيرة صحيح. (تقريب ٨١)، ويونس بن بكير، صدوق يخطئ (تقريب ٦١٣). كذلك فيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلّس، فكيف يُحْكَم عليه بالصّحّة؟!.

كما أخرجه البيهقي (سنن ٩/٤١)، من حديث يونس بن بكير، عن المنذر بن ثعلبة، عن عبد الله بن يزيد ﷺ به نحوه.

قلت: الناظر في سنده هكذا يظن أنّ الحديث موصول، لكن المنذر بن ثعلبة من الطبقة السادسة (تقريب ٥٤٦)، فكيف يدرك الصحابي عبد الله بن يزيد ﷺ، حيث يذكر ابن حجر أنّ أهل الطبقة السادسة لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة. (تقريب =

كما أخرج البيهقي من حديث يونس، عن أبي معشر[١]، عن بعض مشيختهم:

[٢٣] «**أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّي لأُؤَمِّر الرجل على القوم فيهم مَن هو خير منه، لأنّه أيقظ عيناً، وأبصر بالحرب**»[٢].

وأخرج البيهقي ــ أيضاً ــ عن أبي عثمان النهدي[٣] قال: سمعت عمر بن العاص يقول:

[٢٤]: «**بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل، وفي القوم أبو بكر وعمر، فحدّثت نفسي أنّه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلاّ لمنْزلةٍ لي عند. فأتيته حتى قعدت بين يديه، فقلت: يا رسول الله!**

=

٤٢). وأعتقد أنّه قد تصحّف اسم (عبد الله بن بريدة) إلى (عبد الله بن يزيد) على أحد نُسَّاخ السنن فوهم فيه فجعله عن الصحابي، بينما هو عن التابعي، خاصّة وأنّ البيهقي أخرجه في (الدلائل ٤/٤٠٠)، من طريق المنذر، عن عبد الله بن بريدة موقوفاً عليه. وطبعة السنن المتداولة تفتقر إلى الضبط والإتقان، وفيها تصحيفات كثيرة.والله تعالى أعلم.والحديث عزاه الزرقاني(شرح٢/٢٧٩)إلى إسحاق بن راهوية.

(١) نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني، أبو معشر، مولى بني هاشم، مشهور بكنيته (ضعيف) من السادسة، أسنَّ واختلط، مات سنة سبعين ومائة. (تقريب ٥٥٩).

(٢) أخرجه البيهقي(دلائل٤/٤٠٠)،وسنده فيه ضعف،وجهالة،وانقطاع.والله تعالى أعلم.

(٣) عبد الرحمن بن مُلّ ــ بلام ثقيلة والميم مثلثة ــ أبو عثمان النّهدي ــ بفتح النون وسكون الهاء ــ مشهور بكنيته (مخضرم) من كبار الثانية (ثقة، ثبت، عابد) مات سنة خمس وتسعين،وقيل:بعدها،وعاش مائةوثلاثين سنة.وقيل:أكثر.(تقريب٣٥١).

مَن أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قلت: إنّي لست أسألك عن أهلك. قال: فأبوها. قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: عمر. قلت: ثُمَّ مَنْ؟ حتى عدّد رهطاً. قال: قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا»[1].

(١) أخرجه البيهقي (دلائل ٤/٤٠٠-٤٠١)، وقال: أخرجاه في الصحيح.

قلت: أخرجه البخاري (الصحيح ١٩٢/٤، ١١٣/٥)، ومسلم (الصحيح ٩/٥).

المبحث الخامس: سير الأحداث:

في شتاءٍ باردٍ عام ثمانٍ من الهجرة النبوية المباركة، وفي شهر جمادى الآخرة منه ــ كما حدّده أكثر أهل المغازي(١) ــ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه.

[٢٥] «**فقال: خُذ عليك ثيابك وسلاحك ثُمَّ ائتني**»(٢).

قال عمرو رضي الله عنه:

[٢٦] «**فأتيته وهو يتوضّأ، فصعّد فيَ النظر، ثُمَّ طَأطأ، فقال: إنّي أُريد أن أبعثك في جيشٍ فيُسَلِّمك الله ويُغَنِّمك، وأرغب لك من المال رغبةً صالحة، قال: قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال. ولكني أسلمت رغبة في الإسلام،وأن أكون مع رسول الله ﷺ. فقال: يا عمرو! نِعْمَ المال الصّالح للمرء الصالح**»(٣).

وفي المسجد النبوي الشريف، كما هو المعتاد في مثل هذه الحالة، تَتِمُّ مراسم تولية عمرو بن العاص رضي الله عنه رسميّاً قائداً على الجيش.

يُحدِّثُنا الحارث بن حسَّان رضي الله عنه قال: قدمت المدينة:

---

(١) انظر: الأقوال في تاريخ السرية، في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) سبق تخريجها برقم: [١٥].

(٣) سبق تخريجها برقم: [١٥].

[٢٧] ((**فإذا المسجد غاصّ بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلّد السيف بين يدي رسولِ الله ﷺ، فقلت: ما شأن النّاس؟**))(١).

[٢٨] ((**قالوا:هذارسول اللهﷺيريد أن يبعث عمر بن العاص وجهاً**))(٢).

وينفرد الواقدي، وابن سعد في تحديد عدد الجيش، فيذكران أنّهم كانوا: ((**ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً**))(٣).

ويسرد الواقدي أسماء بعض المشاركين من المهاجرين والأنصار، وبينما وردت أسماء أخر من خلال سياق الأحداث في جميع الروايات(٤).

ويذكر ابن سعد أنّ رسول الله ﷺ عقد لعمرٍ لواءً أبيض، وجعل معه راية سوداء:

[٢٩] ((**وأمره أن يستعين بمن يَمُرُّ به من بليّ، وعذرة، وبلقين**))(٥).

[٣٠] ((**وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك**))(٦).

[٣١] ((**فسار الليل وكمن النهار. فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً،فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول اللهﷺيستمدّه**))(٧).

---

(١) سبق تخريجها برقم: [١٦].

(٢) سبق تخريجها برقم: [١٦].

(٣) هذا لفظ ابن سعد. وقد سبق تخريجها برقم: [٣]. (انظر: المبحث الرابع).

(٤) انظر ص:

(٥) من رواية ابن سعد. وقد سبق تخريجها برقم: [٣].

(٦) من رواية ابن إسحاق عند الطبري. وقد سبق تخريجها برقم: [١].

(٧) أي: يطلب المدد والعون. وقد سبق تخريجها برقم: [٣].

[٣٢] ((**فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأوّلين، فانتدب فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب في سراة المهاجرين، وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح، فأمدّ بهم عمرو بن العاص**))[١]. **وقال لأبي عبيدة حين وجّهه:** ((**لا تختلفا**))[٢].

ويذكر الواقدي، وابن سعد: أنّهم كانوا مائتين من سراة المهاجرين والأنصار[٣].

[٣٣] ((**فلمّا قدموا على عمرو قال: أنا أميركم، وأنا أرسلت إلى رسول الله أستمده بكم. قال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أُمْددتُ به، فلمّا رأى ذلك أبو عبيدة، وكان رجلاً حسن الخُلق، ليِّن الشكيمة**[٤]**، سعى لأمر رسول الله ﷺ عليه، وعهده. قال: يا عمرو إنّ آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا، وإنّك إن عصيتني لأطيعنّك. فسلّم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص**))[٥].

---

(١) من رواية موسى بن عقبة. وقد سبق تخريجها برقم: [٨].

(٢) من رواية ابن إسحاق عند الطبري. وقد سبق تخريجها برقم: [١].

(٣) انظر: ص: ٣٤٧.

(٤) أي: ليّن الخُلُق، سمحه.

(٥) من رواية موسى. وقد سبق تخريجها برقم: [٨].

[٣٤] وتذكر بعض الروايات(١) **أنّ ذلك الأمر لم يرق لبعض المهاجرين باعتبار أسبقيتهم للإسلام، ورأوا أن عمرو ﷺ استبدّ بالإمارة دون أبي عبيدة بن الجرّاح ﷺ، وأنّه دارت مناقشات حول هذا الموضوع، ولكنّ أبا عبيدة ﷺ وبِمّا عُرِفَ عنه من الحكمة والكياسة، استطاع إقناعهم بالحُسنى بأنّه آثر الطاعة والامتثال لأمر النّبيّ ﷺ خشية الفرقة والفتنة بين المسلمين(٢).**

فأطاع الجيش كله لعمرو بن العاص ﷺ، فكان عمرو يُصَلِّي بالناس، وكان الجوّ شاتياً شديد البرودة في تلك المناطق، ويوماً مّا:

[٣٥] «**أصابهم بردٌ شديدٌ، لَمْ يُرَ مثله، فخرج لصلاة الصّبْح فقال: والله لقد احتلمت البارحة، ولكنّي والله ما رأيت برداً مثل هذا، أهل مرَّ على وجوهكم مثله؟ قالوا: لا. فغسل مغابنه(٣) وتوضّأ وضوءه للصلاة، ثُمَّ صلّى بهم**». **وفي رواية: «فتيمّم»(٤).**

---

(١) انظر رواية الشعبي عند أحمد (المسند ١/١٩٦، ورواية الزهري عند عبد الرّزّاق (المصنّف ٥/٤٥٢-٤٥٤).

(٢) كان مِمَّا قال أبو عبيدة ﷺ: «إن رسول الله ﷺ عهد إليّ وإليه أن لا تتعاصيا، فخشيت إن لم أُطعه أن أعصى رسول الله ﷺ ويدخل بيني وبينه الناس. وإني والله لأطيعنه حتى أقفل». (ابن عساكر: تاريخ: المجلدة الأولى (١/٤٠٥-٤٠٦).

(٣) المغابن: الأرفاغ. وهي بواطن الأفخاذ عند الحوالب. (الجوهري: الصحاح، وابن الأثير: النهاية، مادة: غبن).

(٤) أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود ١/٥٣٢)، والحاكم (المستدرك ١/٢٨٥) وهذا لفظه.

=

=

كلاهما من حديث عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبي قيس، مولى عمرو بن العاص، عن عمرو بن العاص ﷺ.

وقال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية. قال: فيه فتيمم.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. والذي عنده أهما علّلاه بحديث جرير بن خازم عن يحيى بن أيوب عن يزيد عن عمران عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص قال: «احتلمتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكر للنبي ﷺ. فقال: يا عمرو! صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال. وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيما﴾. فضحك رسول الله ﷺ و لم يقل شيئاً». ووافقه الذهبي في التلخيص.

قلت: أصل الحديث أخرجه البخاري (الصحيح ١/٩٠)، مُعَلَّقاً، وقال ابن حجر (فتح الباري ١/٤٥٤): هذا التعليق وصله أبو داود. (انظر: عون المعبود ١/٥٣٠-٥٣١)، والحاكم (المستدر ١/٢٨٥)، من طريق يحيى بن أيوب عن يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص، ثُمَّ ذكره مثله. وذكر أنَّ سنده قوّي وأنَّ البخاري علّقه بصيغة التمريض لكونه اختصره ثُمَّ ذكر عن البيهقي (السنن ١/٢٢٦) أنه يمكن الجمع بين الروايات بأنه توضأ، ثُمَّ تيمم عن الباقي.

[٣٦] وكان قبل ذلك قد أصدر أوامره بمنع إشعال النيران في المعسكر لمدّة ثلاثة أيام رغم حاجتهم للتدفئة(١)، فغضب عمر بن الخطاب ﷺ وقال لأبي بكر:

[٣٧] ((**لِمَ لَمْ يدَع عمرو الناس أن يوقدوا ناراً ألا ترى إلى هذا الذي منع الناس منافعهم؟.فقال أبو بكر:دعه قائماً، ولاّه رسول الله ﷺ علينا لعلمه بالحرب**))(٢). ((**فهدأ عمر** ﷺ))(٣).

وتشير بعض الروايات بأنّ المسلمين:

[٣٨] ((**لقوا العدوّ فهزموهم**))(٤).

---

(١) ذكره الهيثمي (مجمع ٣١٩/٥) وعزاه الطبراني، وقال: رواه بإسنادين، ورجال الأوّل رجال الصحيح.

قلت: لم أجده في المطبوع من المعجم فلعلّه من الجزء المفقود منه.والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف ٥٣١/١٢) عن عبد الله بن بريدة الأسلمي، وهو ثقة. (تقريب٢٩٧)، وسند الحديث إليه صحيح. لكنّه مرسل.فعبد الله لم يدرك الواقعة.

(٣) من رواية بريدة عند الحاكم. وقد سبق تخريجها برقم: [٢٢].

(٤) أخرجه ابن حبان (انظر: الإحسان، حديث ٤٥٢٣)، من طريق يحيى بن سعيد الأموي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص ﷺ. وسنده حسن. لأنّ فيه الحسن بن حماد الحضرمي صدوق. (التقريب ص ١٦٠). وبقية رجاله ثقات. وذكر ابن حجر (فتح الباري ٢٦/٧) أنه أخرجه ابن خزيمة، و لم أجده في المطبوع من صحيح ابن خزيمة. فلعلّه من الجزء المفقود منه. والله تعالى أعلم.

بينما يُفصِّل الواقدي، وابن سعد الحديث عن ذلك، فيذكر أنّ عمرو بن العاص رضي الله عنه:

[٣٩] ((**سار حتّى وطئ بلاد بليّ ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم، وبلاد عذرة وبلقين**))(١).

ويمكن تأويل روايةالطبراني عن رافع الطائي رضي الله عنه أنّ المسلمين انطلقوا:

[٤٠] ((**حتّى نزلوا جبل طيء، فقال عمرو: انظروا إلى رجلٍ دليلٍ بالطريق، فقالوا: ما نعلمه إلاّ رافع بن عمرو، فإنّه كان ربيلاً في الجاهلية**))(٢)(٣). ــ بإمعان المسلمين في طلب القوم حتّى وصلوا إلى تلك المنطقة البعيدة نسبياً عن المنطقة المحدَّدة سلفاً لعمليات السّرية، ويُشير إليه طلب القائد البحث عن دليل بالطريق ــ ثُمَّ إنّهم لقوا:

[٤١] ((**في آخر ذلك جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرّقوا**))(٤).

فنهاهم عمرو رضي الله عنه.

[٤٢] ((**أن يتبعوا العدوّ مخافة أن يكون لهم كمين من وراء الجبل**))(٥).

---

(١) لفظ ابن سعد، وقد سبق تخريجها برقم: [٣]. وانظر: مغازي الواقدي ٧٧١/٢.

(٢) أي: كان لِصّاً في الجاهلية.

(٣) سبق تخريجها برقم: [١١].

(٤) من رواية ابن سعد. وقد سبق تخريجها برقم: [٣].

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف ٥٣١/١٢)، عن قيس بن أبي حازم، ثقة. مخضرم. (تقريب ٤٥٦). والسند إليه صحيح لكنّه مرسل. ومراسيل قيس من أقوى المراسيل. (الموقوظة ٢٦). وهو يروي عن عمرو بن العاص. (تهذيب ٥٦١/٤).

وتشير رواية الزهري أنّهم:

[٤٣] «**أسروا ناساً كثيرين من العرب**»[١].

ويبدو أنّ نتيجة ذلك الإمعان في طلب العدوّ وتقصّيهم حتّى آخر بلادهم، نفذ تموين الجيش، يقول عوف بن مالك الأشجعي ﷺ:

[٤٤] «**فأصابتنا مخمصة[٢] شديدة فانْطَلقتُ ألتمس المعيشة فالتَقَيتُ قوماً يريدون أن ينحروا جزوراً لهم، فقلت: إن شئتم كفيتكم نحرها وعملها وأعطوني منها، ففعلتُ فأعطوني منها شيئاً فصنعته، ثُمّ أتيت عمرو بن العاص فسألني مِن أين هو؟ فأخبرته. فقال: أسمعك قد تعجّلت أجرك، وأبى أن يأكله، ثُمّ أتيت أبا عبيدة بن الجرّاح فأخبرته، فقال لي مثلها، وأبى أن يأكله، فلمّا رأيت ذلك تركتها**»[٣].

---

(١) سبق تخريجها برقم: [٩].

ويذكر البلاذري (أنساب ٣٨١)ن أنّ عمرو بن العاص ﷺ لقي من العدوّ من قضاعة، وعاملة، ولخم، وجذام، وكانوا مجتمعين، ففضهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة.

(٢) أي: جوع شديد.

(٣) أخرجه البيهقي (الدلائل ٤/٤٠٥). وهذا لفظه من حديث سعيد بن أبي أيوب وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن هدم عن عوف بن مالك ﷺ.

وسنده فيه ربيعة بن لقيط وثّقه العجلي وابن حبان. وذكره ابن أبي حاتم ولم يقل شيئاً. (ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣/٤٧٥، وابن حبان: الثقات ٤/٢٣٠، وابن حجر: تعجيل المنفعة ص ٨٨-٨٩).

=

وبعد أن أدّت السرية مهمّتها على أكمل وجهٍ، رجع عمرو بن العاص ﷺ بالجيش قافلاً إلى المدينة، وكان قد:

[٤٥] «بعث عوف بن مالك الأشجعي بريداً إلى رسول الله ﷺ يبشّره بما فتح الله عليهم»(١).

قال عوف:

[٤٦] «فلمّا قفل الناس من ذلك السفر كنت أوّل قادم على رسول الله ﷺ فجئته وهو يصلّي في بيته. فقلت: السلام عليك يا رسول الله

=

ومالك بن هدم وثّقه ابن حبان فقط. وذكره البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يقولا عنه شيئاً. (البخاري: التاريخ ٣٠٧/٧، وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢١٧/٨، وابن حبان: الثقات ٣٨٥/٥).

وابن لهيعة، وحديثه مقرون. وبقية رجاله ثقات. وله متابعة ذكره ابن هشام (السيرة ٦٢٥/٤-٦٢٦)، والبيهقي (الدلائل ٤٠٤/٤)، وابن كثير (البداية والنهاية ٢٧٤/٤)، جميعهم من طريق ابن إسحاق. أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنّه حُدّث عن عوف بن مالك ﷺ، فذكره نحوه.

قال ابن كثير: هكذا رواه ابن إسحاق عن يزيد بن حبيب عن عوف بن مالك، وهو منقطع، بل معضل.

وقال البيهقي: قصد بإسناده محمّد بن إسحاق، رواه سعيد بن أبي أيوب وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط. أخبره عن مالك بن هدم، أظنه عن عوف بن مالك، ثُمّ ذكر الحديث.

(١) من رواية ابن سعد. وقد سبق تخريجها برقم: [٣].

ورحمة الله وبركاته»[١].

[٤٧] «قال: صاحب الجزور، ولم يزد عليَّ شيئاً»[٢]. وتلك معجزة من رسول الله ﷺ، فقد ذكر له خبر الجزور، قبل أن يتكلم ويخبره عن خبرهم في تلك السّرية.

وأثناء عودة الجيش إلى المدينة، وفي الطريق أراد رافع الطائي ﷺ ــ دليل المسلمين في السرية ــ أن يصحب رجلاً صالحاً من أفرادها ينفعه الله به، فتوسّم في أبي بكر الصّدّيق ﷺ خيراً، فصحبه، يقول رافع:

[٤٨] «فوفّق لي أبو بكر فكان يُنَيِّمني على فراشه، ويلبسني كساء له من أكسية فدك»[٣].

---

(١) رواه ابن إسحاق (ابن هشام: سيرة ٤/٦٢٥-٦٢٦). وأخرجه ابن كثير عن ابن إسحاق (البداية ٤/٢٧٤). وقال: هكذا رواه محمّد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب، عن عوف بن مالك، وهو منقطع، بل معضل. كما أخرجه البيهقي (دلائل ٤/٤٠٤)، عنه أيضاً. وقال: قصّر بإسناده محمّد بن إسحاق. ورواه سعيد بن أبي أيوب، وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط، أخبره عن مالك بن هرم، أظنه عن عوف بن مالك، ثُمّ ذكر الحديث.

قلت: ورجاله ثقات ما عدا مالك بن هرم،وثّقه ابن حبان فقط.(الثقات٥/٣٨٥).

(٢) سبق تخريجها برقم: [٤٤].

(٣) أخرجه ابن خزيمة، كما ذكر ابن حجر (إصابة ١/٤٩٧). من طريق طلحة بن مصرّف عن سليمان، عن طارق بن شهاب، عن رافع الطائي.

قلت: وسنده رجاله ثقات. سليمان؛ هو: ابن ميسرة الأحمسي، وثّقه العجلي ويحيى ابن معين والنسائي وابن حبان.

[٤٩] «فلمّا دنونا من المدينة قافلين قال: قلت: يا أبا بكر! إنّما صحبتك لينفعني الله بك، فانصحني وعلّمني. قال: لو لم تسألنِ ذلك لفعلت»(١).

[٥٠] «قال: أتحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم. قال: تشهد ألاّ إله إلاّ الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وتقيم الصلوات الخمس، وتؤتي الزكاة إن كان لك مال، وتحجّ البيت، وتصوم رمضان. حفظت؟ قلت: نعم. قال: وأخرى لا تُؤَمَّرَنَّ على اثنين. قلت: هلَ تكون الإمرة إلاّ فيكم أهل بدر؟ قال: يوشك أن تفشو حتّى تبلغك ومَن هُو دونك، إنّ الله لَمَّا بعثَ نبيَّه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل فهداه الله، ومنهم مَن أكرهه السيف، فهم عوّاذ الله(٢)، وجيران الله في خفارة الله(٣)، إن الرجل إذا كان أميراً فتظالم الناس بينهم فلم يأخُذ لبعضهم من بعض، انتقمَ الله منه. إنّ الرجل لتُؤخذ شاة جاره فيظل ناتئ عضلته(٤) غضباً والله من وراء جاره»(٥).

---

(١) ذكره ابن هشام (سيرة ٤/٦٢٤-٦٢٥)، عن ابن إسحاق الذي رواه بلاغاً. وهو منقطع، ولكن يشهد له حديث ابن خزيمة السابق، وحديث الطبراني الذي سبق تخريجها برقم: [١١].

(٢) أي: في عصمة الله ومنعه.

(٣) أي: في حراسة الله تبارك وتعالى.

(٤) أي: بارزاً عصب وجهه وحلقه، كنّى بذلك عن شدّة الغضب فإنه يبلغ من الشخص هذا المبلغ. والعضلة: هي كلّ لحمة مكتنزة غليظة.

(٥) من رواية رافع عند الطبراني. وقد سبق تخريجها برقم: [١١].

[٥١] ((قال: ففارقته على ذلك))(١). فلمّا قدموا على النّبيّ ﷺ:

[٥٢] ((سأل رسول الله ﷺ كيف وجدتم عمراً وصحابته لكم، فأثنوا عليه خيراً، وقالوا: يا رسول الله! صلّى بنا وهو جنب، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمرو فسأله، فأخبره بذلك وبالذي لقي مِنَ البرد، فقال: يا رسول الله! إنّ الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾. [سورة النساء، الآية: ٢٩]. ولو اغتسلت مُت. فضحك رسول الله ﷺ إلى عمرو))(٢).

[٥٣] كما ذكروا للنّبيّ ﷺ ما صنعه عمرو بن العاص ﷺ من منعه إيّاهم إشعال النيران في معسكرهم رغم البرد الشديد، وحاجتهم للنار في التدفئة، ومنافعهم الأخرى، وشكوا إليه ـــ أيضاً ـــ منعه إيّاهم إتباع العدوّ رغم هزيمته وفراره(٣).

[٥٤] ((فقال: يا رسول الله إنّي كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوّهم قِلتّهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، فحمد رسول الله ﷺ أمره. فقال: يا رسول الله!

(١) من رواية ابن إسحاق بلاغاً. وقد سبق تخريجها برقم: [٤٩].

(٢) من رواية أبي قيس مولى عمرو بن العاص عند الحاكم.وقدسبق تخريجهابرقم:[٣٥].

(٣) انظر: رواية الطبراني عند الهيثمي (مجمع ٣١٩/٥)، ورواية ابن أبي شيبه (المصنف ٥٣١/١٢)، ورواية ابن حبان (كتاب السير، حديث ٤٥٢٣)، والحاكم (المستدرك ٤٥/٣)، وقد سبق تخريجها جميعاً.

من أحبّ الناس إليك؟ قال: لِمَ؟ قال: لأُحبَّ مَنْ تُحبّ. قال: عائشة. قال: من الرجال؟ قال: أبو بكر»[1].

قال عمرو ﷺ:

[٥٥] «قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: عمر. فعدّ رجالاً فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم»[2].

---

(١) من رواية عمرو بن العاص ﷺ عند ابن حبان. وقد سبق تخريجها برقم: [٣٨].

(٢) أخرجه البخاري (الصحيح ١٩٢/٤، ١١٣/٥)، بسنده عن أبي عثمان الهندي. قال ابن حجر: هذا صورته مرسل. بل جزم الإسماعيلي بأنه مرسل. لكن الحديث موصول لقوله بعد ذلك: «قال: فأتيته»، فإنّ المراد: قال عمرو بن العاص، وأبو عثمان سمع من عمرو بن العاص.

وقد أخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى، والإسماعيلي من رواية وهب بن بقية، ومعلي ابن منصور، كلهم عن خالد بن عبد الله بالإسناد الذي أخرجه البخاري (فتح الباري ٧٥/٨).

قلت: وقد أخرجه مسلم (الصحيح ٩/٥) وأحمد (المسند، حديث: ١٧٧٧)، موصولاً عن أبي عثمان، عن عمرو بن العاص. وذكره بنحوه.

المبحث السّادس: الأحكام المستنبطة، والدّروس المستفادة:

❁ قال ابن حجر: وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل، إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية، ومنقبة لعمرو بن العاص لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر، وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهم، لكن يقتضي أنّ له فضلاً في الجملة[١].

❁ ونقل ابن حجر، والزرقاني عن رافع الطائي قال: وهذه الغزوة هي الغزوة التي يفتخر بها أهل الشام[٢].

❁ وقال ابن حجر ــ أيضاً ــ: وفي الحديث مزية أبي بكر على الرجال، وبنته عائشة على النساء[٣].

❁ وقال النووي: وفيه دلالة تنبيه لأهل السُّنّة في تفضيل أبي بكر، ثُمَّ عمر على جميع الصحابة[٤].

قلت: كان الصحابة ــ رضوان الله تعالى عليهم ــ يعرفون هذا الأمر جيِّداً، ومتداوَلٌ بينهم، حتّى إنّ الشّباب من صغار الصحابة كانوا يُفَاضلون بين الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ، فيقدّمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فلا يُنكر عليهم رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري

(١) فتح الباري ٨/٧٥.

(٢) انظر: المصدر السّابق. والزرقاني: شرح ٢/٢٨٠.

(٣) فتح الباري ٨/٧٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٥٣.

في الصحيح عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «**كُنّا نخيّر بين الناس في زمن النّبيّ ﷺ، فنخيّر أبا بكر، ثُمّ عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ــ رضي الله عنهم ــ**»(١).

ونقل البيهقي عن الشافعي أنّه قال: «أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثُمّ عمر، ثُمّ عثمان، ثُم عليّ»(٢).

❁ وفي قصّة رافع الطائي ﷺ يظهر جليّاً تميُّز الصّدّيق ﷺ في هيئته، ومظهره، وتعامله مع الناس، ذلك التميّز الواضح القويّ لاحظه رافع، فاختاره صاحباً له من بين جميع أفراد السرية، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على المواهب العظيمة التي حباها الله ﷻ لذلك الرجل العظيم. حيث عرف الناس فضله وتميُّزه، سواء القريبون منه في مجتمع المدينة الذين كانوا يرون بأعينهم، ويسمعون بآذانهم، ويلاحظون بحواسهم، تقديم المصطفى ﷺ له وتفضيله إيّاه، وحديثه الدائم عنه عن أعماله الخَيِّرة في خدمة الإسلام منذ اللحظة التي صدّق فيها رسولَ الله ﷺ.

أخرج البخاري في الصحيح حديث أبي الدرداء ﷺ الذي فيه: **فقال النّبيّ ﷺ: «إنّ الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله...»** الحديث(٣).

---

(١) انظر: فتح الباري ٧/١٦، ٥٣.

(٢) ذكر ذلك ابن حجر: (فتح الباري ٧/١٧)، نقلاً عنه.

(٣)

أو الذين يرافقونه في البعوث والسرايا من الإعراب، فيلاحظون ذلك التميُّز المُلْفِت للنظر لشخصية الصِّدِّيق ﷺ من خلال ما يرونه ويتوسّمونه فيه من خلال الخير، وأعمال البِرِّ، وحُسن الخُلُق،وكرامة المظهر، وحُسن التعامل، كما حدث هذا في هذه السرية، والله تعالى أعلم.

❁ وفي حديث عمرو بن العاص ﷺ وأنّه صلّى بأصحابه وهو جُنُب لخوفه من شدّة البر.

قال ابن حجر: ((وفي هذا الحديث جواز التيمّم لمن يتوقع من استعمال الماء الهلاك سواء كان لأجل البرد أم غيره[1].

وقال الخطابي: ((وفيه من الفقه أنّه جعل عدم إمكان استعمال الماء كعدم عين الماء، وجعله بمنْزلة مَن خاف العطش ومعه ماء، فأبقاه لشقته وتيمّم خوف التلف، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة: فشدّد فيه عطاء ابن أبي رباح وقال: يغتسل وإن مات، واحتجّ بقوله: ﴿وَإِنْ كُنتُم جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾. [سورة المائدة، الآية: ٥]. وقال الحسن نحواً من قول عطاء. وقال مالك وسفيان: يتيمّم، وهو بمنْزلة المريض وأجازه أبو حنيفة في الحضر وقال صاحباه: لا يجزيه في الحضر، وقال الشافعي: إذا خاف على نفسه من شدّة البرد تيمّم وصلّى وأعاد كلّ صلاةٍ صلاّها كذلك، ورأى أنّه من العُذْر النّادر، وإنما جاءت الرّخص التامّة في الأعذار العامّة))[2].

---

(١) فتح الباري ١/٤٥٤.

(٢) حاشية سنن أبي داود ١/٢٣٨-٢٣٩.

❁ وقال ابن حجر أيضاً: «وفي الحديث جواز صلاة المتيمِّم بالمتوضّئين، وجواز الاجتهاد في زمن النّبيّ ﷺ»(١).

❁ قال ابن القيم: «وقد احتجّ بهذه القصّة مَن قال: إنّ التيمّم لا يرفع الحدث، لأن النّبيّ ﷺ سمّاه جُنُباً بعد تيمُّمه، وأجاب مَن نازعهم في ذلك بثلاثة أجوبة:

أحدها: أنّ الصحابة لمّا شكوه قالوا: صلّى الصُّبحَ وهو جُنُب، فسأله النّبيّ ﷺ عن ذلك. وقال: «**صلّيت بأصحابك وأنت جُنُب؟**» استفهاماً واستعلاماً، فلمّا أخبره بعذره وأنّه تيمّم للحاجة، أقرّه على ذلك.

الثّاني: أنّ الرواية اختلفت عنه فرُوِيَ عنه فيها أنّه غَسَل مغابنه وتوضّأ وضوءه للصلاة، ثُمّ صلّى بهم، ولم يذكر التيمّم، وكأنّ هذه الرواية أقوى من رواية التيمّم، قال عبد الحقّ: «وقد ذكرها وذكر رواية التيمّم قبلها، ثُمّ قال: وهذا أوصل من الأوّل لأنّه عن عبد الرحمن ابن جبير المصري، عن أبي القيس مولى، عن عمرو، والأولى التي فيها التيمّم من رواية عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص لم يذكر بينهما أبا القيس».

الثالث: أنّ النّبيّ ﷺ أراد أن يستعلم فقه عمرو في تركه الاغتسال، فقال له: «**صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟**». فلمّا أخبره أنّه تيمّم للحاجة، عَلِمَ فقهه فلم يُنكر عليه، ويدلّ عليه أنّ ما فعله عمرو من

---

(١) فتح الباري ٤٥٤/١.

التيمّم ــ والله أعلم ــ خشية الهلاك بالبرد، كما أخبر به، والصلاة بالتيمّم في هذه الحال جائزة، غير منكرة على فاعلها، فعلم أنّه أراد استعلام فقهه وعلمه. والله تعالى أعلم[١].

❁ وفي حديث رافع الطائي -رحمه الله تعالى-، وقصته مع أبي بكر ﷺ تنفيرٌ من التّعرُّض للرياسة، والوعيد لأهلها، وأمرهم بالاستقامة[٢]. وقد وردت في معناه أحاديث كثيرة عن النّبيّ ﷺ، من ذلك قوله ﷺ لأبي ذرّ ﷺ: ((**يا أبا ذرّ! أراك ضعيفاً، وإني أُحِبّ لك ما أُحِبّ لنفسي، فلا تأمرنّ على اثنين، ولا تولينّ مال اليتيم**)). وعنه قال: ((**قلت: يا رسول الله! ألا استعملني؟ فضرب على منكبي فقال: يا أبا ذرّ! إنّك ضعيف، وإنّها أمانة، وإنّها يوم القيامة حسرة وندامة إلاّ مَن أخذها بحقّها، وأدّى الذي عليه فيها**)). رواهما مسلم[٣].

قال النووي: ((هذا الحديث وما أشبهه أصلٌ عظيمٌ في اجتناب الولايات))[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ إنّ رسول الله ﷺ قال: ((**إنّكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة**)). رواه البخاري[٥].

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد ١٥٨/٢.

(٢) العامري: بهجة المحافل ٣٦٥/١. (بتصرف بسيط).

(٣) مسلم (الصحيح ١٠٥/٤).

(٤) شرح صحيح مسلم.

(٥) البخاري (الصحيح ١٠٦/٨).

الفصل الثّاني:
سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى الأكيدر.

وفيه مباحث:

المبحث الأوّل: تاريخ السّرية.

المبحث الثّاني: قُوَّة السّرية، وقائدها.

المبحث الثّالث: سير الأحداث.

المبحث الرّابع: الخِلاف في إسلام الأكيدر.

المبحث الخامس: الدّروس المستفادة.

المبحث الأوّل: تاريخ السّرية:

ذكرها عروة بن الزبير بعد غزوة تبوك قائلاً:

[١] «**ولمّا توجَّه رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة بعَثَ خالد بن الوليد...**» الخ[١].

وذكر عروة في نهاية روايته أنّه لّما سمع عظيم أيلة[٢] يحنة بن رؤبة بقضية أكيدر دومة، أقبل قادماً إلى رسول الله ﷺ يصالحه، فاجتمعا عند رسول الله ﷺ بتبوك[٣].

[٢] بينما خالفه ابن إسحاق فذكر أنّ النّبيّ ﷺ بعَثَ إلى أكيدر، حينما انتهى إلى تبوك، وبعد مجيء صاحب إيلة، وأهل جربا، وأذرح[٤]

---

(١) أخرجه البيهقي (دلائل ٥/٢٥٢)، مطوّلاً من حديث ابن لهيعة عن الأسود عن عروة، وهو مرسل.

(٢) بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مِمّا يلي الشام، وقد ذكر أبو زيد أنّها هي مدينة اليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمُسِخُوا قردة وخنازير. وتقع إيلة على خليج العقبة، وهي مقسومة اليوم بين الأردن، ويُسَمّى الجزء فيه بمدينة العقبة. أمّا الجزء الآخر فيقع في إسرائيل ويُسَمَّى بمدينة إيلات. (ياقوت: معجم١/٢٩٢).

(٣) سبق تخريجها برقم: [١].

(٤) أذرح ــ بالفتح ثُمّ السكون وضم الراء ــ، وهو جمع ذريح، وهو اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثُمّ من نواحي البلقاء وعمّان، مجاورة للحجاز، وجربا، كأنّه الأجرب موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قُرب جبال

=

ودفعهم الجزية[١].

[٣] أمّا الواقدي، وابن سعد، فقد أرّخا لها في رجب سنة تسع، وذكراها في سياق خبر غزوة تبوك[٢].

[٤] وذكرها خليفة بعد غزوة تبوك في حوادث السنة التاسعة[٣].

قلت: ولا تعارض بين ما ذكره عروة، وابن إسحاق، فإنّ المدّة التي تفصل بين القولين ليست بالطويلة، لأنّ النّبيّ ﷺ لم يلق حرباً في تبوك، فرُبّما أرسل إلى الأكيدر بعد وصوله إليها، وتأكّده أن ليس ثَمَّ عدوّاً فيها يحاربه. والله تعالى أعلم.

=

السراة من ناحية الحجاز، وهي قرية من أذرح وبينهما كان أمر الحكمين بين عمرو ابن العاص، وأبي موسى الأشعري، وهما اليوم قريتان في المملكة الأردنية، تقعان شمال غربي مدينة معان على قرابة ٢٢ كيلا. انظر: (ياقوت: معجم ١/١٢٨، ٢/١١٨، البلادي: معجم المعالم الجغرافية ٨١).

(١) ذكره ابن هشام (سيرة ٤/٥٢٥-٥٢٦)، عن ابن إسحاق الذي رواه معضلاً بلا سند.

(٢) الواقدي: (مغازي ٣/١٠٢٥، وابن سعد (الطبقات ٢/١٦٦).

(٣) خليفة بن خياط (التاريخ ٩٢).

المبحث الثّاني: قُوَّة السّريّة، وقَائدُها:

اتّفق عروة بن الزبير، والواقدي، وابن سعد ــ وهم الذين ذكروا قوة السريّة ــ على أنّها كانت بقوّة أربعمائة وعشرين فارساً[١].

بينما لم يذكر ابن إسحاق في روايته شيئاً عن قوّة السرية. وقد اتّفق الجميع أنّ القيادة المطلقة لهذه السرية كانت بيد خالد بن الوليد ﷺ[٢].

ولكن البيهقي ذكر في رواية من طريق يونس بن بكير، عن سعد بن أوس القيسي، عن بلال بن يحيى العبسي قال:

[٥] «بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ على المهاجرين إلى دومة الجندل، وبعث خالد بن الوليد ﷺ على الأعراب معه»[٣].

---

(١) انظر: (البيهقي: دلائل ٥/٢٥٢، الواقدي: مغازي ٣/١٠٢٥، ابن سعد: الطبقات ٢/١٦٦).

(٢) المصدر السّابق، و(ابن هشام: سيرة ٤/٩٦).

(٣) أخرجه البيهقي (دلائل ٥/٢٥٣)، ورواه ابن حجر في زيادات المغازي، كما ذكر في الإصابة (١/١٢٥)، وسنده حسن لكنه منقطع. وقد ذكر السيوطي في الخصائص (٢/١١٤)، أنّ ابن منده أخرجه في الصحابة من طريق بلال بن يحيى، عن حذيفة موصولاً.

قلت: وقد ثبت سماع بلال من حذيفة ﷺ كما في التهذيب (١/٣١٧)، فيكون الحديث بذلك حسناً إن شاء الله تعالى. ولكن ذكر أبي بكر فيها غريب جداً. لا يعرف إلاّ من هذا الوجه، كما قال الشامي. والله تعالى أعلم.

وهذه الرواية شاذّة عمّا ذكر أهل المغازي من قيادة خالد بن الوليد ﷺ المطلقة للسريّة.

قال الشامي: «وَذِكْرُ أبي بكر في هذه السريّة غريبٌ جداً، لم يتعرّض له أحد من أئمة المغازي التي وقفت عليها. فالله أعلم»(١).

هذا وقد تردّدت أسماء بعض المشاركين في أحداث السريّة من الصّحابة ــ رضي اللّه عنهم ــ في ثنايا الرّوايات التي نقلت أخبار السّرية، وهم: أبو سعيد الخدري ﷺ ، وعمرو بن أميّة الضمري ﷺ ، وكعب بن عجرة ﷺ ، وواثلة بن الأسقع الليثي ﷺ ، وبلال بن الحارث المزني ﷺ ، وبجير بن بجرة الطّائي ﷺ، وعبد اللّه بن عمرو المزني ﷺ (٢).

---

(١) سبل الهدى ٣٤٢/٦.

(٢) وردت معظم هذه الأسماء في رواية الواقدي.

المبحث الثالث: سير الأحداث:

وعندما انتهى رسول اللّه ﷺ إلى تبوك على رأس جيش العسرة، فلم يلق كيداً، وكعادته ــ عليه السلام ــ في حربه مع أعدائه، أراد أن يستثمر حملته تلك التي نجحت في بث الرعب في نفوس الروم وحلفائهم من العرب المتنصرة، وذلك لإخضاع المنطقة ومن فيها من القبائل العربيّة، والدويلات الموالية للروم التي باتت تشكل حرباً وتهديداً للمسلمين بتحالفها السياسي والعسكري مع البيزنطيين، الذي أثمر بوقوفهم جنباً إلى جنب ضد المسلمين في مؤتة.

لذلك جهّز النّبيّ ﷺ جيشاً من الفرسان، أسند قيادته لفارسٍ مغوارٍ حقّق لتوه نجاحاً منقطع النظير في معركة مؤتة التي دارت أحداثها في محيط المنطقة، ومع نفس العدوّ.

ذلكم هو سيف اللّه المسلول، خالد بن الوليد ﷺ، وصدرت الأوامر النّبويّة العليا لقائد الجيش بأن يتوجّه تلقاء دومة الجندل[1].تلك الدويلة الصّغيرة التي كانت تتمتّع باستقلال ذاتي بوسط بلاد كلب، ويملكها الأكيدر بن عبد الملك الكندي الذي كان نصرانياً يدين بالولاء للدولة البيزنطية.

---

(١) سبق التعريف بها.

[٦] ((**قال خالد: يا رسول اللّه! كيف بدومة الجندل وفيها أكيدر، وإنما نأتيها في عصابة**(١) **من المسلمين**))(٢).

[٧] ((**فقال رسول اللّه ﷺ لخالد: إنك ستجده يصيد البقر، فخرج خالدحتى إذاكان من حصنه منظرالعين في ليلةٍ مقمرةٍصافيةٍ**))(٣).

---

(١) عصابة: جماعة ليست بالكثيرة العدد.

(٢) من مرسل عروة، وقد سبق تخريجه برقم [١].

(٣) أخرجه البيهقي (دلائل٥/٢٥٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق، حدّثنا يزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر.

قال السندي: (مرويات غزوة تبوك ٢٤٢): ((هذا الإسناد حسن، مع إرساله. وقد صرّح فيه محمّد بن إسحاق بالسماع من شيخيه)).

قلت: وقد أخرجه ابن منده من طريق ابن إسحاق به نحوه، وقال: هذا مرسل، وقد وقع لنا مسنداً. ثم أخرج من طريق أبي المعارك الشماخ بن معارك بن مرة بن صخر ابن بجير بن بجرة الطائي، حدّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه بجير بن بجرة، قال: ((كنت في جيش خالد بن الوليد حين بعثه نبيّ الله ﷺ إلى أكيدر ملك دومة الجندل...)). ثُمّ ذكره نحوه.

ذكر ذلك ابن حجر (إصابة١/١٣٨)، وقال: ((وأخرجه ابن السكن، وأبو نعيم، من هذا الوجه، وأبو المعارك وآباؤه لا ذكر لهم في كتب الرجال.

قلت: وذكره أيضاً السيوطي في الخصائص (٢/١١٣)، وعزاه إلى أبي نعيم، وابن منده، وابن السكن.

والحديث رواه ابن إسحاق في مكان آخر موصولاً لكن مختصراً. قال الحافظ في الإصابة (١/٤١٣) في ترجمة خالد بن الوليد ومن طريق ابن إسحاق، عن عاصم، =

=
عن أنس. وعن عمرو بن أبي سلمة: «أنّ النّبيّ ﷺ بعث خالداً إلى أكيدر دومة، فأخذوه فأتوا به، فحقن له دمه وصالحه على الجزية».

قال عبد القادر حبيب الله السندي في (مرويات غزوة تبوك ٢٤١-٢٤٢): «وهذا الطريق من أجود الطرق في المغازي، وقد ثبت سماع عاصم المذكور عن أنس بن مالك، كما قال الحافظ في التقريب، وبقي شيء واحد وهو أنّ ابن إسحاق لم يصرّح عن شيخه عاصم المذكور، ولو صرّح لكان هذا الإسناد حسناً. وأمّا طريق عمرو بن أبي سلمة فلا علم لي بها. لأنّ الطريق لم يذكره الحافظ كاملاً. وأمّا عمرو ابن أبي سلمة، فهو عمرو بن أبي سلمة التنيسي، أبو حفص الدمشقي، مولى بني هاشم، صدوق له أوهام، من كبار العاشرة، مات سنة ٢١٣هـ أو بعدها.

قلت: أمّا قوله: «إنّ ابن إسحاق لم يُصرّح بالسماع عن شيخه عاصم، فقد صرّح بالسماع منه في المغازي، وذلك في تكملة الحديث حيث قال: «فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أنس بن مالك قال: «رأيت قباء أكيدر حيث قدم به على رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجّبون منه...». وذكر الحديث. (ابن هشام: سيرة ٤/٢٣٢).

وهذا السند متصل، صرّح فيه ابن إسحاق بالسماع وهو حسن إن شاء الله تعالى.

وأمّا قوله: «وأمّا طريق عمرو بن أبي سلمة فلا علم لي بها...» الخ. فقد وقع تصحيف في اسم الراوي الذي روى عنه عاصم، كما وقع في الإصابة، فهو ليس (عمرو بن أبي سلمة) بل (عثمان بن أبي سليمان) كما وقع صحيحاً عن أبي داود (كتاب الخراج، باب في أخذ الجزية، حديث ٣٠٢١) الذي روى بسنده من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن أنس بن مالك، وعنه عثمان بن أبي سليمان به نحوه، وقد سكت عنه أبو داود، والمنذري، وقال عنه الألباني: (صحيح سنن أبي داود٢/٥٨٩): «حسن». وقال المزي: «الحديث أخرجه أبو داود متصلاً من طريق
=

يرسل الله ــ تبارك وتعالى ــ البقر إلى حصن الأكيدر لتخرجه من بين أهله وقومه، وعزه ومنعته، إلى خالد وأصحابه، لتتحقّق المعجزة النّبويّة، ويتحقق صدق الصادق المصدوق ﷺ.

[٨] «**فبينما خالد وأصحابه في منْزلهم ليلاً، إذ أقبلت البقر حتّى جعلت تحتك**(١) **بباب الحصن، وأكيدر يشرب ويتغنى في حصنه بين امرأتيه، فاطّلعت إحدى امرأتيه**(٢) **فرأت البقر تحتك بالباب والحائط، فقالت امرأته: لم أر كالليلة في اللحم. قال: وما ذاك؟ فقالت: هذه البقر تحتك بالباب والحائط**»(٣).

[٩] «**هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت: فمن يترك مثل هذا؟ قال: لا أحد. فنَزل فأمرَ بفرسه فأُسْرِجَ له وركب معه نفرٌ**

=

عاصم بن عمر، عن أنس، ومرسلاً من طريق عاصم، عن عثمان. (انظر: عون المعبود ٨/٢٨٦).

قلت: وهذا هو الأصوب، فعاصم بن عمر من الرابعة، فكيف يروي عن عمرو بن أبي سلمة التنيسي، وهو من كبار العاشرة؟! وتلك قرينة على وقوع التصحيف في اسم مَن روى عنه عاصم، وكتاب الإصابة المطبوع تكثر فيه التصحيفات والتحريفات من فعل النُّسَّاخ. والله تعالى أعلم.

(١) احتك به، وحكّ نفسه عليه.

(٢) ذكر الواقدي (مغازي ٣/١٠٢٥) أنّ اسمها الرباب بنت أنيف بن عامر بن كندة.

(٣) من مرسل عروة. وقد سبق تخريجها برقم: [١].

من أهل بيته فيهم أخٌ له، يُقال له: حسَّان، فخرجوا بمطاردهم»[1][2].

ليصيد البقر الذي جاء بنفسه إليهم هذه الليلة خلاف العادة، ولم يَدُر بخَلَد الأكيدر وامرأته، ومَن ركب معه من أهله أنّ ذلك قدراً إلهياً، وأمراً عُلويّاً، ومُعجزة نبويّة أكرم الله بها نبيّه ﷺ، وأمدّه بها تأييداً له وتمكيناً على أعدائه.

[١٠] «فلمّا فصلوا من الحصن، وخيل خالد تنظرهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرّك»[3]. فلمّا التقوا:

[١١] «شدّت عليهم خيل خالد بن الوليد، فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسان، وقاتل حتّى قُتِلَ وهرب مَن كان معهما، فدخل الحصن»[4].

[١٢] «وقال خالد لأكيدر: أرأيتك إن أجرتك تفتح لي دومة؟ قال: نعم. فانطلق حتّى دنا منها»[5]. «ونادى أكيدر أهله: افتحوا

---

(١) جمع مطرد، وهو رمح قصير يُطعَن به. وقيل: يطرد به الوحش. (اللسان ٤/٢٥٧).

(٢) من رواية ابن إسحاق عن شيخيه، يزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر. وقد سبق تخريجها.

(٣) من رواية الواقدي (مغازي ٣/١٠٢٦).

(٤) من رواية ابن سعد (طبقات ٢/١٦٦)، عن شيوخه.

(٥) من رواية عروة، وقد سبق تخريجها برقم: [١].

باب الحصن. فرأوا ذلك، فأبى عليهم مضاد أخو أكيدر»[١].

[١٣] «فلمّا رأى ذلك قال خالد: «أيها الرجل! خلّني فلك الله لأفتحنّها لك، إنّ أخي لا يفتحها لي ما علم أنّي في وثاقك. فأرسله خالد، ففتحها له، فلمّا دخل أوثق أخاه وفتحها لخالد. ثُمَّ قال: اصنع ما شئت. فدخل خالد وأصحابه، فذكر خالد رضي الله عنه قول رسول الله ﷺ، والذي أمره، فقال له أكيدر: والله ما رأيتها قط جاءتنا إلاّ البارحة ــ يريد البقر ــ ولقد كنت أضمّر لها[٢]، إذا أردت أخذها فأركب لها اليوم واليومين، ولكن هذا القَدَر. ثُمَّ قال: يا خالد! إن شئت حكّمتك، وإن شئت حكّمتني. فقال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت! فأعطاهم ثمانمائة من السبي، وألف بعير، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح»[٣]. «ثُمَّ إنّ خالداً قدم بالأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، وخلّى سبيله، فرجع إلى قريته»[٤]. ثُمّ

[١٤] «إنّ أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلّة حرير»[٥].

---

(١) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم: [٣].

(٢) ضمّر الخيل تضميراً، علّفها القوت بعد السّمَن. (القاموس: الضمر).

(٣) من رواية عروة. وقد سبق تخريجها برقم: [١].

(٤) من رواية ابن إسحاق عن شيخيه. وقد سبق تخريجها برقم: [٧].

(٥) أخرجه مسلم (الصحيح٥/٦٩)، من رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه.

[١٥] «فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها. فقال: أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة، خير منها وألين»[1].

(١) أخرجه مسلم (الصحيح ٥/٦٨)، من رواية أبي إسحاق عن البراء بن عازب ﷺ. هذا وقد ذكر أهل المغازي أنّ ذلك كان قُباء حسَّان أخو الأكيدر أرسل به خالد بن الوليد ﷺ إلى رسول الله ﷺ بعد مقتل حسَّان. ولقد اخترت رواية الصحيح على رايات أهل المغازي لأنّ ما في الصحيح أصحّ. والله تعالى أعلم.

المبحث الرّابع: الخِلاف في إسلام الأكيدر:

اختلف أهل العلم في إسلام الأكيدر، فذكره أبو نعيم، وابن منده في الصحابة:

[١٦] ((وذكر أنّه أسلم وأهدى إلى النّبيّ ﷺ حُلّة سيراء[١]، فوهبها لعمر))[٢].

قال ابن حجر: ((وعمدة ابن منده في أنّه أسلم، ما أخرجه من طريق بلال بن يحيى عن حذيفة، أنّ النّبيّ ﷺ بَعَثَ إلى دومة الجندل، فقال: إنّكم ستجدون أكيدر دومة خارجاً، ثُمَّ ذكر حديث إسلامه، كذا وقع فيه. وقد رويناه في زيادات المغازي من طريق يونس بن بكير، عن سعد بن أوس، عن بلال بن يحيى قال:

[١٧] ((بَعَثَ رسول الله ﷺ أبا بكر على المهاجرين إلى دومة الجندل، وبَعَثَ خالد بن الوليد على الأعراب معه. وقال: انطلقوا فإنّكم ستجدون أكيدر دومة يقتنص الوحش، فخذوه أخذاً فابعثوا به إليّ ولا تقتلوه،فمضوا،وحاصروا أهلها،فأخذوه فبعثوابه إليه))[٣].

---

(١) الحُلّة السيراء: نوعٌ من البُرُد فيه خطوطٌ صُفر، أو يخالطه حرير. (القاموس: السير).

(٢) ذكر ذلك عنهما (ابن الأثير: أسد الغابة ١٣٥/١، وابن حجر: إصابة ١٢٦/١).

(٣) سبق تخريجه برقم: [٥].

ولم يذكر في هذه القصة أنّه أسلم. وروى أبو يعلى، وابن شاهين، من طريق عبيد الله بن إياد بن لقيط، سمعت أبا إياد يحدّث عن قيس بن النعمان السكوني، قال:

[١٨] «**خَرَجَت خيلُ رسول الله ﷺ، فسمع بها أكيدر دومة الجندل، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! بلغني أنّ خيلكَ انطلقت، وإنّي خفت على أرضي ومالي، فاكتبوا لي كتاباً لا يعرضون في شيءٍ هو لي، فإنّي أقرّ بالذي هو عليَّ مِنَ الحقّ، فكتب له رسول الله ﷺ. ثُمَّ إنّ أكيدر أخرج قباء من ديباج منسوج بالذهب، مِمَّا كان كسرى يكسوهم. فقال: يا رسول الله! اقبل هذا مني هذا فإنّي أهديته لك. فقال: ارجع بقبائك فإنّه ليس أحد يلبس هذا في الدنيا إلاّ حُرِمَه في الآخرة، فرجع به إلى رحله حتّى منْزله، ثُمَّ إنّه وجد في نفسه أن يرُدَّ عليه هديته. فرجع،فقال:يا رسول الله!إنّا أهل بيت يشقّ علينا أن تُرَدَّ هديتنا، فاقبل مني هديتي. فقال: ادفعه إلى عمر. فذكر القصة**»[١].

(١) الحديث قوّى إسناده ابن حجر (فتح الباري ٥/٢٣١).

قلت: الجزء المذكور من سنده رجاله رجال مسلم والبخاري في الأدب، ولم أتمكّن من معرفة بقية سنده، لأنّني لم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع، وهو الصغير، فلعلّه من الكبير المفقود. والله تعالى أعلم.

فلعلّ مستند من قال إنّه أسلم،قوله في هذاالحديث:((يارسول الله))(١).

ثُمَّ قال ابن حجر: ((فتمسَّك ابن منده لكونه أسلم بروايته، وفيها نظر، وقد ذكر ابن إسحاق قصّته في المغازي، قال:

[١٩] ((حدّثنا يزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، أنّ رسول الله ﷺ بَعَثَ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك ـــ رجل من كندة ـــ وكان على دومة، وكان نصرانياً، فقال: إنّك ستجده يصيد البقر. فذكر القصّة مطوّلة وفيها: فقتل خالد حسّاناً أخا أكيدر، وقدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن دمه وصالحه على الجزية، وخلّى سبيله، فرجع إلى مدينته))(٢).

وكذلك ذكر القصّة نحو هذا عروة في المغازي في رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، فعلى هذا فقدومه المدينة في رواية قيس بن النعمان كان بعد ذلك(٣).

قلت: قال ابن حجرفي سياق ترجمة قيس بن النعمان:وقد أخرج البخاري، والحاكم في المستدرك من طريق عبيد الله بن إياد عن لقيط، عن أبيه قال:حدّثناقيس بن النعمان،وكان قدقرأ القرآن على عهدعمر،قال:

---

(١) ابن حجر: إصابة ١/١٢٦.

(٢) وقد رواها ابن إسحاق من طريق أخرى موصولة. وقد سبق تخريجها برقم: [٧].

(٣) ابن حجر: إصابة ١/١٢٦.

[٢٠] «أتيت النّبيّ ﷺ فأهديت له، فأبى ذلك، فقلت: إنّا قوم يشقّ علينا أن نردّ الهدية»(١).

وهذه الرواية وإن كانت مختصرة، ففيها إشارات وقرائن على كونها قد تكون اختصاراً للحديث السابق، من ذلك مثلاً: السند المتطابق تماماً، وتطابق قول الأكيدر، وقول قيس حول الهدية، وقد ذكر محمّد حميد الله نصّ الحديث مصحّصاً اسم الذي انطلق إلى رسول الله ﷺ، وأنّه قيس بن النعمان(٢)، وهو المصدر الذي أخذ عنه محمّد حميد الله، فلا أدري مِن أين جاء بهذا التصحيح، وهل له علاقة برواية قيس السابقة أم لا؟ فبذلك يتّضح أنّ ذكر الأكيدر في الرواية وَهَمٌ. والله تعالى أعلم.

والعجب أنّ ابن حجر لم يُعَلِّق على هذا التشابه في الروايتين رغم ذكره لهما في كتابٍ واحدٍ، وهو الإصابة.

ومِمَّن وقع في كلامه ما يدل على أنّ الأكيدر أسلم: الواقدي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، فقد انفردا بذكر تفاصيل كتاب ذكرا أنّ النّبيّ ﷺ كتبه للأكيدر، قال الواقدي: حدّثني شيخ من أهل دومة الجندل أنّ رسول الله ﷺ كتب هذا الكتاب:

---

(١) ابن حجر: إصابة ٢١٦/٣، وقد وجدت الرواية في كتاب البخاري (التاريخ ٧/ ١٤٤-١٤٥)، ولم أجدها في المستدرك.

(٢) ابن حجر: المطالب العالية، حديث ٤٣٧٩.

[٢١] ((بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من مُحَمَّد رسول الله ﷺ لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله، في دومة الجندل وأكنافها، وأنّ لنا الضاحية[1] من الضّحل[2]،

(١) الضاحية: أطراف الأرض.

(٢) الضّحل: الذي فيه الماء القليل.

والبور[١]، والمعامي[٢]، وأغفال الأرض[٣]، والحلقة، والسلاح، والحافر[٤]، والحصن، ولكم الضامن من النخل[٥]، والمعين[٦] من المعمور بعد الخمس، لا تعدل سارحتكم، ولا تعد فاردتكم[٧]، ولا يحظر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم عشر البتات[٨]. تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقّها، عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصّدق والوفاء، شهد الله ومَن حضر من المسلمين»[٩].

ورواه أبو عبيد بنصّه في كتابه: (الأموال) وقال:

[٢٢] «أمّا هذا الكتاب فأنا قرأت نسخته وأتاني به شيخ هناك مكتوباً في قضيم[١٠]، صحيفة بيضاء، فنسخته حرفاً بحرف»[١١].

---

(١) البور: ما ليس فيه زرع.

(٢) المعامي: ما ليست له حدود معلومة.

(٣) أغفال الأرض: التي لا آثار فيها.

(٤) الحلقة: الدروع. والحافر: الخيل.

(٥) الضامنة من النخل: النبات من النخل التي نبتت عروقها في الأرض.

(٦) المعين: الماء الطاهر. والمعمور: بلادهم التي يسكنونها.

(٧) أي: لا يعد ما يبلغ أربعين شاة.

(٨) لا يحظر عليكم النبات: ولا تمنعوا أن تزروعوه. والبتات: المتاع ليس عليه زكاة.

(٩) الواقدي: مغازي ١٠٢٦/٣-١٠٢٧، كما رواه ابن سعد (طبقات ٢٨٨/١-٢٨٩، عن الواقدي مثله.

(١٠) القضيم: الجلد الأبيض.

(١١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال ١٨٨.

قال الحلبي تعليقاً على هذا الكتاب: «وهذا كما لا يخفى يدل على أنّ أكيدر أسلم، أي: وهو الموافق لقول أبي نعيم، وابن منده، بإسلامه وأنّه معدودٌ من الصحابة[١].

قلت: أبو عبيد ثقة، وهو والواقدي متعاصران[٢]، ويلاحظ التشابه الكبير بين نصّي الكتاب عندهما، فربّما يكون مصدرهما واحداً، وهو ذلك الشيخ الجندلي، وهو شيخٌ مجهولٌ لم يصرح كلٌّ منهما باسمه أو تعديله، فلا يمكن القطع بصحّة الكتاب الذي أراهما إيّاه وأنّه هو كتاب النّبيّ ﷺ للأكيدر. والله تعالى أعلم.

قال ابن حجر: «وقال أبو السعادات بن الأثير أخو مصنّف أُسد الغابة: مِنَ الناس مَنْ يقول: إنّ أكيدر أسلم، وليس بصحيح»[٣].

قلت: وقال أخوه أبو الحسن ــ مُصنِّف أُسد الغابة ــ: «أما سرية خالد فصحيح، وإنما أهدى لرسول الله ﷺ وهذا لا اختلاف بين أهل السير فيه، ومَن قال إنّه أسلم، فقد أخطأ ظاهراً وكان أكيدر نصرانياً، ولمّا صالحه النّبيّ ﷺ عاد إلى حصنه وبقي فيه، ثُمَّ إنّ خالداً أسره لمّا حصر دومة أيّام أبي بكر ﷺ، فقتله مشركاً نصرانياً، وقد ذكر البلاذري أنّ أكيدر لمّا قدم على النّبيّ ﷺ مع خالد أسلم ودعا إلىدومة، فلمّا مات النّبيّ ﷺ ارتدّ مَعَ مَن ارتدّ ومنع ما قبله، فلمّا

---

(١) الحلبي: سيرة ٢٢٦/٣.

(٢) توفي الواقدي سنة ٢٠٧هـ على الرارجح، وتوفي أبو عبيد سنة ٢٢٤هـ.

(٣) الإصابة ١٢٧/١.

سار خالد من العراق إلى الشام قتله، وعلى هذا القول ـــ أيضاً ـــ، فلا ينبغي أن يُذكر في الصحابة، وإلاّ فيُذكَر كلّ مَن أسلم في حياة رسول الله ﷺ ثُمّ ارتدّ(١).

قلت: حديث البلاذري ـــ الذي أشار إليه ابن الأثير ـــ رواه عن ابن الكلبي قال: وحدّثني العباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جدّه قال:

[٢٣] «**وجّه رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر، فقدم به عليه فأسلم، فكتب له كتاباً، فلمّا قُبِضَ النّبيّ ﷺ منع الصدقة، ونقض العهد، وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة، وابتنى بها بناءً سمّاه دومة، بدومة الجندل، وأسلم حريث بن عبد الملك أخوه على ما في يده، فسلّم ذلك له، فقال سويد بن شبيب:**

لا يأمَنَنَّ قومٌ عِثَارٌ جُدُودُهم كَمَا مِنْ خُبْثٍ ظَعَائِنُ أكدرا

قال: وتزوّج يزيد بن معاوية ابنة حريث أخي أكيدر.

[٢٤] «**قال العبّاس: وأخبرني أبي، عن عوانة بن الحكم، أنّ أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد وهو بعين التمر، يأمره أن يسير إلى أكيدر فسار إليه فقتله، وفتح دومة، وكان قد خرج منها بعد**

(١) أسد الغابة ١/١٣٥.

وفاة رسول الله ﷺ ثُمَّ عاد إليها، فلمّا قتله خالد مضى إلى الشام»(١).

قال ابن حجر جامعاً بين الروايات: «فالذي يظهر أنّ أكيدر صالح على الجزية، كما قال ابن إسحاق، ويحتمل أن يكون أسلم بعد ذلك، كما قال الواقدي، ثُمّ ارتدّ بعد النّبيّ ﷺ مَعَ مَن ارتدّ كما قال البلاذري، ومات على ذلك. والله أعلم»(٢).

قلت: الأدلة التي ساقها مَن قال بإسلام الأكيدر، ومَن قال بإسلامه ثُمّ ارتداده بعد ذلك جميعها لا تخلو من مقال، ولا تنهض في مخالفة الروايات التي ذكرت أنه لم يُسلم، وإنّما صالحه النّبيّ ﷺ على الجزية. والله تعالى أعلم.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٨٣-٨٤. وانظر: خبر مقتل الأكيدر في الطبري (تاريخ ٣/ ٣٧٨).

(٢) الإصابة ١/١٢٧.

المبحث الخامس: الدّورس المستفادة:

❁ يتبيّن من إسناد النّبي ﷺ قيادة هذه السرية لسيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، مدى ما كان يتمتع به عليه السلام من حنكة عسكرية فذّة، وذكاءٍ منقطع النظير، فخالد بن الوليد رضي الله عنه هو القائد المظَفَّر، وبطل مؤتة المُتَوَّج، ولا بُدّ أنّه أصبح معروفاً معرفةً تامّةً لدى القبائل العربية المنتصرة التي واجهته في مؤتة، وعرفت مدى ما كان يتمتّع به مِن ذكاءٍ قياديّ، وحنكةٍ عسكريةٍ، فأراد النّبيّ ﷺ أن يستثمر هذا النجاح لخالد ضدَّهم، ويرميهم به ليتحصَّل على أفضل النتائج المرجوة بأقل قدرٍ ممكنٍ من الخسائر، وتلك استراتيجية الرسول القائد ﷺ دائماً مع أعدائه.

❁ قال الأكيدر لخالد: «**والله ما رأيتها قط جاءتنا إلاّ البارحة ــ يريد البقر ــ ولقد كنت أضمّر لها إذا أردت أخذها، فأركب لها اليوم واليومين**».

ويحقُّ للأكيدر وأهله أن يتعجّبوا من فِعل البَقَر تلك الليلة، لأنّه أمر خلاف العادة، وهكذا المعجزات النّبويّة دائماً تكون خارقة للعادات، ولقد كانت تلك قدرة إلهية، ومعجزة نبويّة، هيأها الله ــ تبارك وتعالى ــ لنبيّه ﷺ تأييداً له وتمكيناً على أعدائه، فما كانت البقر لتأتي لحتفها بنفسها لولا أنّ خالقها أمرها بذلك، وساقها بلا سائق إلى ذلك المصير، فالبقر وإن كانت حيواناً لا يعقل، ولكنها بفطرتها التي فطرها الله عليها تُدرك مكامن

الخطر ومدارك الهلكة، فتبتعد عنها كثيراً، وهو الأمر الذي تعوَّده الأكيدر عنها حيث كان يضمّر لها الخيل، ويستعد لها ثُمّ يركب في طلبها اليوم واليومين حتّى يجدها في مكامنها البعيدة عن الخطر، ولكن قدر الله ﷻ، وقدرته العلية، وأمره الذي لا يُردّ، سخّر ذلك البقر لنبيّه ﷺ وجعله في خدمة أهدافه وطوّعه جندياً مجنّداً من جنوده، يستدرج به أعداءه بعيداً عن دار عِزه وسلطانه ليقع فريسة سهلة المنال في يد الجندي الآخر خالد بن الوليد ؓ، الذي خرج في طاعة قائده وإمامه ﷺ، ومنطلقاً دونما جدال ولا مناقشة، مِمَّا يدل على ما كان يتمتع به سلفنا الصالح ــ رضي الله تعالى عنهم ــ مِنَ الإيمان المُطلق بنبيّهم ﷺ، وتصديقه فيما يقول، وطاعتهم لولي الأمر، وتأدّبهم الجم مع مقامه الشريف ﷺ، ومعرفتهم حقّ الإمام من الطاعة فيما يأمر بمعروف.

❁ قال النّبيّ ﷺ لأصحابه حينما رآهم يتعجّبون من الجُبَّة التي أهداها له الأكيدر: «**أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أحسن من هذا**». هذه الحادثة على بساطتها توضح لنا أمرين على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية:

الأمر الأوّل: معرفة مدى ما كان عليه الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ من البساطة، والتواضع، والزهد، وترك بهرج الدنيا، ربّاهم على ذلك المربِّي الأوّل، رسول الله ﷺ، الذي مات وهو لم يشبع من خُبز الشعير بأبي هو وأُمي، وهو الذي لو أراد لَحيزَت له الدُّنيا بأسرها.

الأمر الثّاني: معرفة مدى تفاهة متاع الدنيا وملذاتها، مقارنةً بنعيم الآخرة، وما أعدّه الله ــ تبارك وتعالى ــ للمتّقين في جنّات النعيم، فحُلّة الديباج المنسوجة بالذهب لا تساوي شيئاً إذا قيست بمناديل الجنّة التي هي ليست من اللباس، بل دونه، فما بالك بلباسها؟!.

وهكذا كان المصطفى ﷺ يُرَبِّي أصحابه مُوَضحاً لهم أنّ الدُّنيا بملذّاتها ونعيمها، وبما فيها من ذهبٍ وفضّةٍ وحريرٍ وديباجٍ، لا تساوي شيئاً يُذكر بِمَا أعدّه الله تبارك وتعالى لعباده في جنّاتٍ فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر.

وحينما يعرف الإنسان المؤمن التقيّ هذه الحقيقة الناصعة، فإنّه يكون أدعى لترك ما في الدنيا من ملذّات وشهوات، وأقرب للزهد فيها، والتّطلّع لِما ادّخره الله ﷻ لعباده المتّقين بالعمل الصالح، والجدّ في الطاعة، والتّقى والعفاف ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. [سورة المطفّفين، الآية:٢٦].

وقد آتت هذه التربية العظيمة أكلها وأينعت ثمارها مع سلفنا الصالح ــ رضي الله تعالى عنهم ــ وهكذا رأيناهم حينما فتحت لهم الدّنيا، وانساقت إليهم بحذافيرها، لم يغرّهم بهرجها، ولم ينخدعوا بنعيمها، ولم ينساقوا وراءها، بل كانوا أزهد الناس فيها، فملكوها ولم تملكهم، وساقوها بزمام التقى، والعفاف، وغنى النفس، والورع، والزهد، ولم تسقهم بزمام الشهوات، والملذّات، والنعيم الزائل، والمعاصي الموبقة، روّضوها لطاعة الله وجعلوها دار عبور وممرّ، وطريقاً إلى الجنّة، ولم تروّضهم لشهواتها وملذاتها، فتجعلها طريقاً لهم إلى النار، ولم يتّخذوها دار بقاء وقرار.

إنّه عندما عرف السلف حقيقة هذه الدّنيا الفانية، دانت لهم فدانت لهم أممها من أقطارها، وعندما ضيَّع الخلف هذه المفاهيم الصحيحة، و لم يعرفوا الدّنيا على حقيقتها، دانوا لـــها، فتداعت عليهم أُممها من أقطارها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. [سورة الرعد، الآية: ١١].

الفصل الثّالث:

سريّة أسامة بن زيد ﵁ إلى أُبنى

وتحته مباحث:

المبحث الأوّل: التعريف بأبنى.

المبحث الثّاني: تاريخ السّريّة.

المبحث الثّالث: سبب السّريّة والمهمّة التي أُنيطت بها.

المبحث الرّابع: مراسم تولية القائد، ووصيَّة النّبيّ ﷺ له.

المبحث الخامس: الطّعن في قائد الجيش، والاختلاف في المشاركين في الجيش من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وعددهم.

المبحث السّادس: سير الأحداث.

المبحث السّابع: الأحكام المستنبطة، والدروس المستفادة.

المبحث الأوّل: التّعريف بأُبنى:

أُبْنَى مضمومة الأولى، ساكنة الثاني، بعده نون، على وزن فُعْلى، موضع بناحية البلقاء من الشام(١). قال القاري والحلبي: اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة(٢). وقيل: لأبي مسهر(٣): أُبنى. قال: نحن أعلم، هي: يُبنا فلسطين(٤).

قال ابن قدامة: «والصحيح أنّها أُبنى، كما جاءت في الرواية، وهي قرية من أرض الكرك، في أطراف الشام، في الناحية التي قُتِلَ فيها أبوه(٥)، فأمّا يُبْنا فهي من أرض فلسطين، ولم يكن أسامة ليصل إليها، ولا يأمره النّبي ﷺ بالإغارة عليها، لبعدها، والخطر بالمصير إليها لتوسطها في البلاد، وبُعدها من طرف الشام، فما كان النّبيّ ﷺ ليأمره بالتغرير بالمسلمين، فكيف يُحْمَل الخبر عليها، مع مخالفة لفظ الرواية، وفساد المعنى»(٦).

قال ياقوت: «وفي كتاب نصر أُبنى قرية بمؤتة»(٧).

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ١٠١/١.

(٢) الحلبي: سيرة ٢٢٧/٣، شمس الحقّ، وعون المعبود ٢٧٦/٩.

(٣) عبد الأعلى بن مُسْهِر الغساني، أبو مسهر الدمشقي. (ثقة فاضل) من كبار العاشرة، مات سنة ثماني عشرة وله ثمان وسبعون سنة. (تقريب ٣٣٢).

(٤) أبو داود: السنن ٨٨/٣.

(٥) زيد بن حارثة رضي الله عنه.

(٦) ابن قدامة: المغني ١٤٧/١٣-١٤٨.

(٧) معجم: ٧٩/١.

قلت: ما رجّحه ابن قدامة تؤيّده روايات أهل المغازي، فقد ذكر عروة، والزهري، وابن عقبة في روايتهم:

[١] «**أنّ رسول الله ﷺ أَمَر أُسامة بن زيد ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ، أن يُغير على مؤتة، وعلى جانب فلسطين...**». الحديث[١].

وعنون الواقدي للسرية بقوله: «غزوة أُسامة بن زيد مؤتة[٢]، ثُمَّ ذكر في سياق حديثه عن السرية رواية ساقها بسنده عن الزهري، عن عروة، عن أُسامة بن زيد ـــ رضي الله عنهما ـــ:

[٢] «**أنّ النّبيّ ﷺ أمره أن يُغير على أُبنى...**». **الحديث**[٣].

وقال ابن سعد: «**وهي أرض السراة ناحية البلقا**»[٤]. وأخرج في موضعٍ آخر بسنده عن عروة قال:

---

(١) أخرجه البيهقي (دلائل ٧/٢٠٠-٢٠١)، من حديث محمّد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب الزهري، ومن طريق إسماعيل بن إبراهيم، عن عمّه موسى بن عقبة، ومن حديث أبي الأسود، عن عروة.

كما أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٢/٦٨٩)، من حديث محمّد بن عائذ بسنده عن عروة.

قلت: الحديث من مراسيل عروة، والزهري، وموسى بن عقبة، وهم من أئمة المغازي المشهورين الثقات.

(٢) المغازي ٣/١١١٧.

(٣) أخرجه الواقدي (مغازي ٣/١١١٧)، من طريق عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن ابن أزهر بن عوف عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد.

(٤) الطبقات ٢/١٩٠.

[٣] ((**وأمره أن يُغيّر على أُبنى من ساحل البحر**))[١].

أمّا ابن إسحاق فذكر أنّ رسول الله ﷺ أَمَرَ أُسامة أن يوطئ الخيل تُخُومَ البلقاء والداروم من أرض فلسطين[٢].

[٤] ((**وذكر مثل ذلك مالك بن أنس رحمه الله تعالى**))[٣].

قال ياقوت: ((الداروم قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، الواقف فيها يرى البحر ويُقال لها الدارون))[٤].

وأخرج ابن سعد، عن هشام بن عروة حديث السّرية في ترجمة أُسامة فقال فيه: ((**فبعثه أبو بكر إلى آبل...**)). الحديث[٥].

وأخرج مثله الطبري من حديث سيف،عن هشام،عن أبيه،وقال فيه:

[٥] ((**وقال له: اصنع ما أمرك به نبيّ الله ﷺ، ابدأ ببلاد قضاعة، ثُمّ ايت آبل...**))[٦].

(١) أخرجه ابن سعد (طبقات ٤/٦٧)، من حديث حماد بن أسامة، عن هشام، عن أبيه.
قلت: وسنده رجاله رجال الصحيح، غير أنّه مرسل.

(٢) ابن هشام: سيرة ٤/٦٠٦، ٦٤٢.

(٣) عزاه القيرواني (الجامع ٢٩٧) إلى الإمام مالك رحمه الله.

(٤) معجم ٢/٥٠٥.

(٥) سبق تخريجها برقم: [٣].

(٦) أخرجه الطبري (تاريخ ٣/٢٢٦-٢٢٧) بسنده عن هشام بن عروة، عن أبيه. وعن سيف، عن موسى بن عقبة، عن المغيرة بن الأخنس. وعنه أيضاً عن عمرو بن قيس، عن عطاء الخراساني.

=

وقد ذكر مثل ذلك ابن عساكر، عن الواقدي، فقال:

[٦] «**ذكر أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد الواقدي في كتاب الصوائف الذي صنّفه، أنّ غزوة الجندل، أوّل غزوات الشام، والثّانية مؤتة، والغزوة الثّالثة تبوك، والغزوة الرّابعة غزوة أُسامة ابن زيد يُبنى من أرض فلسطين في سنة عشرة، والغزوة الخامسة غزوة أُسامة بن زيد آبل الزيت في سنة إحدى عشرة، وهي التي أمّره عليها ﷺ وهو مريض، فغزاها بعد وفاته ﷺ، ولم أجد أحداً من العلماء فرّق بين غزوة يُبنى وبين غزوة آبل الزيت غير الواقدي، وقد ذكر في كتاب المغازي الذي صنّفه حديث الأمر بالإغارة على يُبنى في جملة قصّة إنفاذ أبي بكر لجيش أُسامة وإغارته على آبل الزيت، وعندي أنّهما غزوة واحدة، أغار فيها على الموضعين جميعاً. والله أعلم**»[١].

قال ياقوت: «آبل ــ بفتح الهمزة وبعد الألف باء مكسورة ولام ــ أربعة مواضع، وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ جهّز جيشاً بعد حجّة الوداع وقبل وفاته، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد، وأَمَرَه أن يوطئ خيله آبل الزيت، بلفظ زيت الأدهان بالأردن من مشارف الشام»[٢].

=

قلت: سنده مداره على سيف بن عمر التميمي، وهو ضعيف في الحديث، لكنه عمدة في التاريخ. والخبر هنا تاريخي. والله تعالى أعلم.

(١) ابن عساكر: تاريخ المجلدة الأولى، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٢) معجم البلدان ١/٥٠.

قلت: هل كانت أُبنى، والداروم، ومؤتة، وآبل الزيت سرية واحدة أغار فيها أُسامة بن زيد عنهما على هذه المواضع جميعاً، كما ألمح لذلك ابن عساكر؟ أم أنّها كانت سرايا متعدّدة لشخصٍ واحدٍ وهو أُسامة ﷺ، أم أنّها كانت سريةً واحدةً لمكانٍ واحدٍ له أسماء متعدّدة؟ أم أنّ هذه المواضع المذكورة كانت هي مناطق القبائل العربية التي شاركت في مؤتة ضدّ المسلمين؟! وباعتبار أنّها كانت متقاربة، بَعَثَ إليها رسول الله ﷺ بعثاً واحداً لضربها وتأديب أهلها، وهو ما أُرَجحه. والله تعالى أعلم.

المبحث الثّاني: تاريخ السّريّة:

أكثر الروايات تحدَّثت عن تجهيز البعث في عهد المصطفى ﷺ، ثُمّ أفاضت في الحديث حول مرض النّبيّ ﷺ، ثُمّ وفاته، وتوقّفت دون أن تشير إلى بقية أخبار البَعْث. ففي رواية عروة، والزهري، وموسى بن عقبة قالوا:

[٧] «**قدم رسول الله ﷺ المدينة، ــ يعني من حجّة الوادع ــ فعاش بالمدينة حين قدمها بعد صدرة المحرَّم، واشتكى في صفر، فوعك أشد الوعك...». ثُمّ ذكروا حديثاً طويلاً حول مرضه ﷺ إلى أن قالوا: «وكان أُسامة بن زيد قد تجهَّز للغزو، وخرج في ثقله إلى الجرف، فأقام تلك الأيام بشكوى رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد أمَّره على جيش...» إلى أن قالوا: «فجلس رسول الله ﷺ إلى ذلك الجذع، واجتمع إليه المسلمون يسلمون عليه، ويدعون له بالعافية، ودعا رسول الله ﷺ أُسامة بن زيد، فقال: اغدُ على بركة الله والنصر والعافية، ثُمَّ أغزِ حيث أمرتُك أن تُغير. قال أُسامة: يا رسول الله! قد أصبحت مُفيقاً، وأرجو أن يكون الله ﷻ قد عافاك، فائذن لي، فأمكُثَ حتّى يشفيك الله، فإنّي إن خرجت وأنت على هذه الحال، خرجت وفي نفسي منك قرحة، وأكره أن أسأل عنك الناس. فسكت رسول الله ﷺ، وقام، فدخل بيت عائشة...»، إلى قالوا: «ووعك رسول الله ﷺ حين رجع أشد الوعك، واجتمع إليه نساؤه، وأخذ بالموت...**

فلم يزل كذلك حتّى زاغت الشمس من يوم الإثنين...»، ثُمّ قالوا: «واشتدّ برسول الله ﷺ الوجع، فأرسلت فاطمة إلى علي ابن أبي طالب، وأرسلت حفصة إلى عمر بن الخطّاب، وأرسلت كلّ امرأة إلى حميمها[1]، فلم يرجعوا حتّى توفي رسول الله ﷺ على صدر عائشة في يومها، يوم الإثنين حين زاغت الشمس لهلال شهر ربيع الأوّل ﷺ»[2].

وفي رواية ابن إسحاق قال:

[٨] «ثُمّ قفل رسول الله ﷺ فأقام بالمدينة بقية ذي الحجّة، والمحرَّم، وصفر، وضرب على الناس بَعْثاً إلى الشام، وأمَّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه...»[3].

وقال ابن حجر: «كان تجهيز أُسامة يوم السبت قبل موت النبيّ ﷺ بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النّبيّ ﷺ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر... ثُمَّ قال:

[٩] «فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثّالث، فعقد لأُسامة لواءً بيده... إلى أن قال: ثُمَّ اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه، فقال: أنفذوا جيش أُسامة، فجهَّزه أبو بكر بعد أن استخلف...»[4].

---

(١) الحميم: القريب.

(٢) سبق تخريجها برقم: [١].

(٣) ذكره ابن هشام (سيرة ٤/) من حديث ابن إسحاق الذي رواه معضلاً بلا سند.

(٤) فتح الباري ١٥٢/٨.

ولم يُفَصل الحديث في السرية منذ لحظة تجهيزها إلى انطلاقها نحو الشام غير الواقدي، وكاتبه ابن سعد، ومَن تبعهما من أصحاب المغازي المتأخرين، قال ابن سعد:

[١٠] «لمّا كان يوم الإثنين، لأربع ليالٍ بقين من صفر سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ، أَمَر رسول الله ﷺ الناس بالتهيّؤ لغزو الروم، فلمّا كان من الغد دعا أُسامة بن زيد، فقال: سِر إلى موضع مقتل أبيك...» إلى أن قال: «فلمّا كان يوم الأربعاء، بُدِئَ برسول الله ﷺ فَحُمَّ، وصدّع، فلمّا أصبح يوم الخميس عقد لأُسامة لواءً بيده...»، إلى أن ذكر خطبة النّبيّ ﷺ بالناس حينما بلغه طعنهم في إمارته...»، ثُمَّ قال: «وذلك يوم السبت لعشرٍ خلون من ربيع الأوّل، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أُسامة يُوَدعون رسول الله ﷺ، ويمضون إلى المعسكر بالجرف، وثقل رسول الله ﷺ، فجعل يقول: أنفذوا بَعْثَ أسامة، فلمّا كان يوم الأحد اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فدخل أُسامة من معسكره والنّبيّ مغمور[١]، وهو اليوم الذي لدُّوه[٢] فيه، فطأطأ أُسامة، وقَبَّلَه ورسول الله ﷺ لا يتكلّم». ثُمَّ قال: «ثُمَّ دخل يوم الاثنين، وأصبح رسول الله ﷺ مُفيقاً صلوات الله عليه وبركاته، فقال له: اغد على بركة الله، فودّعه أُسامة وخرج إلى معسكره،

(١) مغمور: أي: كان خاملاً، خائر القوى من شِدَّة المرض ﷺ.

(٢) اللّدود: ما يُصَبُّ بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم. (القاموس: اللد).

فأمرَ الناس بالرحيل، فَبَيْنَا هو يريد الركوب إذا رسول أُمّه أُمّ أيمن قد جاءه يقول: إنّ رسول الله ﷺ يموت! فأقبل وأقبل معه عمر، وأبو عبيدة، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت...». إلى إن قال: «**فلمّا كان هلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة، خرج أُسامة فسار إلى أهل أُبنى**»(١).

وذكر مثل ذلك الواقدي(٢)،وتابعهما ابن سيد الناس(٣)،والحلبي(٤)، والزرقاني(٥).

أمّا خليفة بن خياط، فذكر بسنده عن الزهري قال:

[١١] «**فسارأُسامة في آخر شهرربيع الأوّل حتّى بلغ أرض الشام**»(٦).

قلت: لا فرق بين القولين، فربما كان سيره آخر يوم في شهر ربيع الأوّل، وأوّل يوم في شهر ربيع الآخر. والله تعالى أعلم.

وكانت هذه السرية آخر سرية جهّزها رسول الله ﷺ، وأوّل سرية جهّزها أبو بكر الصّدّيق ﷺ بعد أن استخلف(٧).

---

(١) أخرجه ابن سعد (طبقات ٢/١٩٠-١٩١)، عن شيوخه.

(٢) المغازي ٣/١١١١-١١٢٥.

(٣) عيون الأثر ٢/٣٥٥-٣٥٦.

(٤) السيرة الحلبية ٣/٢٢٧-٢٢٨.

(٥) شرح المواهب ٣/١٠٨-١٠٩.

(٦) أخرجه خليفة (تاريخ ١٠١)، من حديث المدائني بسنده عن الزهري.
قلت: سنده فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي. وهو (متروك).

(٧) ابن حجر: فتح الباري ٨/١٢٥، والزرقاني: إرشاد الساري ٦/٤٧٥.

المبحث الثّالث: سبب السّرية والمهمّة التي أُنيطت بها:

أشارت الروايات التي نقلت خبر السرية إلى أنّها كانت لتأديب القبائل وأهل القرى في تلك المنطقة الذين شاركوا في غزوة مؤتة ضدّ المسلمين، ففي رواية عروة، والزهري، وموسى بن عقبة:

[١٢] «أمره رسول الله ﷺ أن يغير على مؤتة، وعلى جانب فلسطين، حيث أُصيب زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة»[(١)]. وفي رواية ابن سعد قال: «سِر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل»[(٢)].

وفصَّل الواقدي القول في ذلك، فقال:

[١٣] «لم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن حارثة، وجعفر، وأصحابه، وَوجد عليهم وجداً شديداً، فلمّا كان يوم الإثنين لأربع ليالٍ بقين من صَفَر سنة إحدى عشرة أمر رسول الله ﷺ الناس بالتّهيّؤ لغزو الروم، وأمرهم بالانكماش[(٣)] في غزوهم، فتفرّق المسلمون من عند رسول الله ﷺ وهم مُجِدّون في الجهاد، فلمّا أصبح رسول الله ﷺ من الغد، يوم الثلاثاء لثلاثٍ بقين من

(١) سبق تخريجها برقم: [١].

(٢) سبق تخريجها برقم: [١٠].

(٣) الانكماش: الإسراع.

صفر، دعا أُسامة بن زيد، فقال: يا أُسامة! سِر على اسم الله وبركته حتّى تنتهي إلى مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل...»[١].

قال العامري، والبنا: ولذلك أمَّره على حداثة سنة، ليدرك ثأره[٢].

قلت: ربّما يكون ذلك أحد أسباب بعث هذه السرية، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال حصرها بهذا السبب وحده، فنظر النّبيّ ﷺ أبعد من مجرّد الانتقام وإدراك التأثر، لأنّ استراتيجيته ﷺ كقائد للأمّة الإسلامية، وبشيراً ونذيراً للناس كافّة، كانت بعيدة المدى جداً، وقضايا التّأُثر والانتقام من القضايا التي عفا عليها الزمن في الإسلام، وأصبحت من أدران الجاهلية التي قضى عليها الإسلام، وتركها المسلمون وراءهم، وإنّما كانت تلك السرية تدخل ضمن نطاق التمهيد الذي بدأه رسول الله ﷺ للفتوح في الشام، فكان لا يمكن القفز من على تلك المناطق التي لم تخضع لسلطان المسلمين بعد، والتوغل في مناطق الشام الداخلية قبل تمهيد الطريق إليها. والله تعالى أعلم.

---

(١) المغازي ٣/١١١٧.

(٢) العامري: بهجة المحافل ١/٩٩، البنا: الفتح الرباني ٢١/٢٢١.

المبحث الرّابع: مراسم تولية القائد، ووصيّة النّبيّ ﷺ له:

أخرج ابن سعد بسنده عن هشام بن عروة قال:

[١٤] ((وكان رسول الله ﷺ إذا أمَّر الرجل أعلمه وندب الناس إليه))(١).

وقال ابن سعد:

[١٥] ((أَمَرَ رسول الله ﷺ الناس بالتّهيّؤ لغزو الروم، فلمّا كان من الغد دعا أُسامة بن زيد فقال: سِر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش، فَأَغِر صباحاً على أهل بُنى، وحرّق عليهم، وأسرِع السّير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخُذ معك الأدلاّء، وقدم العيون والطلائع أمامك))(٢).

وقال الواقدي:

[١٦] ((فلمّا أصبح يوم الخميس لليلةٍ بقيت من صفر، عقد له رسول الله ﷺ بيده لواءً ثُمَّ قال: يا أُسامة! اغزُ باسم الله، في سبيل الله، فقاتلوا مَن كفر، اغزوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا تمنّوا لقاء العدوّ، فإنّكم لا تدرون لعلّكم تبتلون بهم، ولكن

---

(١) أخرجه ابن سعد (طبقات ٤/٦٧)، من حديث أبي أُسامة، عن هشام بن عروة، وهو منقطع.

(٢) سبق تخريجها برقم: [١٠].

قولوا: اللهمّ اكفناهم، واكفف بأسهم عنّا، فإن لقوكم قد أجلبوا وصيَّحوا، فعليكم بالسكينة والصّمت، ولا تنازعوا ولا تفشلوا فتذهب ريحكم، وقولوا: اللهمّ نحن عبادك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنّما تغلبهم أنت، واعلموا أنّ الجنّة تحت البارقة»[١].

(١) المغازي ٣/١١١٧-١١١٨.

المبحث الخامس: الطّعن في قائد الجيش، والاختلاف في المشاركين في الجيش من الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، وعددهم:

وخرج أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما:

[١٧] «بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأوّلين، والأنصار، إلاّ انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر الصّدّيق، وعمر بن الخطاب،وأبو عبيدة بن الجرّاح،وسعد بن أبي وقاص،وسعيد بن زيد،وقتادة بن النعمان،وسلمة بن أسلم بن حريش،فتكلّم قوم، وقالوا:يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين ـ فغضب رسول اللهﷺغضباًشديداً ـ فخرج وقدعصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة،فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه،ثُمّ قال: »[١].

[١٨] «قد بلغني أنّكم قلتم في أسامة»[٢]. و

[١٩] «إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم اللّه إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده»[٣].

---

(١) من رواية ابن سعد، عن شيوخه، وقد سبق تخريجها برقم [١٠].

(٢) أخرجه البخاري(الصّحيح٥/١٤٥)من حديث موسى بن عقبة، عن سالم، عن أبيه.

(٣) أخرجه البخاري (الصّحيح٥/١٤٥) من حديث مالك، عن عبد اللّه بن دينار، عن ابن عمر.

قال التوربشتي: إنّما طعن من طعن في إمارهما لأنّهما كانا من الموالي، وكانت العرب لا ترى تأمير الموالي وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف، فلمّا جاء اللّه ﷻ بالإسلام، ورفع قدْر مَن لم يكن عندهم قدر بالمسابقة، والهِجرة، والعلم، والتُّقى، عرف حقّهم المحفوظون من أهل الدين، فأمّا المرتهنون بالعادة، والممتحنون بحب الرياسة من الأعراب ورؤساء القبائل، فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك، لا سيّما أهل النفاق، فإنّهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدّة النكير عليه»[1].

قلت: ربّما كان ذلك قصد المنافقين في الطّعن على أُسامة بن زيد، وأبيه زيد من قبل ــ رضي الله عنهما ــ، أمّا مَن طَعَنَ في تأميرهما من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ، فلم يكن كذلك، لأنّ الإسلام قد أذهب عنهم عبية الجاهلية الأولى التي مكث النّبيّ ﷺ دهراً وهو يربيهم على نفض أدرانها، والانسلاخ عن أوظارها، وإلقاء نفاياتها البغيضة بعيداً عنهم، وعن مجتمعهم الذي تأسَّس بالإسلام، وبُنِي بتعاليمه، فارتفعوا بها عالياً وعن تلك الشوائب السفلى، فما كان لهم بعد ذلك كله، وبخاصّة بعد نضوج ثمر الغرس الذي غرسه فيهم المصطفى ﷺ قبل ثلاثةٍ وعشرين عاماً مضت، أن يتعلّقوا بشيءٍ من تلك الشوائب والأدران المنتنة من دعاوى الجاهلية، وفخرها بالأنساب.

(١) نقله عنه كلّ من: البنا (الفتح الرباني ٢٢٢/٢١)، والزرقاني: (إرشاد الساري ٦/ ١٢٧، وشرح المواهب ١٠٩/٣).

وإنّما طَعَن مَن طعَن منهم في تأمير أُسامة لِصِغَر سِنِّه، فقد أخرج ابن سعد، وابن أبي خيثمة، والبغوي:

[٢٠] «**أنّ النّبيّ ﷺ استعمله وهو ابن ثماني عشرة سنة**»(١).

وكذلك لوجود بعض كبار الصحابة وأهل الفضل منهم تحت إمرته، فكأنّهم رأوا أنّه كيف يتأمَّر عليهم وهم أفضل سابقة، وأكبر سنّاً، وأقرب موقعاً من النّبيّ ﷺ، كأبـــي بكر الصّدّيق ﷺ، وأبي عبيدة بن الجرّاح ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن سعد (طبقات ٦٦/٤)، من حديث حنش بن الحارث بن لقيط.

قلت: منقطع.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه (السفر الثاني: ق ٤ أ، ب) والبغوي في معجم الصحابة من طريق ابن أبي خيثمة. ونقله ابن عساكر (تاريخ ٦٨٢/٢)، وذلك عن المصعب بن عبد الله الزبيري نحوه.

قلت: ولم أجد هذه الرواية في كتاب الزبيري المتداول نسب قريش، فلعلّه في كتابه الآخر المفقود. (النسب الكبير).

قال الحلبي (سيرة ٢٢٧/٣): «وقيل: تسعة عشرة سنة، وقيل: سبعة عشرة سنة». ويؤيّد ذلك أن الخليفة المهدي لمّا دخل البصرة، رأى إياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبيّ، وخلفه أربعمائة من العلماء أصحاب الطيالسة. فقال المهدي: أفٍ لهذه العثانين، أمّا كان فيهم شيخ يتقدّم غير هذا الحدث؟ ثُمّ التفت إليه المهدي، وقال: كَم سنّك يا فتى؟ فقال: سنّي أطال الله بقاء أمير المؤمنين، سن أُسامة ابن زيد بن حارثة رضي ا لله تعالى عنهما لّما ولاّه رسول الله ﷺ جيشاً فيه أبو بكر، وعمر بن الخطّاب ﷺ. فقال: تقدّم بارك الله فيك. وكان سنه سبع عشر سنة».

وهنا قد يسأل سائل: إذاً لماذا أمَّره النّبيّ ﷺ على مثل هؤلاء السابقين؟

والجواب عنه ما ذكره السهيلي، والعامري سابقاً حول إدراك ثأره، ومن ذلك بيان فضله ومنقبته العظيمة بمحبة النّبيّ ﷺ له، استمراراً لحبه أباه من قبل والأهمّ من ذلك كلّه، هو قول التوربشتي نفسه: «وكان ﷺ بَعَثَ زيداً أميراً على عِدَّة سرايا وأعظمها على جيش مؤتة، وسار تحت رايته فيها نجباء الصحابة، وكان خليقاً بذلك لسوابقه وفضله وقربه من النّبيّ ﷺ ثُمَّ أَمَّر أُسامة في مرضه على جيشٍ فيه جماعة من مشيخة الصحابة وفضلائهم، وكأنّه رأى فيه ذلك، سوى ما توسَّم فيه من النجابة أن يُمَهد الأرض، وتوطئة لمن يلي الأمر بعده لئلاّ ينْزع أحد يداً من طاعة، وليعلم كلٌّ منهم أنّ العادّة الجاهلية قد عميت مسالكها، وخفيت معالمها»[1].

هذه وقد اختلف أهل العلم في كون أبي بكر الصّدِّيق رضي الله عنه قد انتدب في جيش أُسامة رضي الله عنه أم لا؟

قال الشامي: «ذكر محمّد بن عمر، وابن سعد، أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان مِمَّ أمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أُسامة إلى أُبنى، وجرى عليه في المورد، وجزم به في العيون، والإشارة، والفتح في مناقب زيد بن حارثة، وأنكر ذلك الحافظ أبو العباس بن تيمية»[2].

---

(١) البنا (الفتح الرباني ٢١/٢٢٢)، الزرقاني (إرشاد ٦/١٢٧، شرح المواهب ٣/١٠٩).

(٢) الشامي: سبل الهدى ٦/٣٨٢.

وقال ابن تيمية: ((ولم ينقل أحد من أهل العلم أنّ النّبيّ ﷺ أرسل أبا بكر، أو عثمان في جيش أُسامة، وإنّما روى ذلك في عمر، وكيف يُرسل أبو بكر في جيش أُسامة، وقد استخلفه يُصلّي بالمسلمين مُدَّة مرضه، فكيف يُتَصَوَّر أن يأمره بالخروج في الغزاة وهو يأمره بالصلاة بالناس؟!. وأيضاً فإنّه جهَّز جيش أُسامة قبل أن يمرض، فإنّه أمَّره على جيش عامّتهم المهاجرون، منهم عمر بن الخطّاب في آخر عهده ﷺ، وتوفي رسول الله ﷺ بعد ذلك بأيام، فلمّا جلس أبو بكر للخلافة أنفذه مع ذلك الجيش، غير أنّه استأذنه في أن يأذن لعمر بن الخطاب في الإقامة، لأنّه ذو رأيٍ ناصحٍ للإسلام، فَأَذَن له، وإنّما أنفذ جيشَ أُسامة أبو بكر الصّدِّيق بعد موت النّبيّ ﷺ))[(١)].

قال الشامي: ((وفيما ذكر نظر من وجهين: أوّلهما قوله: ((لم ينقل أحد من أهل العلم...)) الخ. فقد ذكره محمّد بن عمر، وابن سعد، وهما من أئمة المغازي. ثانيهما: قوله: ((وكيف يُرْسَلُ أبو بكر في جيش أُسامة؟...)) الخ. ليس بلازم، فإنّ إرادة النّبيّ ﷺ بعث جيش أُسامة كان قبل ابتداء مرض رسول الله ﷺ، فلمّا اشتدّ به المرض استثنى أبا بكر و أمره بالصلاة بالناس))[(٢)]. وذكر مثل الزرقاني في شرحه على المواهب[(٣)].

(١) شيخ الإسلام ابن تيميم: منهاج السنة ١/٤١١-٤١٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٦/٣٨٢.

(٣) شرح المواهب اللدنية ٣/١٠٨.

وقال الحلبي: «فلا منافاة بين القول بأنّ أبا بكر ﷺ كان من جملة الجيش وبين القول بأنّه تخلّف عنه، لأنّه كان من جملة الجيش أوّلاً، وتخلّف لما أمره ﷺ بالصلاة بالناس، وبهذا يُردّ قول الرافضة طعناً في أبي بكر ﷺ أنّه تخلّف عن جيش أُسامة ﷺ، لما علمت أنّ تَخَلُّفه عنه كان بأمر منه ﷺ لأجل صلاته بالناس، وقول هذا الرافضي مع أنّه ﷺ لعن المتخلِّفَ عن جيش أسامة مردودٌ، لأنّه لم يرد اللعن في حديث أصلاً»[1].

قلت: لكن شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ ردّ بقوّةٍ على هذا البهتان الذي ذكره الرافضي، حول تخلُّف أبي بكر ﷺ عن جيش أُسامة، وفنَّد ذلك الاتهام الباطل، وقد أحسن جدّاً ــ رحمه الله تعالى ــ في ذلك، فالصّدِّيق ﷺ فوق أن يُظَنَّ به أن يتخلّف عن جيشٍ أعدَّه النّبيّ ﷺ، ولا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أن يلعنه النّبيّ ﷺ أو أن يذكر كلاماً أو حديثاً فيه إشارة إلى ذلك، لأنّ الصّدِّيق ﷺ ممَّن أنعم الله عليه فجعله من الصّدِّيقين والشهداء والصالحين، وهو صاحب المواقف المشهورة في الثبات على الحقّ، والذّود عن حياض الإسلام، حتّى قال عنه المصطفى ﷺ: «**لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً**».

ولكنهم الرافضة الذين امتلأت قلوبهم حقداً وبُغْضاً على من عدّلهم الله ﷻ واختارهم لصحبة نبيّه ﷺ.

---

(١) الحلبي: سيرة ٣/٢٢٨.

ويُلاحظ في ردّ شيخ الإسلام ـــ رحمه الله تعالى ـــ إنكارٌ للقصَّة من أساسها، بينما الذي لم يصحّ هو حديث اللّعن الذي ذكره الرافضيّ، أمّا انتداب أبي بكر ﷺ في جيش أُسامة بن زيد ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ، فقد ذكره غير واحد من أهل العلم.

فقد أخرج ابن سعد بسنده عن نافع، عن ابن عمر:

[٢١] «**أنّ النّبيّ ﷺ بعث سرية فيهم أبوبكر،وعمر،فاستعمل عليهم أُسامة ابن زيد،وكان الناس طعنوا فيه ـــ أي في صغره...**».الحديث[١].

وأخرج ابن أبي شيبة بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه:

[٢٢] «**أنّ رسول الله ﷺ كان قطع بعثاً قبل مؤتة،وأمَّر عليهم أُسامة بن زيد، وفي ذلك البعث: أبو بكر، وعمر...**». الحديث[٢].

وأخرج ابن سعد، وابن خياط من حديث حمّاد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه نحوه، إلاّ أنّه قال فيه:

[٢٣] «**في الجيش الذي استعمله عليهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن**

---

(١) أخرجه ابن سعد (طبقات ٦٧/٤)، من حديث العمري، عن نافع، عن ابن عمر.
قلت: سنده ضعيف. العمري هو: عبد الله بن عمر بن حفص. قال عنه ابن حجر (تقريب ٣١٤): «ضعيفٌ عابدٌ».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١٣٩/١٢). من حديث عبد الرحمن بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه.
قلت: سنده رجاله رجال الصحيح، غير أنّه مرسل.

الجرّاح»[١].

ولعلّ شيخ الإسلام نظر في رواية عروة، والزهري، وموسى بن عقبة عند البيهقي، وذلك واضح، للتشابه الكبير بينها وبين ما ذكره بصدد الردّ على ابن المطهر، وهذه الرواية لم يرد فيها ذكر أبي بكر ﷺ، وكذلك رواية ابن إسحاق، وما رواه الطبري بسنده عن الحسن البصري، أما الواقدي فإنّه لم يرد ذكر أبي بكر في روايته في كتاب المغازي المتداول، فلعلّ الشامي، والزرقاني، اطّلعا على نسخةٍ أخرى. والله تعالى أعلم.

هذا وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد الجيش، ففي رواية عروة، والزهري، وابن عقبة ذكروا:

[٢٤] «أنّهم جيش عامّتهم المهاجرون»[٢].

وقال ابن إسحاق في روايته:

[٢٥] «وأوعب[٣] مع أُسامة المهاجرون الأوّلون»[٤].

وقال ابن سعد:

[٢٦] «فخرج معه سروات الناس وخيارهم»[٥].

---

(١) أخرجه ابن سعد (طبقات ٤/٦٨)، وابن خياط (تاريخ ١٠٠)، من حديث حماد بن سلمة عن هشام بن عروة، عن أبيه، وسنده صحيح لكنه مرسل.

(٢) سبق تخريجها برقم: [١].

(٣) أوعب: جمع، ومعناه هنا: ذهب الجمع الكثير منهم معه.

(٤) سبق تخريجها برقم: [٨].

(٥) سروات الناس: أشراف الناس وفضلاؤهم.

وقال في مكانٍ آخر:

[٢٧] «فلم يبق أحدٌ من وجوه المهاجرين الأوّلين، والأنصار، إلاّ انتدب في تلك الغزوة»(١).

وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:

[٢٨] «وخرج أهل المدينة في جند أُسامة»(٢).

ولم يرد تفصيل لعدد الجيش إلاّ في روايتين: **الأولى** عزاها ابن كثير للبيهقي بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال:

[٢٩] «إنّ رسول الله ﷺ وجّه أُسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام»(٣).

---

(١) سبق تخريجها برقم: [١٠].

(٢) أخرجه الطبري (تاريخ ٣/٢٢٥)، من حديث سيف وشعيب بسنديهما عن ابن عباس.

قلت: سنداه أحدهما فيه شعيب لا يُعرف، وسيف ضعيف، وفيه عطية، أبو أيوب لم أعثر على ترجمتهما.

والآخر فيه سيف ضعيف في الحديث، عُمدة في التاريخ. والضَّحَّاك بن مزاحم كثير الإرسال، ولم يثبت التقائه بابن عباس. والله تعالى أعلم.

(٣) عزاه ابن كثير (بداية ٦/٣٠٩)، للبيهقي من حديث عبّاد بن كثير، عن أبي الأعرج، عن أبي هريرة. وقال ابن كثير: عبّاد هذا أظنّه البرمكي، لرواية الفريابي عنه. وهو متقارب الحديث فأمّا البصري الثقفي فمتروك الحديث. والله أعلم.

قلت: تصحّف اسم عبّاد بن كثير من (الرملي) إلى (البرمكي)، وهو ضعيف أيضاً يُحَدِّث بمناكير. (التقريب ص ٢٩٠)، وأبو الأعرج المذكور في السند لعلّه الأعرج، =

والثانية: هي رواية الواقدي التي ذكر فيها:

[٣٠] «**أنّهم كانوا ثلاثة آلاف رجل، وفيهم ألف فرس**»[(١)]. وتابعه في ذلك الشامي، والحلبي[(٢)].

وذكر ابن حجر، والزرقاني، عن الواقدي:

[٣١] «**أنّهم كانوا ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة من قريش**»[(٣)].

كما نسبا إليه إخراجه لرواية أبي هريرة ﷺ السابقة[(٤)]، التي ذكر فيها أنّهم كانوا سبعمائة فقط[(٥)].

وقال الزرقاني مُعَلِّقاً: ولا تنافي، فلعلّه اقتصر على القرشيين[(٦)].

قلت: ما وقع في بعض الروايات من محاولة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثَنْيَ أبي بكر الصّدِّيق ﷺ مِن إنفاذ الجيش، وتركه في المدينة

=

وهو: عبد الرحمن بن هرمز، من تلاميذ أبي هريرة ﷺ كما في التهذيب (٤٨٠/٦). والله تعالى أعلم.

(١) المغازي ١١١٩/٣.

(٢) الشامي: سبل الهدى ٣٨١/٦، الحلبي: سيرة ٢٣٠/٣.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ١٥٢/٨، الزرقاني: شرح ١١١/٣.
ولم أجد هذا القول في كتاب المغازي المتداول.

(٤) لم أجد ما قالاه في كتاب المغازي المتداول، فربما اطّلعا على نسخةٍ أخرى فيها هذا القول، ونسخة المغازي المتداولة فيها سقط كثير. والله تعالى أعلم.

(٥) فتح الباري ١٥٢/٨، وشرح المواهب ١٠٩/٣.

(٦) شرح المواهب ١٠٩/٣.

لمواجهة احتمال هجوم المرتدّين عليها، يؤيّد ما ذكره الواقدي، لأنّهم لو كانوا سبعمائة فقط، كما وقع في رواية أبي هريرة ﵁ لما كان في فعل الصحابة من محاولة إقناع أبي بكر الصّدّيق ﵁ لإبقاء الجيش في المدينة فائدة، لأنّه سيكون هنالك العدد الوفير من المسلمين مِمَّن بقي في المدينة للدفاع عنها، وهم أكثر بكثير من عدد الجيش المنطلق، والمسلمون في ذلك الوقت كانوا جميعاً جنوداً في سبيل الله وقت الحرب، حيث لم يكن للجيش مؤسسة عسكرية خاصّة به، فيقول قائل: إنّه ربّما يكون السبعمائة هم الجيش النظامي، لذلك رأى الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ بقاءه لمواجهة حرب المرتدّين باعتباره المهيأ عسكرياً بذلك. والله تعالى أعلم.

المبحث السّادس: سير الأحداث:

عسكر أُسامة بن زيد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ بجيشه في الجرف[1]، الذي كان بمثابة قاعدة عسكرية للمسلمين وبخاصّة للجيوش المنطلقة إلى شمال المدينة.

وبلغ الاهتمام من رسول الله ﷺ لبعث تلك السرية، أنّه صار يُردد وهو في الرمق الأخير بأبي هو وأُمي صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم:

[٣٢] «**انفذوا جيش أُسامة، انفذوا جيش أُسامة**»[2].

وذلك يدل على الأهمية القصوى، والاستراتيجية التي كان يُمَثِّلها إرسال ذلك الجيش بالنسبة للمسلمين، وهو الأمر الذي حدا بالصّدِّيق رضي الله عنه رغم المخاطر التي كانت تُحيط بالمسلمين داخلياً وخارجياً، أن يُسارع في بعث السرية، ويُصرّ على ذلك رغم معارضة كبار الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ له.

وتوفي الحبيب المصطفى ﷺ، فَقيدُ الأُمّة الإسلامية، بل فَقيد العالم بأسره، ــ صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ــ، توفي وأسامة معسكرٌ بجيشه في الجرف، وذُهِل المسلمون في المدينة.

---

(١) سبق التعريف بها.

(٢) من رواية ابن سعد، عن هشام، وقد سبق تخريجها برقم: [١٤].

[٣٣] «ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أُسامة معقوداً حتّى أتى باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده»[(١)].

[٣٤] «فلمّا بويع لأبي بكر ﷺ، أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أُسامة، وألاّ يُحِلّه أبداً حتّى يغزوهم أُسامة»[(٢)(٣)].

ودخل قائد الجيش على الخليفة أبي بكر الصّدِّيق ﷺ فقال:

[٣٥] «إنّ رسول الله ﷺ بعثني وأنا على غير حالكم هذه، وأنا أتخوَّف أن تكفر العرب، فإن كفرت كانوا أوّل من يُقاتَل، وإن لم تكفر مضيت، فإنّ معي سروات النّاس وخيارهم»[(٤)].

وكما توقّع القائد الذّكيّ، فما أن سَمِعَ الناس بوفاة النّبيّ ﷺ حتّى:

[٣٦] «ارتدّت العرب إمّا عامّة وإمّا خاصّة في كلّ قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم الشاتية لفقد نبيّهم ﷺ، وقلّتهم، وكثرة عدوّهم»[(٥)].

---

(١) من رواية ابن سعد عن شيوخه. وقد سبق تخريجها برقم: [١٠].

(٢) يقول بريدة ﷺ في رواية الواقدي: «فخرجت باللواء حتّى انتهيت به إلى بيت أُسامة، ثُمَّ خرجت به إلى الشام معقوداً مع أُسامة، ثُمَّ رجعت به إلى بيت أُسامة، فما زال في بيت أُسامة حتّى توفي أُسامة».

(٣) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم: [٢].

(٤) من رواية ابن سعد عن هشام، وقد سبق تخريجها برقم: [١٤].

(٥) من رواية الطبري، بسنده عن عروة. وقد سبق تخريجها برقم: [٥].

واجتمع كبار أصحاب رسول الله ﷺ إلى الخليفة فقالوا:

[٣٧] «يا خليفة رسول الله! إنّ العرب قد انتقضت عليك من كلّ جانب، وإنّك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً، اجعلهم عدّة لأهل الردّة، ترمي بهم في نحورهم! وأخرى، لا نأمن على أهل المدينة أن يُغار عليها وفيها الذراري والنساء، فلو استأنيت لغزو الروم حتّى يضرب الإسلام بجرانه[1]، وتعود الرّدّة إلى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف، ثُمَّ تبعث أُسامة حينئذٍ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا، فلمّا استوعب أبو بكر ﷺ كلامهم، قال: هل منكم أحدٌ يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا. قد سمعت مقالتنا. فقال: والذي نفسي بيده، لو ظننت أنّ السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث، ولا بدأت بأوّل منه، ورسول الله ﷺ ينْزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفذوا جيش أُسامة! ولكن خصلة أُكَلِّم أُسامة في عمر يخلفه يقيم عندنا، فإنّه لا غناء بنا عنه. والله ما أدري يفعل أُسامة أم لا، والله إن رأى لا أُكْرِهُهُ! فعرف القوم أنّ أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أُسامة، ومشى أبو بكر ﷺ إلى أُسامة في بيته وكلّمه أن يترك عمر، ففعل أُسامة، وجعل يقول له: أذنت ونفسك طيبة؟ فقال أُسامة: نعم. وخرج وأمر

(١) الجران: باطن عنق البعير، أي: حتّى يقرّ قراره ويستقيم، كما أنّ البعير إذا برك واستراح، مدّ عنقه على الأرض. (النهاية ١/١٥٨).

مناديه ينادي: عزمة مني ألاّ يتخلّف عن أُسامة من بَعْثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ، فإنّي لن أوتى بأحدٍ أبطأ عن الخروج معه إلاّ ألحقته به ماشياً»[١].

[٣٨] «**واجتمع من حول المدينة من القبائل التي غابت في عام الحديبية، وخرجوا، وخرج أهل المدينة في جند أُسامة، فحبس أبو بكر مَن بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، فصاروا مسالح[٢] حول قبائلهم وهم قليل»[٣].**

وتوجَّه الخليفة الصّدِّيق ﷺ نحو معسكر الجيش:

[٣٩] «**حتّى أتاهم فأشخصهم[٤] وشيَّعهم وهو ماشٍ وأُسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابّة أبي بكر، فقال له أُسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلنّ! فقال: والله لا تنْزل، ووالله لا أركب! وما عليَّ أن أُغبّر قدميَّ في سبيل الله ساعة»[٥].**

---

(١) من رواية الواقدي. وقد سبق تخريجها برقم: [٢].

(٢) المسالح: جمع مسلحة، وهم القوم في عدّة بموضع رصد قد وكلّوا به بإزاء ثغر. واحدهم:مسلحي.والجمع المسالح.والمسلحة:كالثغروالمرقب.(اللسان،والصحاح:سلح)

(٣) من رواية الطبري، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقد سبق تخريجها برقم: [٢٨].

(٤) أي: أمرهم بالشُّخُوص، أي: الانطلاق.

(٥) أخرجه الطبري (تاريخ ٣/٢٢٦) من حديث سيف بسنده عن الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله تعالى.

قلت: سنده. منقطع.

[٤٠] «وسار أبو بكر ﷺ إلى جانب أُسامة ساعة، ثُمَّ قال: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يوصيك»(١).

[٤١] «فما الذي عهد إليك؟ قال: عهد إليَّ أن أغير على أُبنى صباحاً ثُمَّ أُحَرق»(٢).

---

(١) من رواية الواقدي، وقد سبق تخريجها برقم: [١].

(٢) أخرجه أبو داود، (انظر: عون المعبود، حديث رقم: ٢٥٩٩)، وابن ماجه، (السنن، حديث رقم: ٢٨٤٣)، وأحمد، (المسند، حديث رقم: ٢١٧٧٩)، وابن أبي شيبة، (المصنّف، حديث رقم: ١٤٠١٨)، وابن سعد، (الطبقات ٦٦/٤). جميعهم من حديث صالح بن أبي الأخضر. بسنده عن أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما.

قال ابن تيمية في (منتقى الأخبار ص ٦٩١): في إسناده صالح بن أبي الأخضر. قال البخاري: هو ليّن. وقال الشوكاني (نيل الأوطار ٢٥١/٧): حديث أُسامنة بن زيد سكت عنه أبو داود، والمنذري. وفي إسناده من ذكر المصنَّف. وقال يحيى بن معين: هو ضعيف. وقال أحمد: يُعتبر به. وقال العجلي: يُكتب حديثه. وليس بالقوّي. وقال في التقريب (٢٧١): ضعيف. وقال البنا (الفتح الرباني ٦٦/١٤): سكت عنه أبو داود والمنذري، فهو صالح للاحتجاج به.

قلت: سند الحديث مداره على صالح عند الجميع. وهو ضعيف كما مرَّ. ولكن رواه ابن سعد (الطبقات ٦٧/٤) من طريقٍ آخر. قال: أخبرنا أبو أُسامة حمّاد بن أسامة، قال: حدّثنا هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي، قال: «**أمَّر رسولُ الله ﷺ أُسامة بن زيد، وأمره أن يغير على أبنى من ساحل البحر**». وسنده رجاله رجال الصحيح، غير أنّه مرسل.

والله تعالى أعلم.

فقال له الخليفة:

[٤٢] «**فانفذ لأمر رسول الله ﷺ فإنّي لست آمرك، ولا أنهاك عنه، وإنّما أنا منفّذٌ لأمر أمَرَ به رسول الله ﷺ**»(١).

[٤٣] «**وأشار عليه أبو بكر ﷺ أن يعظم فيهم الجراح، ويجزر(٢) فيهم حتّى يفزع القوم**»(٣).

[٤٤] «**فمضى أُسامة مُغِذّاً(٤) على ذي المروة(٥)، والوادي**»(٦).

[٤٥] «**فوطئ بلاداً هادئه لم يرجعوا عن الإسلام، جهينة، وغيرها من قضاعة، فلمّا نزل وادي القرى، قدّم عيناً له من بني عُذرة، يُقال له حُريث، فخرج على صدر راحلته أمامه مُغِذّاً، حتّى انتهى إلى**

(١) من رواية الواقدي. وقد سبق تخريجها برقم: [٢].

(٢) قال هشام: يقطع الأيدي والأرجل والأوساط في القتال.

(٣) من رواية ابن سعد، عن هشام. وقد سبق تخريجها برقم: [١٤].

(٤) مغِذّاً: أي: مسرعاً.

(٥) ذي المروة: قرية بوادي القرى. وقيل: بين خشب ووادي القرى. وقال البكري: من أعمال المدينة، قرى واسعة، وهي لجهينة، كان بها سبرة بن معبد الجهني، صاحب رسول الله ﷺ، وولده إلى اليوم فيها. بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد. وقال البلادي: ذو المروة له ذكرٌ كثيرٌ في كتب التاريخ والجغرافية، وهو منسوب إلى حصاة بيضاء بارزة من نوع المرو، يقع عند مفيض وادي الجزل إذا دفع في إضم شمال المدينة على قرابة ثلاث مائة كيل، وما زالت معروفة بهذا الاسم.

انظر:(البكري:معجم٤/١٢١٨،الحموي:معجم ٥/١١٦،البلادي:معجم ٢٩٠).

(٦) من رواية الطبري من حديث سيف بسنده عن عروة. وقد سبق تخريجها برقم: [٥].

أُبنى، فنظر إلى ما هناك وارتاد الطريق، ثُمَّ رجع سريعاً حتّى لقي أُسامة على مسيرة ليلتين من أُبنى، فأخبره أنّ الناس غارّون[١] ولا جموع لهم وأمره أن يسرع السير قبل أن تجتمع الجموع، وأن يشنَّها غارة، فلمّا انتهى إلى أُبنى فنظر إليها منظر العين، عبّأ أصحابه، وقال: اجعلوها غارة ولا تُمعنوا في الطلب، ولا تفترقوا، واجتمعوا واخفوا الصوت، واذكروا اللّه في أنفسكم، وجرّدوا سيوفكم وضعوها فيمن أشرف لكم، ثمّ دفع عليهم الغارة، فما نبح كلب، ولا تحرّك أحد، وما شعروا إلاّ بالقوم قد شنّوا عليهم الغارة ينادون بشعارهم: يا منصور أمت! فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليه، وحرَّق في طوائفهم بالنار، وحرَّق منازلهم وحرثهم ونخلهم، فصارت أعاصير من الدخاخين، وأجال الخيل في عرصاهم[٢]، ولم يمعنوا في الطلب، أصابوا ما قرب منهم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم، وكان أُسامة خرج على فرس أبيه التي قُتِلَ عليها يوم مؤتة، وكانت تُدعى سبحة، وقُتِل قاتلُ أبيه في الغارة، خبَّره به بعض من سُبِي[٣]، وأسهم للفرس سهمين ولصاحبه سهماً، وأخذ

---

(١) غارّون: غافلون.

(٢) العرصة: كلّ بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. (القاموس: العرص).

(٣) **قلت**: لكن ذكر ابن دريد في (الاشتقاق ٥٥١) أنّ مالك بن رافلة قائد العرب المنتصرة في معركة مؤتة هو الذي قتل زيد بن حارثة ﷺ،وهي معلومة تفرّد بها.

=

لنفسه مثل ذلك، فلمّا أمسوا أمر بالرحيل، ومضى الدليل أمامه، حريث العذري، فأخذ الطريق التي جاء منها، ومضوا ليلتهم حتّى انتهوا بأرضٍ بعيدة، ثُمَّ طوى البلاد حتّى انتهى إلى وادي القرى في تسع ليالٍ»[١].

[٤٦] «ثُمَّ بعث بشيراً إلى المدينة يخبر بسلامتهم، ثُمَّ قَصَد بعد في السير[٢] فسار إلى المدينة ستّاً، وما أصيب من المسلمين أحد، وخرج أبو بكر في المهاجرين[٣] وأهل المدينة يتلقوهم سروراً بسلامتهم، ودخل أُسامة على فرس أبيه سبحة واللواء أمامه يحمله بريدة بن الحصيب، حتّى انتهى إلى المسجد، فدخل وصلّى ركعتين، ثُمَّ انصرف إلى بيته، وبلغ هرقل، وهو بحمص ما صنع أُسامة، فبعث رابطة يكونون بالبلقاء، فلم تزل هناك حتّى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما»[٤].

=

وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قتادة العذري قائد ميمنة المسلمين في مؤتة قُتل مالك بن رافلة في المعركة. والله تعالى أعلم.

(١) من رواية الواقدي. وقد سبق تخريجها برقم: [٢].

(٢) القَصْد في السير: هو الإبطاء فيه.

(٣) ربّما أولئك الذين لم ينتدبوا في جيش أُسامة في المدينة، وهم قليل كما أوضحت الروايات السابقة. والله تعالى أعلم.

(٤) من رواية ابن سعد عن شيوخه. وقد سبق تخريجها برقم: [١٠].

المبحث السّابع: الأحكام المستنبطة، والدّروس المستفادة:

أوّلاً: الأحكام المستنبطة:

❁ قال ابن حجر: «وفيه جواز إمارة المولى، وتولية الصغار على الكبار، والمفضول على الفاضل، لأنّه كان في الجيش ــ الذي كان عليهم أُسامة ــ أبو بكر وعمر»(١).

❁ وقال البنا: «وفي الحديث منقبة عظيمة لزيد بن حارثة وابنه أُسامة ــ رضي الله تعالى عنهما ــ»(٢).

❁ واستدلّ أبو داود، والبيهقي بحديث أُسامة بن زيد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ، قال: «أمرني النّبيّ ﷺ أن أغير صباحاً على أُبنى، وأُحَرِّق». في باب الحرق في بلاد العدوّ.

وقال في عون المعبود: «والحديث يدلّ على جواز إفساد أموال الحرب بالتحريق والقطع لمصلحةٍ في ذلك»(٣).

وقال في سبل السلام: «وقد ذهب الجماهير إلى جواز التحريق والتخريب في بلاد العدوّ، وكرهه الأوزاعي، وأبو ثور، واحتجّا بأنّ أبا

---

(١) فتح الباري ٨٧/٧.

(٢) الفتح الرباني ٢٢٢/٢١.

(٣) عَنْوَن أبو داود (سنن ٨٧/٣) للباب بقوله: «باب الحرق في بلاد العدوّ»، وعَنْوَن له البيهقي (سنن ٨٣/٩)، بقول: «باب قطع الشجر، وحرق المنازل».

بكر ﷺ وصّى جيوشه ألاّ يفعلوا ذلك». وأجيب بأنّه رأى المصلحة في بقائه لأنّه علم أنّها تصير للمسلمين فأراد بقاءها لهم(١).

وقال في المغني: «وقال إسحاق: التحريق سُنّة، إذا كان أنكى في العدوّ لقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾. [سورة الحشر، الآية: ٥]. وروى ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النّضير، وقطع، وهي البويرة، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾»(٢).

❁ كـــان في إصــــرار الصّدّيق أبي بكر ﷺ على إنفاذ بعث أُسامة فضيلة ظاهرة لسيّدنا أبي بكر ﷺ، وكان ذلك من كمال معرفته، وإيمانه، ويقينه، وتدبيره، ورأيه(٣).

ثانياً: الدّروس المستفادة:

❁ يتبيّن من إصرار النّبيّ ﷺ على بعث هذه السّريّة حتّى وهو في أشدّ حالات المرض مدى ما كان يعلمه ﷺ من الأهمية الاستراتيجية تعبوياً وسوقياً لإرسالها إلى تلك المنطقة، ربّما محاولة منه ﷺ لإحكام تثبيت سلطان المسلمين في تلك المنطقة الحيوية بالنسبة للدولة الإسلامية، والتي أصبحت تمثل تطلّعات المسلمين لنشر

---

(١) الصنعاني: سبل السلام.

(٢) ابن قدامة: المغني ١٤٧/١٣.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة ٤١٢/١.

الدّعوة الإسلامية، بعد أن ضرب الإسلام بجرانه في أرض الجزيرة العربية، فبدأوا يتطلّعون لنشر الإسلام خارجها من خلال البوابة الشّمالية للجزيرة التي كانت منفذاً حيوياً وهامّاً وكبيراً لانطلاق الدعوة، ولكن كانت هنالك قوى سياسية وعسكرية جاثمة بقوّةٍ تسد ذلك المنفذ الحيوي، وتقف بصلابة في وجه نشر الدّعوة الإسلامية، فكان من الطبعي أن يتحرّك النّبيّ ﷺ باعتباره القائد للأُمّة الإسلامية، بل باعتباره المعنى بالأمر بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من أبعاد، وذلك بموجب التكليف الإلهي المُناط به: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. [سورة سبأ، الآية: ٢٨].

فكان لا بُدَّ له من التحرّك سريعاً وبقوّةٍ لإفساح الطريق أمام الدّعوة الإسلامية، لكي تنساح في الأرض بسلاسةٍ وانسيابٍ بعد القضاء على العقبات، وإزالة المعوقات التي كانت تقف في طريقها لتبلغ مداها الذي قدّره الله ﷻ لها.

❁ في تولية أُسامة بن زيد ــ رضي الله تعالى عنهما ــ على جيشٍ مُطَعَّمٍ بكبار الصحابة وفضلائهم، وهو في تلك المرحلة المبكّرة من عمره، تَبْرُزُ لنا عِدّة أُمور مهمّة:

أوّلاً: الطريقة القويمة والرائعة التي كان المربّي الأوّل ﷺ يُربّي بها أصحابه، ومن بعدهم أُمّته على طاعة أولي الأمر منهم مهما كانوا.

ثانياً: كان في ذلك تأكيد وتوضيح على أنّ الإسلام يمحو ما قبله من أنظمة وعادات وتقاليد جاهلية تختصّ بشروط الرئاسة والقيادة، فالسنّ،

والشرف، والجاه، والمال، التي كانت تعدّ شروطاً أساسية لا يمكن إغفال شيءٍ منها فيمن يُراد توليته، أصبح بدلاً عنها في الإسلام التقوى، وحُبّ النّبيّ ﷺ، والكفاءة القيادية، والنّجابة، والحِنْكة القتالية.

ثالثاً: الأدب الجمّ العظيم الذي كان يتمتّع به أصحاب النبيّ ﷺ، وحُسن انقيادهم له، وطاعتهم وتوقيرهم لأمره حتّى بعد وفاته. قال الحلبي: «كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه حتّى بعد أن ولي الخلافة إذا رأى أُسامة رضي الله عنه قال: السلام عليك أيُّها الأمير. فيقول أُسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين. تقول لي هذا؟ فيقول: لا أزال أدعوك ما عشت الأمير. مات رسول الله ﷺ وأنت عليّ أمير»[1].

❁ كلّ تلك الأمور السابقة كانت عواملَ إيجابيةً وبنّاءةً في تحقيق ذلك النجاح العظيم، وتلك النتائج الإيجابية الرائعة التي حقّقتها تلك السرية، يقول الحلبي: «وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة، فإنّه كان سبباً لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك»[2].

قال أبو هريرة رضي الله عنه في سياق حديثه عن البَعْث وذلك تقرير لهذه الحقيقة: «**فجعل لا يمرّ بقبيل**[3] **يريدون الارتداد إلاّ قالوا: لولا أنّ هؤلاء**

---

(١) السيرة الحلبية ٣/٢٣١.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) قبيل: تصغير قبيلة.

قوّة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتّى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام»(١).

كما كان في خروجه إرعاباً لأعداء الله ﷻ، وأعداء رسوله ﷺ وتثبيطاً لمعنوياهم، ومحقاً لأرجافهم، وغبطتهم وسرورهم بموت النّبيّ ﷺ. قال ابن تيمية: «كان ذلك ممَّا أيّد الله به الدين، وشدّ به قلوب المؤمنين، وأذلّ به الكُفّار والمنافقين»(٢).

وممَّا يدلّ على ذلك ويؤيّده هو اندهاش الروم وتعجُّبهم من فعل المسلمين، وقوّة تماسُكِهم رغم فداحة المصاب. أخرج ابن سعد بسنده عن هشام بن عروة قال: «**قدم بنعي رسول الله ﷺ على هرقل، وإغارة أُسامة في ناحية أرضه خبراً واحداً، فقالت الروم: ما بالى هؤلاء بموت صاحبهم أن أغاروا على أرضنا**»(٣).

(١) سبق تخريجها برقم: [٢٩].

(٢) منهاج السنة ٤١٢/١.

(٣) سبق تخريجها برقم: [١٤].

الخاتمة

وفي خاتمة البحث هذه أهمّ النتائج، والدراسات التي تمّ التوصل إليها:

١- إن نقد المرويات التاريخية عملية ممتعة وشيقة، ولكنها بقدر ما هي كذلك متعبة وشاقة، وتحتاج إلى وقت طويل وتأن في العمل، لذلك يجب عدم التسرع في الحكم على العملية سلباً أو إيجاباً، بل يجب إعطاء العمل الفرصة اللازمة والتامّة لكي تكتمل جوانبه وتتضح خطوطة العريضة، فمشروع نقد المرويات التاريخية مشروع جديد، والعمل الذي قامت به الجامعة الإسلاميّة في المدينة النبويّة في هذا المجال تشكر عليه، ولكنه لا زال في بداياته، ويحتاج إلى وقت طويل وجهد ودعم متواصل من الجهات المعنية لتبرز ثماره اليانعة.

وحتى يكتب لهذا العمل النجاح والاستمرارية، فإن الباحث يقترح تشكيل لجنة مكوّنة من قسم التاريخ، وقسم السنة، وقسم أصول الفقه ـــ للإفادة من منهج الأصوليّين في النقد الباطني للنصوص، باعتبار ذلك جزء مكمّل ومهمّ بالنسبة للروايات التاريخية ـــ ويتبنى عمل هذه اللجنة قسم التاريخ ومركز السنة والسيرة النبويّة، أو أي قسم من هذه الأقسام المعنية، وذلك لوضع القواعد والأسس والأطر اللازمة والمنظمة لهذا العمل، والتي تجعل منه عملاً مستمراً وناجحاً ومتطوّراً في المستقبل إن شاء الله تعالى. كما تتيح المجال وبشكل أكبر وأقوى لكل متحمس من طلبة العلم

للخوض والمساهمة في هذا العمل البناء والمهمّ لخدمة تاريخنا الإسلامي العظيم، وفي نفس الوقت فإنه يجب تشجيع وتبني الأعمال المساهمة، سواء كانت رسائل جامعية أو بحوث ترقية أو كتب مؤلّفة مع التركيز على إخراج الرسائل الجامعية المتميزة وطباعتها. لأنه لا معنى لجهد يستمر سنوات ثم لا يرى النور. فإنّ في ذلك دافعاً قويّاً لاستمرار العمل ونجاحه وتطوّره وخروجه بالصيغة التي ترضى جميع الأطراف المؤيدين وحتى المعارضين له.

ثم تعرض أعمال هذه اللجنة في المستقبل، وفي أقرب فرصة في أي مؤتمر من المؤتمرات التي تعالج مثل هذه القضايا، وذلك لتوسيع دائرة المشاركة على مستوى العالم الإسلامي للاستفادة من الخبرات الرائدة في هذا المجال، وكسب المزيد من التأييد، وإتاحة الفرصة لتلاقح الأفكار، وتعدد الخبرات التي تعطي العمل زخماً من القوة والثبات والاستمرارية، مع التطوير الذي يعتبر أمراً مهماً وضرورياً لنجاح العمل.

٢- لم تكن معركة مؤتة والسرايا الشمالية عبارة عن معارك تأديبية تأثرية انتقامية كما يحلو للبعض ترديده، وإنما كانت تدخل ضمن نطاق واستراتيجية النبي ﷺ الجهادية والمبنية على عملية التدرج تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ . [سورة التوبة، الآية: ١٢٣]. وتمهيداً للفتوحات الإسلامية في المنطقة بالقضاء على القوى العسكرية والسياسية التي كانت تقف حجر

عشرة في وجه نشر الدعوة الإسلامية، وإخضاع تلك القوى لسلطان المسلمين، إما بالدخول في الإسلام، أو إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. [سورة التوبة، الآية: ١٢٣].

وفي ذلك أكبر دليل على أن العملية الجهادية والعملية الدعوية كانتا تسيران جنباً إلى جنب، وأنهما عمليتان مدروستان بدقة ونظام، وليستا أموراً عشوائية أملتها ظروف وقتية طارئة،كما يدعي بعض المستشرقين، ولم تكن أيضاً دفاعية، كما يذكر بعض الكتاب المسلمين، وإنما غايتها وهدفها الأسمى هو إعلاء كلمة الله ﷻ في تلك البقعة المباركة من العالم.

٣- لقد كانت الوصايا النبوية لقادة السرايا والبعوث من أعظم وصايا الحرب على مرّ التاريخ، بل إنها تمثّل قانون للحرب العادلة، التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، وذلك إنها توضح بجلاء نوع الحرب في الإسلام والتي هي حرب فروسية بمعنى الكلمة، وردّ بليغ على المغرضين من أعداء الأمة الذين يروجون الأكاذيب ويلقون الشبه حول الحرب، والجهاد في الإسلام، في محاولة منهم لتشويه هذه الحقائق الناصعة لهذه الحرب العظيمة.

٤- وضح من خلال سياق الأحداث حول بعض السرايا والبعوث اهتمام النبي ﷺ بوسائل الحرب الاستخبارتية وتمثل ذلك في بثّ العيون، وتوظيف الأدلاء، وبعث الطلائع إلى أرض العدوّ لجمع المعلومات عنه، وفي ذلك درس بليغ للأمة بالاهتمام بهذه الوسائل وغيرها من الأسباب الشرعية، وتطبيقها في حربها مع أعدائها لما تمثله من أهمية بالغة بالنسبة لعوامل النصر وأسبابه.

٥- تميّزت بعض السرايا والبعوث ببعض الابتكارات النبوية العسكرية، مثل الشعار في المعركة، والهجوم الفجري المباغت، وغير ذلك، وهي دروس استفادها وطبقها قادة تلك السرايا من توصيات النبي ﷺ، وتطبيقاته في غزواته.

٦- وضح من خلال أحداث بعض السرايا والبعوث الدور العظيم الذي كان يتميز به المسجد النبوي الشريف، حيث كان بمثابة جامعة عظيمة تعقد فيه مجالس العلم والذكر، ويلتقي فيه الصحابة رضي الله عنهم بمعلمهم العظيم رسول الله ﷺ.

كما أنه كان عبارة عن قاعدة عسكرية تنطلق منه السرايا والبعوث النبوية، وتعقد فيه مراسم تولية قادة تلك السرايا والبعوث، مما يدل على دقة التنظيم في إعداد السرايا وبعثها، وإن ذلك كان يتم وفق خطة مدروسة منظمة بعيداً عن العشوائية والارتجال كما يزعم البعض.

٧- ما ورد في ثنايا الحديث عن بعض السرايا والبعوث من التحذير النبوي من أسباب انتشار بعض الأوبئة والأمراض، يعتبر من معجزاته ﷺ، حيث تحققت نبوءته ﷺ في ذلك زماننا الحاضر الذي انتشرت فيه الأوبئة والأمراض التي حذر منها ومن أسبابها المصطفى ﷺ قبل أربعة عشر قرناً.

٨- كانت المكتسبات التي أفادها المسلمون من غزوة مؤتة وبعض السرايا النبوية الشمالية عظيمة جداً، حيث كانت النتائج السوقية لها كبيرة، أفادت المسلمين في التعرف على خواص الروم، وحلفائهم مما كان له أبلغ الأثر في المعارك التي خاضها المسلمون معهم فيما بعد.

٩- تميزت الغزوة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية بكثير من الأحكام الشرعية المستنبطة، والدروس والعبر المستفادة.

الفهـــــــــارس العامّة:

تشتمل على فهارس تفصيلية للبحث ، وتشمل :

١- فهرس الآيات القرآنيـــة الكريـمـــة .
٢- فهرس أطراف الأحاديث النبويـــة الشريفة .
٣- فهرس أطراف الروايات التاريخية .
٤- فهرس الأعـــلام المترجم لهم .
٥- فهرس الأماكن والبلدان .
٦- فهرس القبائل .
٧- فهرس المصادر والمراجع .
٨- فهرس الموضوعات .

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة :

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
سورة التوبـــة		
﴿قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾	٢٩	٢٥١، ٥٠١
﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ﴾	٣٢	٢٥١
﴿يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾	١٢٣	٥٠٠
﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم﴾	١٢٨	٣٧٩
سورة يونس		
﴿ءَالآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾	٩١	١٦٨
سورة هود		
﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾	٨٤	٩٨
سورة الرعـــد		
﴿إنّ الله لا يُغَيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾	١	٣٥٠، ٤٥٦
سورة إبراهيم		
﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾	٧	٣٦
سورة الإسراء		
﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾	١	١٢
﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾	٢٤	٣٦

٢- فهرس أطراف الأحاديث النّبويّة الشريفة:

طرف الحديث	الصفحة

حرف الألف

طرف الحديث	الصفحة
أقتلته وقد قال : لا إلـــه إلاّ الله؟	١٦٧
أمره أن يستعين بمن يَمُرّ بـــه من بليّ وعذرة وبلقين	٤١٤
امضِ فإنّك لا تدري أي ذلك خير	٢٦١
الآن حمي الوطيس	٣٢٦
إن استجابوا لك فتزوّج ابنة ملكهم	١٨٩
إنّ جبريل أخبرني أنّ الله عزّ وجلّ استشهد جعفراً	٣١١
أنفذوا جيش أسامة . أنفذوا جيش أسامـــة	٤٦٥، ٤٨٣
انفروا فأمدُّوا إخوانكم ولا يتخلفنّ منكم أحد	٣٣٥
إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحـــة	٢٦٠
إنـــّك ستجده يصيد البقر	٤٣٨، ٤٤٦
إنّكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامـــة يوم القيامـــة	٤٣٠
إنّ لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة	٣٠٩
إنّ الله أمرني أن أُحَرِّق قريشاً	٩
إنّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق	٤٢٧
إنّ الله تبارك وتعالى رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم	٣٣٣
أي المؤمنين أفضل ؟ قال: أحسنهم خُلُقاً	١٨٧
أي المؤمنين أكيس ؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً	١٨٧

طرف الحديث	الصفحة

حرف الباء

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الصاد

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

طرف الحديث	الصفحة

حرف الواو

حرف الياء

٣- فهرس أطراف الروايات التاريخية :

طرف الروايـــــة	الصفحة

حرف الألف

حرف الباء

طرف الروايـــــة	الصفحة

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم :

العلم	الصفحة

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف العين

العلم	الصفحة

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

٥- فهرس الأماكن والبلدان :

المكان	الصفحة

المكان	الصفحة

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

المكان	الصفحة

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الطاء

حرف العين

٦- فهرس القبائل:

القبيلة	الصفحة

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

٧- فهرس المصادر والمراجع:

القــرآن الكريــم.

المخطوطات:

- **البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر (٢٧٩هـ):**

١- أنساب الأشراف، النسخة المغربية، ج ٧، المكتبة العامة بالرباط.

- **الثعلبي، أحمد بن محمَّد النيسابوري (٤٢٧هـ):**

٢- التفسير، نسخة موجودة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبويــة.

- **ابن أبي خيثمة، أحمد بن أبي خيثمة (٢٧٩هـ):**

٣- التاريخ، نسخة الخزانــة العامــة بالرباط رقم (١٣٨).

- **مغلطاي، قلج (٧٦٢هـ):**

٤- الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم، نسخة موجودة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبويــة.

- **الميانجي، أبو بكر يوسف بن القاسم (٣٧٥هـ):**

٥- غرائب حديث الميانجي (جزء مجموع) بالمكتبة الظاهرية برقم حديث (٢٧٩).

المصادر:

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمَّد الجزري (٦٣٠هـ):**

٦- أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع مطبعة الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

٧- الكامل في التاريخ، طبع دار صادر، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

- **ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمَّد الجزري (٦٠٦هـ):**

٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمَّد الطناحي،طبع المكتبة العلمية،بيروت،بدون تاريخ.

- **الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ):**

٩- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، ترتيب أحمد عبد الرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة، بدون تاريخ.

١٠- المسند،تحقيق أحمدمحمَّد شاكر،القاهرة،دارالمعارف،١٣٧٣-١٣٧٥هـ.

١١- المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت،مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤١٣هـ(الموسوعة الحديثية)،طُبِع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله.

- **ابن إسحاق، محمَّد بن يسار (١٥١هـ):**

١٢- سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمَّد حميد الله،دار الخاني للنشر والتوزيع،الرياض،بدون تاريخ.

- **البخاري، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦هـ):**

١٣- الأدب المفرد، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

١٤- التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

١٥- الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٦- الضعفاء الصغير، تحقيق بوران الضّناوي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

● **البغـــوي، أبو محمَّد الحسين بن مسعود (٥١٦هـــ):**

١٧- شرح السنة، تحقيق علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ.

● **البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (٤٨٧هـــ):**

١٨- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا طبع عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـــ.

● **البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحى بن جابر (٢٧١هـــ):**

١٩- أنساب الأشراف، تحقيق محمَّد حميد الله، طبع دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٢٠- فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، طبع مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧ هـــ.

● **البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـــ):**

٢١- دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـــ.

٢٢- السنن الكبرى، طبع دار المعرفة، بيروت.

● **التبريزي، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخطيب:**

٢٣- مشكاة المصابيح، تحقيق محمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٨٠هـــ.

● **الترمذي، أبو عبد الله محمَّد بن علي الحكيم (٣٢٠هـــ):**

٢٤- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

- **الترمذي، محمَّد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـــ):**

٢٥- سنن الترمذي، الفجالة الجديدة، القاهرة، السلفية، المدينة المنورة.

- **ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـــ):**

٢٦- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر بن عبد الكريم، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١١هـــ.

٢٧- مختصر منهاج السنة، اختصره الشيخ عبد الله الغنيمان، الرياض، مكتبة الكوثر ١٤١١هـــ.

٢٨- المنتقى من الأحكام، المطبعة السلفية، بدون تاريخ.

- **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمَّد النيسابوري (٤٢٩هـــ):**

٢٩- فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي،القاهرة،مكتبةمصطفىالبابي الحلبي١٣٩٢هـــ.

- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـــ):**

٣٠- الوفا بأحوال المصطفى ﷺ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ.

- **الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـــ):**

٣١- الصحاح، تاج اللغة وصحيح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤٠٢هـــ.

- **ابن أبي حاتم، أبو محمَّد عبد الرحمن الرازي (٣٢٧هـــ):**

٣٢- الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند، الطبعة الأولى.

● **ابن حبان، أبو حاتم محمَّد بن حبان بن أحمد البستي (٣٥٤هـ):**

٣٣- الثقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣هـ، الأولى.

٣٤- صحيح ابن حبان، ترتيب علاء الدين الفارسي، تحقيق كمال يوسف الحوت،دار الكتب العلمية،بيروت١٤٠٧هـ،الطبعةالأولى.

● **ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ):**

٣٥- الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر، بيروت.

٣٦- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني ١٣٨٦هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٣٧- تقريب التهذيب، تحقيق محمَّد عوَّامة، دار الرشيد، سوريا، حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٨- تهذيب التهذيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر، بيروت.

٤٠- لسان الميزان، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٤١- مختصر زوائد البزار، تحقيق صبري عبد الخالق أبي ذر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤٢- المطالب العالية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية ١٣٩٣هـ.

- **ابن حزم، أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ):**

٤٣- جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٤٤- جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، إدارة إحياء السنَّة، باكستان.

- **حسان بن ثابت بن المنذر (٥٠هـ):**

٤٥- ديوان حسان بن ثابت، شرح وتعليق عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- **الحاكم: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله النيسابوري (٤٠٥هـ):**

٤٦- المستدرك، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

- **الحلبي، علي بن برهان الدين (١٠٤٤هـ):**

٤٧- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، طبع دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

- **الحموي،أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي(٦٢٦هـ):**

٤٨- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ.

- **الحميري، محمَّد بن عبد المنعم الحميري:**

٤٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

- **الخشني، أبو ذر مصعب بن محمَّد (٦٠٤هـ):**

٥٠- شرح السيرة النبويـــة لابن هشام، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، ومحمَّد بن عبد الله أبو صعيليك، طبع مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـــ.

● **الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمَّد (٣٨٨هـــ):**

٥١- معالم السنن، شرح سنن أبي داود بحاشية السنن.

● **الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحي بن علي (٥٠٢هـــ):**

٥٢- كنْز الحفاظ في تهذيب الألفاظ لابن السكيت، تحقيق لويس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٥م.

● **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد (٨٠٨هـــ):**

٥٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـــ، الطبعة الأولى.

● **ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط (٢٤٠هـــ):**

٥٤- التاريخ، تحقيق الدكتور/أكرم ضياء العمري، طبع دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـــ.

٥٥- الطبقات، تحقيق الدكتور / أكرم ضياء العمري، طبع دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـــ.

● **الدارقطني، علي بن عمر (٣٨٥هـــ):**

٥٦- سنن الدارقطني،تحقيق عبدالله هاشم يماني،دارالمحاسن للطباعة١٣٨٦هـــ.

● **ابن دريـــد، أبو بكر محمَّد بن الحسن (٣٢١هـــ):**

٥٧- الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

● **الديار بكري، حسين بن محمَّد بن الحسن:**

٥٨- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت.

● **ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني (٩٤٤هـ):**

٥٩- حدائق الأنواروومطالع الأسرار في سيرة النَّبِيِّ المختارﷺ،تحقيق عبدالله إبراهيم الأنصاري،المكتبة المكية، مكة المكرمة، السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

● **الذهبي، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد (٧٤٨هـ):**

٦٠- تاريخ الإسلام (قسم المغازي) تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ، الطبعة الأولى.

٦١- تلخيص المستدرك للحاكم، حاشية المستدرك.

٦٢- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين أسد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ، الطبعة الأولى.

٦٣- العبر في خبر من غبر، تحقيق محمَّد السعيد بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٦٤- الموقوظة في مصطلح الحديث، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم،دار أُحُد للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٦٥- ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمَّد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

● **الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (٢٣٦هـ):**

٦٦- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة،الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

● **الزرقاني، محمَّد بن عبد الباقي المالكي (١١٢٢هـ):**

٦٧- شرح المواهب اللدنية، دار المعرفة، بيروت ١٤١٤هـ.

● **ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ):**

٦٨- الطبقات الكبرى، طبع دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٩- الطبقات الكبرى، الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ومَن بعدهم، تحقيق زياد محمَّد منصور، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٣هـ.

● **سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (٢٢٧هـ):**

٧٠- السنن، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

● **السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (٩١١هـ):**

٧١- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ، تحقيق محمَّد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الرابعة ١٤٠٤هـ.

● **السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (٥٨١هـ):**

٧٢- الروض الأنف في تفسير السيرة النبويـة لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، طبع دار الكتب الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ.

● **السويدي، أبو الفوز محمَّد أمين البغدادي:**

٧٣- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب،دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩ هـ.

- **ابن سيّد الناس، أبو الفتح محمَّد بن محمَّد (٧٣٤هـ):**

٧٤- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ):**

٧٥- الخصائص الكبرى، تحقيق محمَّد خليل هرَّاس، دار الكتب الحديثة.

- **الشامي، محمَّد بن يوسف الصالحي (٩٤٢هـ):**

٧٦- سُبُل الهُدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف المصريـــة، القاهرة ١٤٠٤هـ.

- **الشوكاني، محمَّد بن علي بن محمَّد (١٢٥٠هـ):**

٧٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة الثانية١٣٨٣هـ.

٧٨- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار،دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- **ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمَّد الكوفي العبسي (٢٣٥هـ):**

٧٩- الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار، تحقيق عامر العمري الأعظمي، طبع الدار السلفية، بومباي، الهند.

- **الصنعاني، محمَّد بن إسماعيل الكحلاني (١١٨٢هـ):**

٨٠- سُبُل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ.

- **الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ):**

٨١- المعجم الأوسط،تحقيقمحمودالطحان،مكتبة المعارف،الرياض١٤٠٥هـ

٨٢- المعجم الكبير،تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبع مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ.

- **الطبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير (٣١٠هـ):**

٨٣- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

٨٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن،دار الفكر،بيروت ١٤٠٨هـ.

- **العامري، عماد الدين يحي بن أبي بكر (٨٩٣هـ):**

٨٥- بهجة المحافل وبغية الأماثل، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

- **العباسي، أحمد عبد الحميد (المتوفى في القرن العاشر):**

٨٦- عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمَّد الطيب الأنصاري، توزيع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

- **ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (٤٦٣هـ):**

٨٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة لابن حجر دار صادر.

٨٨- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٣٨٦هـ، وطبعة مؤسسة علوم القرآن، دمشق، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

- **عبد الرزّاق، أبو بكر عبد الرزّاق بن همّام الصنعاني (٢١١هـ):**

٨٩- المصنَّف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي بيروت ١٣٩٢هـ، الطبعة الأولى.

● **أبو عبد الله محمَّد بن علي إبراهيم الحلبي (٦٨٤هـ):**

٩٠- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٣٠٢ هـ.

● **أبو عبيد، القاسم بن سلام (٢٢٤هـ):**

٩١- الأموال، تحقيق محمَّد خليل هرَّاس، دار الفكر، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

● **ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشق (٥٧١هـ):**

٩٢- تاريخ دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجلس العلمي بدمشق ١٩٥١م، ومطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١م، تحقيق شكري فيصل، وسكينة الشهابي.

● **العظيم آبادي، أبو الطيب محمَّد شمس الحق:**

٩٣- التعليق المغني على الدارقطني، حاشية سنن الدارقطني.

٩٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمَّد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

● **الفيروزآبادي،مجدالدين محمَّدبن يعقوب الفيروزآبادي(٨١٧هـ):**

٩٥- القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

● **ابن قتيبة، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ):**

٩٦- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

- **ابن قدامة،أبو محمّدعبد الله بن أحمد بن محمّد المقدسي(٦٢٠هـ):**

٩٧- المغني، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح الحلو، طبع هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- **القرطبي، محمّد أحمد الأنصاري (٦٧١هـ):**

٩٨- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب، القاهرة ١٣٨٣هـ.

- **القسطلاني، أحمد بن محمّد القسطلاني (٩٢٣هـ):**

٩٩- المواهب اللدنية بالمنح المحمديـــة، تحقيق صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

- **القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ):**

١٠٠-قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري،نشر دار الكتب الإسلامية،دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ.

- **القيرواني، أبو محمّد عبد الله بن أبي زيـــد (٣٨٦هـ):**

١٠١-كتاب الجامع في السنن والآداب والتاريخ والمغازي، تحقيق محمّد أبي الأجفان،وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، والمكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

- **ابن القيم،أبوعبدالله محمّد بن أبي بكرالزرعي الدمشقي(٧٥١هـ):**

١٠٢–زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط،وعبد القادرالأرنؤوط،مؤسسةالرسالة،بيروت،لبنان،بدون تاريخ، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الخامسة عشر١٤٠٧هـ.

- **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ):**

١٠٣–البداية والنهاية، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٠٤– الفصول في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق محمَّد العيد الخطراوي، ومحي الدين مستو،طبع دار التراث بالمدينة المنورة،ودار ابن كثير بدمشق، الطبعة السادسة ١٤١٣هـ.

- **الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمَّد السائب (٢٠٤هـ):**

١٠٥–جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- **الكندي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (٢٥٧هـ):**

١٠٦– فتوح مصروأخبارها،تحقيق محمَّدصبيح،مكتبةابن تيمية،بدون تاريخ.

- **ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله المروزي (١٨١هـ):**

١٠٧–كتاب الجهاد، دار النور، بيروت ١٩٧٩م.

- **المباركفوري،أبوالعلي محمَّدبن عبدالرحمن المباركفوري(١٣٥٣هـ):**

١٠٨–تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمَّد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

- **المحاملي، أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل (٣٣٠هـ):**

١٠٩– أمالي المحاملي،تحقيق إبراهيم إبراهيم القيسي،الدمام،دارابن القيم ١٤١٢هـ.

- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ):**

١١٠-التنبيه والأشراف، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

- **الإمام مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ):**

١١١-صحيح مسلم، تحقيق موسى شاهين لاشين، وأحمد عمر هاشم، مؤسسةعزالدين للطباعةوالنشر،بيروت،الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.

- **المقدسي، البشاري (٣٨٠هـ):**

١١٢-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل بلندن ١٩٠٦م.

- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ):**

١١٣-امتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع تحقيق محمود محمَّد شاكر،طبع لجنة التأليف والترجمةوالنشر، القاهرة١٩٤١م.

- **الملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين محمَّد بن عمر، صاحب حماه (٧٣٢هـ):**

١١٤-تقويم البلدان، طبع في باريس بدار الطباعة السلطانية١٨٥٠م.

- **المناوي، العلاَّمة محمَّد بن عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ):**

١١٥-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

- **ابن منظور، أبو الفضل محمَّد بن مكرم الأفريقي (٧١١هـ):**

١١٦-لسان العرب، طبع دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

- **الميداني،أبوالفضل أحمدبن محمَّدبن إبراهيم النيسابوري(٥١٨هـ):**

١١٧-مجمع الأمثال، تحقيق محمَّد أبي الفضل إبراهيم، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بدون تاريخ.

● **النسائي،أبو عبدالرحمن أحمدبن شعيب بن علي بن بحر(٣٠٣هـ):**

١١٨-السنن الصغرى (المجتبى) طبع دار الحديث، القاهرة ١٤٠٧هـ.

١١٩-السنن الكبرى،تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري،وسيد كسروي حسن،طبع دارالكتب العلمية،بيروت،الطبعة الأولى١٤١١هـ.

● **أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ):**

١٢٠- حليةالأولياءوطبقات الأصفياء،طبع دارالفكرللطباعةوالنشر،بيروت.

١٢١-دلائل النبوة،تحقيق محمَّد رواس قلعجي،وعبد البر عباس،طبع دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

● **النووي، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف (٦٧٦هـ):**

١٢٢- شرح صحيح مسلم،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،الطبعة الثالثة

● **ابن هشام، أبو محمَّد عبد الملك بن هشام الحميري (٢١٨هـ):**

١٢٣-السيرة النبوية،تحقيق مصطفى السقا،وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي،دار إحياء التراث،القاهرة،الطبعةالثانية،بدون تاريخ.

● **الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ):**

١٢٤-كشف الأستار على زوائد البزار، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٢٥-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، طبع ونشر دار الريان للتراث، القاهرة ودار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٢٦-موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق محمَّد عبد الرزَّاق حمزة، بيروت، دار الكتب العلمية، والمطبعة السلفية، القاهرة.

- **الواقدي، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ):**

١٢٧-كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

- **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (٢٨٤هـ):**

١٢٨-تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ١٣٧٩هـ.

ثالثاً: المراجـــع:

- **أبو مايلة، بريك بن محمّد بن بريك:**

١٢٩-السرايا والبعوث النّبويّة حول المدينة ومكّة.

- **أحمد عادل كمال:**

١٣٠-الطريق إلى دمشق،دار النفائس،بيروت، الطبعة الثالثة١٤٠٥هـ

- **أحمد مصطفى المراغي:**

١٣١- تفسيرالمراغي،مكتبةومطبعةالبابي الحلبي القاهرة،ط.الخامسة١٣٩٤هـ

- **إدوارد جيبون:**

١٣٢-اضمحلال الامبراطوريـــة الرومانية وسقوطها، تعريب محمَّد علي أبي درة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٩م.

- **الألباني، محمَّد ناصر الدين:**

١٣٣-أحكام الجنائز وبدعها،منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى بيروت ١٣٨٨ هـ.

١٣٤-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي.

١٣٥-تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي (بهامش فقه السيرة).

١٣٦-سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي.

١٣٧- صحيح سنن الترمذي،نشرمكتب التربيةالعربي لدول الخليج١٤٠٩هـ.

١٣٨-صحيح سنن أبي داود، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨هـ.

١٣٩-صحيح سنن ابن ماجـه، نشر مكتب التربية العربي ١٤٠٨هـ.

١٤٠-صحيح سنن النسائي، نشر مكتب التربية العربي ١٤٠٩هـ.

١٤١-ضعيف سنن الترمذي، المكتب الإسلامي.

١٤٢-ضعيف سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي.

- **أمين دويـدار:**

١٤٣-صور من حياة الرسول ﷺ، دار المعارف، الطبعة الخامسة.

- **با شميل، محمَّد أحمد:**

١٤٤-غزوة مؤتـة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.

- **با وزيـر، أحمد محمَّد العليمي:**

١٤٥- مرويات غزوةبدر،مكتبةطيبة،المدينة المنورة،الطبعةالأولى١٤٠٠هـ.

- **البلادي، عاتق بن غيث:**

١٤٦-رحلات في بلاد العرب، في شمال الحجاز والأردن، دار مكـّة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٤٧-معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبويـة، دار مكـّة للنشر والتوزيع مكـّة المكرّمـة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

- **البوطي، محمَّد سعيد رمضان:**

١٤٨-فقه السيرة، دار الفكر، الطبعة الثامنة، ١٤٠٠ هـ.

• جورجي زيـدان:

١٤٩-تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ.

• الجنرال. أ. أكرم:

١٥٠-خالد بن الوليد، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ.

• الحكمي، حافظ بن محمَّد:

١٥١-مرويات غزوة الحديبية، منشورات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

• خطّاب، محمود شيت:

١٥٢-خالد بن الوليد،المكتب المصري الحديث،الطبعة الثانية١٣٩٠هـ

١٥٣-دروس عسكرية من السيرة النبوية، محمود شيت خطّاب،وعبد اللطيف زايد، الناشر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٥٤-الرسول القائد ﷺ،دار الفكر بيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ

١٥٥- القادةالشهداءفي مؤتة،دارقتيبةللطباعةوالنشر،الطبعةالأولى١٤١١هـ.

• دروزة، محمَّد عزة بن عبد الهادي:

١٥٦- سيرةالرسولﷺصورمقتبسةمن القرآن الكريم،المكتبةالعصريةصيدابيروت

• أبو زيـد، شلبي:

١٥٧- سيف الله خالدبن الوليد،مكتبةالخانجي،القاهرة،الطبعةالثالثة١٣٧١هـ.

• الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن البنا:

١٥٨-بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني، هامش الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، دار الشهاب القاهرة.

- **السيد الباز العريني:**

١٥٩-الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢م.

- **الشريف، أحمد إبراهيم:**

١٦٠-مكـــّة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥م.

- **الشهري، عوض بن أحمد بن سلطان:**

١٦١-مرويات غزوة خيبر، رسالة ماجستير من قسم السنَّة، كلية الحديث،الجامعةالإسلاميةبالمدينة المنورة،مطبوعةعلى الآلة الكاتبة.

- **عبد القادر حبيب الله السندي:**

١٦٢-مرويات غزوة تبوك،رسالةماجستيرمن قسم السنةفي كليةالحديث، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

- **العقاد، عباس محمود:**

١٦٣-عبقريـــة خالد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

- **العقيد محمَّد صفا:**

١٦٤-الحرب، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـــ.

- **على العتوم:**

١٦٥- تجربةمؤتة،مكتبةالرسالةالحديثة،عمّان،الأردن،الطبعةالأولى١٤٠٦هـــ.

● **عماد الدين خليل:**

١٦٦-دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، ودار النفائس، بيروت،الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ.

● **العمري، أكرم ضياء:**

١٦٧- السيرةالنبويةالصحيحة،مكتبةالعلوم والحكم بالمدينةالمنورة،١٤١٢هـ.

● **الغزالي، محمَّد:**

١٦٨-فقه السيرة، دار القلم، دمشق، بيروت ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية

● **القريبي، إبراهيم بن إبراهيم:**

١٦٩-مرويات غزوة بني المصطلق، منشورات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

● **لانكستر هاردنج:**

١٧٠-آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، منشورات وزارة السياحة والآثار، المملكة الأردنية، عمَّان، الطبعة الثانية ١٩٧١م.

● **محمَّد أحمد أبو زهرة:**

١٧١-خاتم النبيين ﷺ المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.

● **محمَّد حميد الله:**

١٧٢-مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة،دار النفائس بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.

● **محمَّد سيد عطية طنطاوي:**

١٧٣-السرايا الحربية في العهد النبوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- **مرداد، محمَّد بن عبد الحميد:**

١٧٤–مدائن صالح تلك الأعجوبة، مطابع الروضة، جدة، السعودية، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

- **منير محمَّد غضبان:**

١٧٥–فقه السيرة النبوية، مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أُمّ القرى، مكّة المكرَّمة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- **هيكل، محمَّد حسين:**

١٧٦–حياة محمَّد ﷺ،مكتبة النهضةالمصرية،القاهرة،الطبعةالخامسة عشرة.

- **ياسين سويد:**

١٧٧–معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

رابعاً: الدوريات:

١٧٨–**مجلّة الأزهر**: العدد الثالث والأربعون، الجزء السابع (جيش الروم أيام الفتح الإسلامي، اللواء الركن محمود شيت خطّاب).

١٧٩–**مجلّة الدارة**: العدد الأول، السنة التاسعة، شوال ١٤٠٣هـ، (وادي القرى–المفهوم والمسمَّى)الأستاذ أحمد عبد الله عبدالكريم.

١٨٠–**مجلّة المقتطف**: المجلّد التاسع والخمسون، الجزء الثاني ص ١١٣،١١٤،١١٥ (دومة الجندل) أغسطس ١٩٢١م.

٨- فهرس الموضوعات:

الموضـــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــــــــــوع	الصفحة

الموضــــــــــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة